سلسلة تفسير القرآن
17

أبو القاسم الزّمخشري

الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل

الجزء العاشر

ندقيق
أسعد جمعة

دار كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع
2024

النّاشر: شركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع
العنوان: إقامة الزّيتونة – III/2 – المنار 2 – تونس – الجمهوريّة التّونسيّة
الهاتف: 71886914 216+
الفاكس: 71886872 216+
العنوان الالكتروني: JomaaAssaad@yahoo.fr
معرّف النّاشر: 02-9938
عدد الطّبعة: الأولى
ت د م ك: 978-9938-02-070-6

© جميع الحقوق محفوظة لشركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع

أبو القاسم الزّمخشري

الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل

الجزء العاشر

سُورَةُ الْإِسْرَاءِ

سورَةُ الإِسرَاءِ

مَكِّيَّةٌ [إِلَّا الْآيَاتِ 26 و 32 و 33 و 57، وَمِنْ آيَةِ 73 إِلَى غَايَةِ آيَةِ 80 فَمَدَنِيَّةٌ]

وَآيَاتُهَا 111

[نَزَلَتْ بَعْدَ الْقَصَصِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1]

﴿سُبْحَانَ﴾[2]: عَلَمٌ لِلتَّسْبِيحِ كَعُثْمَانَ لِلرَّجُلِ، وَانْتِصَابُهُ بِفِعْلٍ مُضْمَرٍ مَتْرُوكٍ إِظْهَارُهُ، تَقْدِيرُهُ: أُسَبِّحُ اللَّهَ سُبْحَانَ، ثُمَّ نُزِّلَ سُبْحَانُ مَنْزِلَةَ الْفِعْلِ فَسَدَّ مَسَدَّهُ، وَدَلَّ عَلَى التَّنْزِيهِ الْبَلِيغِ مِنْ جَمِيعِ الْقَبَائِحِ الَّتِي يُضِيفُهَا إِلَيْهِ أَعْدَاءُ اللَّهِ.

وَ﴿أَسْرَى﴾[3]: وَسَرَى لُغَتَانِ.

وَ﴿لَيْلًا﴾[4]: نَصْبٌ عَلَى الظَّرْفِ .

فَإِنْ قُلْتَ: الْإِسْرَاءُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِاللَّيْلِ، فَمَا مَعْنَى ذِكْرِ اللَّيْلِ؟

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

قُلْتُ: أَرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿لَيْلًا﴾[1] بِلَفْظِ التَّنْكِيرِ: تَقْلِيلَ مُدَّةِ الْإِسْرَاءِ، وَأَنَّهُ أَسْرَى بِهِ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الشَّامِ مَسِيرَةَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً.

وَذَلِكَ أَنَّ التَّنْكِيرَ فِيهِ قَدْ دَلَّ عَلَى مَعْنَى الْبَعْضِيَّةِ، وَيَشْهَدُ لِذَلِكَ قِرَاءَةُ عَبْدِ اللَّهِ وَحُذَيْفَةَ: "مِنَ اللَّيْلِ"، أَيْ: بَعْضَ اللَّيْلِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً﴾[2]، يَعْنِي: الْأَمْرَ بِالْقِيَامِ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ.

وَاخْتُلِفَ فِي الْمَكَانِ الَّذِي أُسْرِيَ مِنْهُ، فَقِيلَ: هُوَ الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ بِعَيْنِهِ، وَهُوَ الظَّاهِرُ.

وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"-: بَيْنَا أَنَا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فِي الْحِجْرِ عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ إِذْ أَتَانِي جِبْرِيلُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- بِالْبُرَاقِ".

وَقِيلَ: أُسْرِيَ بِهِ مِنْ دَارِ أُمِّ هَانِئِ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ.

وَالْمُرَادُ بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ: الْحَرَمُ، لِإِحَاطَتِهِ بِالْمَسْجِدِ وَالْتِبَاسِهِ بِهِ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: الْحَرَمُ كُلُّهُ مَسْجِدٌ.

وَرُوِيَ أَنَّهُ كَانَ نَائِمًا فِي بَيْتِ أُمِّ هَانِئٍ بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ فَأُسْرِيَ بِهِ وَرَجَعَ مِنْ لَيْلَتِهِ، وَقَصَّ الْقِصَّةَ عَلَى أُمِّ هَانِئٍ، وَقَالَ: مُثِّلَ لِي النَّبِيُّونَ فَصَلَّيْتُ بِهِمْ وَقَامَ لِيَخْرُجَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَتَشَبَّثَتْ أُمُّ هَانِئٍ بِثَوْبِهِ، فَقَالَ: مَالَكِ؟ قَالَتْ: أَخْشَى أَنْ يُكَذِّبَكَ قَوْمُكَ إِنْ أَخْبَرْتَهُمْ، قَالَ: وَإِنْ كَذَّبُونِي، فَخَرَجَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ أَبُو جَهْلٍ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِحَدِيثِ الْإِسْرَاءِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: يَا مَعْشَرَ بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، هَلُمَّ فَحَدِّثْهُمْ، فَمِنْ بَيْنِ مُصَفِّقٍ وَوَاضِعٍ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ تَعَجُّبًا وَإِنْكَارًا، وَارْتَدَّ نَاسٌ مِمَّنْ كَانَ قَدْ آمَنَ بِهِ، وَسَعَى رِجَالٌ إِلَى أَبِي بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، فَقَالَ: إِنْ كَانَ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَقَ، قَالُوا: أَتُصَدِّقُهُ عَلَى ذَلِكَ؟ قَالَ: إِنِّي لَأُصَدِّقُهُ عَلَى أَبْعَدَ مِنْ ذَلِكَ، فَسُمِّيَ الصِّدِّيقَ، وَفِيهِمْ مَنْ سَافَرَ إِلَى مَا ثَمَّ، فَاسْتَنْعَتُوهُ الْمَسْجِدَ فَجُلِّيَ لَهُ بَيْتُ الْمَقْدِسِ، فَطَفِقَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَنْعَتُهُ لَهُمْ؛ فَقَالُوا: أَمَّا النَّعْتُ فَقَدْ أَصَابَ، فَقَالُوا: أَخْبِرْنَا عَنْ عِيرِنَا، فَأَخْبَرَهُمْ بِعَدَدِ جِمَالِهَا وَأَحْوَالِهَا، وَقَالَ: تَقْدُمُ يَوْمَ كَذَا مَعَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، يَقْدُمُهَا جَمَلٌ أَوْرَقُ، فَخَرَجُوا يَشْتَدُّونَ ذَلِكَ الْيَوْمَ نَحْوَ الثَّنِيَّةِ، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: هَذِهِ وَاللَّهِ الشَّمْسُ قَدْ شَرِقَتْ، فَقَالَ آخَرُ: وَهَذِهِ وَاللَّهِ الْعِيرُ قَدْ أَقْبَلَتْ يَقْدُمُهَا جَمَلٌ أَوْرَقُ كَمَا قَالَ مُحَمَّدٌ؛ ثُمَّ لَمْ يُؤْمِنُوا وَقَالُوا: مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ، وَقَدْ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية 79.

فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَكَانَ الْعُرُوجُ بِهِ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَخْبَرَ قُرَيْشًا أَيْضًا بِمَا رَأَى فِي السَّمَاءِ مِنَ الْعَجَائِبِ، وَأَنَّهُ لَقِيَ الْأَنْبِيَاءَ، وَبَلَغَ الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ وَسِدْرَةَ الْمُنْتَهَى.

وَاخْتَلَفُوا فِي وَقْتِ الْإِسْرَاءِ، فَقِيلَ: كَانَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِسَنَةٍ.

وَعَنْ أَنَسٍ وَالْحَسَنِ أَنَّهُ كَانَ قَبْلَ الْبَعْثِ.

وَاخْتُلِفَ فِي أَنَّهُ كَانَ فِي الْيَقَظَةِ أَمْ فِي الْمَنَامِ؟

فَعَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- أَنَّهَا قَالَتْ: "وَاللَّهِ، مَا فُقِدَ جَسَدُ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَلَكِنْ عُرِجَ بِرُوحِهِ".

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ: إِنَّمَا عُرِجَ بِرُوحِهِ، وَعَنِ الْحَسَنِ: كَانَ فِي الْمَنَامِ رُؤْيَا رَآهَا، وَأَكْثَرُ الْأَقَاوِيلِ بِخِلَافِ ذَلِكَ، وَالْمَسْجِدُ الْأَقْصَى: بَيْتُ الْمَقْدِسِ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ حِينَئِذٍ وَرَاءَهُ مَسْجِدٌ.

﴿بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾[1]: يُرِيدُ بَرَكَاتِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، لِأَنَّهُ مُتَعَبَّدُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ وَقْتِ مُوسَى وَمَهْبِطُ الْوَحْيِ، وَهُوَ مَحْفُوفٌ بِالْأَنْهَارِ الْجَارِيَةِ وَالْأَشْجَارِ الْمُثْمِرَةِ.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ: "لِيُرِيَهُ" بِالْيَاءِ، وَلَقَدْ تَصَرَّفَ الْكَلَامُ عَلَى لَفْظِ الْغَائِبِ وَالْمُتَكَلِّمِ، فَقِيلَ: أَسْرَى بِهِ ثُمَّ بَارَكْنَا لِيُرِيَهُ، عَلَى قِرَاءَةِ الْحَسَنِ: "ثُمَّ مِنْ آيَاتِنَا"، "ثُمَّ إِنَّهُ هُوَ"، وَهِيَ طَرِيقَةُ الِالْتِفَاتِ الَّتِي هِيَ مِنْ طُرُقِ الْبَلَاغَةِ.

﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾[2]: لِأَقْوَالِ مُحَمَّدٍ.

﴿الْبَصِيرُ﴾[3]: بِأَفْعَالِهِ، الْعَالِمُ بِتَهَذُّبِهَا وَخُلُوصِهَا، فَيُكْرِمُهُ وَيُقَرِّبُهُ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ.

﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾[4]

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

﴿أَلا تَتَّخِذُوا﴾[1]: قُرِئَ بِالْيَاءِ عَلَى: "لِئَلَّا يَتَّخِذُوا"، وَبِالتَّاءِ عَلَى أَيْ: "لَا تَتَّخِذُوا"، كَقَوْلِكَ: كَتَبْتُ إِلَيْهِ أَنِ افْعَلْ كَذَا.

﴿وَكِيلًا﴾[2]: رَبًّا تَكِلُونَ إِلَيْهِ أُمُورَكُمْ.

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا﴾[3]: نَصْبٌ عَلَى الِاخْتِصَاصِ.

وَقِيلَ: عَلَى النِّدَاءِ فِيمَنْ قَرَأَ: "لَا تَتَّخِذُوا" بِالتَّاءِ عَلَى النَّهْيِ، يَعْنِي: قُلْنَا لَهُمْ: لَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا يَا ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا.

﴿مَعَ نُوحٍ﴾[4]: وَقَدْ يُجْعَلُ "وَكِيلًا ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا" مَفْعُولَيْ تَتَّخِذُوا، أَيْ: لَا تَجْعَلُوهُمْ أَرْبَابًا، كَقَوْلِهِ: ﴿وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾[5]، وَمِنْ ذُرِّيَّةِ الْمَحْمُولِينَ مَعَ نُوحٍ عِيسَى وَعُزَيْرٌ –عَلَيْهِمُ السَّلَامُ–.

وَقُرِئَ: "ذَرِّيَّةُ مَنْ حَمَلْنَا": بِالرَّفْعِ بَدَلًا مِنْ وَاوِ "تَتَّخِذُواْ"، وَقَرَأَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ: "ذِرِّيَّةَ" بِكَسْرِ الذَّالِ.

وَرُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَدْ فَسَّرَهَا بِوَلَدِ الْوَلَدِ، ذَكَّرَهُمُ اللَّهُ النِّعْمَةَ فِي إِنْجَاءِ ابَائِهِمْ مِنَ الْغَرَقِ.

﴿إِنَّهُ﴾[6]: إِنَّ نُوحًا، ﴿كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾[7]، قِيلَ: كَانَ إِذَا أَكَلَ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي، وَلَوْ شَاءَ أَجَاعَنِي، وَإِذَا شَرِبَ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَقَانِي، وَلَوْ شَاءَ أَظْمَأَنِي، وَإِذَا اكْتَسَى قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي، وَلَوْ شَاءَ أَعْرَانِي، وَإِذَا احْتَذَى قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَذَانِي، وَلَوْ شَاءَ أَحْفَانِي، وَإِذَا قَضَى حَاجَتَهُ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَخْرَجَ عَنِّي أَذَاهُ فِي عَافِيَةٍ، وَلَوْ شَاءَ حَبَسَهُ.

وَرُوِيَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَرَادَ الْإِفْطَارَ، عَرَضَ طَعَامَهُ عَلَى مَنْ امَنَ بِهِ، فَإِنْ وَجَدَهُ مُحْتَاجًا اثَرَهُ بِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: قَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾[8] مَا وَجْهُ مُلَاءَمَتِهِ لِمَا قَبْلَهُ؟

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[5] سورة آلُ عِمْرَانَ، الآية 80.

[6] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[7] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[8] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

قُلْتُ: كَأَنَّهُ قِيلَ: لَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا، وَلَا تُشْرِكُوا بِي، لِأَنَّ نُوحًا –عَلَيْهِ السَّلَامُ– كَانَ عَبْدًا شَكُورًا، وَأَنْتُمْ ذُرِّيَّةُ مَنْ امَنَ بِهِ وَحُمِلَ مَعَهُ، فَاجْعَلُوهُ أُسْوَتَكُمْ كَمَا جَعَلَهُ آبَاؤُكُمْ أُسْوَتَهُمْ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَعْلِيلًا لِاخْتِصَاصِهِمْ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ أَوْلَادُ الْمَحْمُولِينَ مَعَ نُوحٍ، فَهُمْ مُتَّصِلُونَ بِهِ، فَاسْتَأْهَلُوا لِذَلِكَ الِاخْتِصَاصَ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ عِنْدَ ذِكْرِهِ عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِطْرَادِ.

﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولا ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾[1]

﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[2]: وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ وَحْيًا مَقْضِيًّا، أَيْ: مَقْطُوعًا مَبْتُوتًا بِأَنَّهُمْ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ لَا مَحَالَةَ، وَيَعْلُونَ أَيْ: يَتَعَظَّمُونَ وَيَبْغُونَ.

﴿فِي الْكِتَابِ﴾[3]: فِي التَّوْرَاةِ.

وَ﴿لَتُفْسِدُنَّ﴾[4]: جَوَابُ قِسْمٍ مَحْذُوفٍ، وَيَجُوزُ أَنْ يُجْرَى الْقَضَاءُ الْمَبْتُوتُ مَجْرَى الْقَسَمِ.

فَيَكُونُ ﴿لَتُفْسِدُنَّ﴾[5]: جَوَابًا لَهُ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَأَقْسَمْنَا لَتُفْسِدُنَّ.

وَقُرِئَ: "لَتُفْسَدُنَّ" عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ، "وَلَتَفْسَدُنَّ" بِفَتْحِ التَّاءِ مَنْ فَسَدَ، ﴿مَرَّتَيْنِ﴾[6]:

– أُولَاهُمَا: قَتْلُ زَكَرِيَّا وَحَبْسُ أَرْمِيَا حِينَ أَنْذَرَهُمْ سُخْطَ اللَّهِ.

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[5] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[6] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

– وَالْاخِرَةُ: قَتْلُ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا وَقَصْدُ قَتْلِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ.

﴿عِبَادًا لَنَا﴾[1]: وَقُرِئَ: "عَبِيدًا لَنَا"، وَأَكْثَرُ مَا يُقَالُ: عِبَادُ اللَّهِ وَعَبِيدُ النَّاسِ: سِنْحَارِيبُ وَجُنُودُهُ، وَقِيلَ: بُخْتَنَصَّرُ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: جَالُوتُ، قَتَلُوا عُلَمَاءَهُمْ وَأَحْرَقُوا التَّوْرَاةَ، وَخَرَّبُوا الْمَسْجِدَ، وَسَبَوْا مِنْهُمْ سَبْعِينَ أَلْفًا.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ جَازَ أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ الْكَفَرَةَ عَلَى ذَلِكَ وَيُسَلِّطَهُمْ عَلَيْهِ؟

قُلْتُ: مَعْنَاهُ: خَلَّيْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا فَعَلُوا وَلَمْ نَمْنَعْهُمْ، عَلَى أَنَّ اللَّهَ –عَزَّ وَعَلَا– أَسْنَدَ بَعْثَ الْكَفَرَةِ عَلَيْهِمْ إِلَى نَفْسِهِ، فَهُوَ كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[2]، وَكَقَوْلِ الدَّاعِي، وَخَالِفْ بَيْنَ كَلِمِهِمْ، وَأَسْنَدَ الْجَوْسَ، وَهُوَ التَّرَدُّدُ خِلَالَ الدِّيَارِ بِالْفَسَادِ إِلَيْهِمْ، فَتَخْرِيبُ الْمَسْجِدِ وَإِحْرَاقُ التَّوْرَاةِ مِنْ جُمْلَةِ الْجَوْسِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِمْ.

وَقَرَأَ طَلْحَةُ: "فَحَاسُوا" بِالْحَاءِ، وَقُرِئَ: "فَجَوَّسُوا"، وَخَلَلَ الدِّيَارِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى: ﴿وَعْدُ أُولاهُمَا﴾[3]؟

قُلْتُ: مَعْنَاهُ: وَعْدُ عِقَابِ أُولَاهُمَا.

﴿وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولا﴾[4]، يَعْنِي: وَكَانَ وَعْدُ الْعِقَابِ وَعْدًا لَا بُدَّ أَنْ يُفْعَلَ.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا﴾[5]، أَيْ: الدَّوْلَةَ وَالْغَلَبَةَ عَلَى الَّذِينَ بُعِثُوا عَلَيْكُمْ حِينَ ثُبْتُمْ وَرَجَعْتُمْ عَنِ الْفَسَادِ وَالْعُلُوِّ.

قِيلَ: هِيَ قَتْلُ بُخْتَنَصَّرَ، وَاسْتِنْقَاذُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَسْرَاهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، وَرُجُوعُ الْمُلْكِ إِلَيْهِمْ، وَقِيلَ: هِيَ قَتْلُ دَاوُدَ جَالُوتَ.

﴿أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾[6]: مِمَّا كُنْتُمْ، وَالتَّنْفِيرُ: مَنْ يَنْفِرُ مَعَ الرَّجُلِ مِنْ قَوْمِهِ.

وَقِيلَ: جَمْعُ نَفَرٍ كَالْعَبِيدِ وَالْمَعِيزِ.

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْأَنْعَامُ، الآية 129.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[5] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[6] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾[1]

أَيْ: الْإِحْسَانُ وَالْإِسَاءَةُ: كِلَاهُمَا مُخْتَصٌّ بِأَنْفُسِكُمْ، لَا يَتَعَدَّى النَّفْعُ وَالضَّرَرُ إِلَى غَيْرِكُمْ.

وَعَنْ عَلِيٍّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: مَا أَحْسَنْتُ إِلَى أَحَدٍ وَلَا أَسَأْتُ إِلَيْهِ، وَتَلَاهَا: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ﴾[2]: الْمَرَّةِ، ﴿الْآخِرَةِ﴾[3]: بَعَثْنَاهُمْ، ﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾[4]: حُذِفَ لِدَلَالَةِ ذِكْرِهِ أَوَّلًا عَلَيْهِ.

وَمَعْنَى: ﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾[5]: لِيَجْعَلُوهَا بَادِيَةً آثَارُ الْمَسَاءَةِ وَالْكَآبَةِ فِيهَا، كَقَوْلِهِ: ﴿سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[6].

وَقُرِئَ: "لِيَسُوءَ"، وَالضَّمِيرُ لِلَّهِ –تَعَالَى–، أَوْ لِلْوَعْدِ، أَوْ لِلْبَعْثِ، "وَلِنَسُوءَ": بِالنُّونِ.

وَفِي قِرَاءَةِ عَلِيٍّ: " لِنَسُوأَنَّ"، "وَلِيَسُوأَنَّ".

وَقُرِئَ: "لِنَسُوأَنْ" بِالنُّونِ الْخَفِيفَةِ.

وَاللَّامُ فِي ﴿لِيَدْخُلُوا﴾[7]: عَلَى هَذَا مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ، وَهُوَ: وَبَعَثْنَاهُمْ لِيَدْخُلُوا، وَلِنَسُوأَنَّ: جَوَابٌ إِذَا جَاءَ.

﴿مَا عَلَوْا﴾[8]: مَفْعُولٌ لِيُتَبِّرُوا، أَيْ: لِيُهْلِكُوا كُلَّ شَيْءٍ غَلَبُوهُ وَاسْتَوْلَوْا عَلَيْهِ، أَوْ بِمَعْنَى: مُدَّةِ عُلُوِّهِمْ.

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[5] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[6] سورة الْمَائِدَةُ، الآية 27.

[7] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[8] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا
وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾[1]

﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ﴾[2]: بَعْدَ الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ إِنْ تُبْتُمْ تَوْبَةً أُخْرَى وَانْزَجَرْتُمْ عَنِ الْمَعَاصِي.

﴿وَإِنْ عُدْتُمْ﴾[3]: مَرَّةً ثَالِثَةً.

﴿عُدْنَا﴾[4]: إِلَى عُقُوبَتِكُمْ وَقَدْ عَادُوا، فَأَعَادَ اللَّهُ إِلَيْهِمُ النِّقْمَةَ، بِتَسْلِيطِ الْأَكَاسِرَةِ وَضَرْبِ الْأَتَاوَةِ عَلَيْهِمْ.

وَعَنِ الْحَسَنِ: عَادُوا فَبَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا، فَهُمْ يُعْطُونَ الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ.

وَعَنْ قَتَادَةَ: ثُمَّ كَانَ آخِرُ ذَلِكَ أَنْ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الْعَرَبِ، فَهُمْ مِنْهُمْ فِي عَذَابٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

(وَجَعَلْنَاهُ): مُحْصَرٌ وَحَصِيرٌ.

وَعَنِ الْحَسَنِ: بِسَاطًا كَمَا يُبْسَطُ الْحَصِيرُ الْمَرْمُولُ.

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ
لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا وَأَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ
أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[5]

﴿لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[6]: لِلْحَالَةِ الَّتِي هِيَ أَقْوَمُ الْحَالَاتِ وَأَسَدُّهَا، أَوْ لِلْمِلَّةِ، أَوْ لِلطَّرِيقَةِ، وَأَيْنَمَا قَدَّرْتَ لَمْ تَجِدْ مَعَ الْإِثْبَاتِ ذَوْقَ الْبَلَاغَةِ الَّذِي تَجِدُهُ مَعَ الْحَذْفِ، لِمَا فِي إِبْهَامِ الْمَوْصُوفِ بِحَذْفِهِ مِنْ فَخَامَةٍ تُفْقَدُ مَعَ إِيضَاحِهِ، وَقُرِئَ: "وَيُبْشِرُ": بِالتَّخْفِيفِ.

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[5] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[6] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ ذَكَرَ الْمُؤْمِنِينَ الْأَبْرَارَ وَالْكُفَّارَ وَلَمْ يَذْكُرِ الْفَسَقَةَ؟

قُلْتُ: كَانَ النَّاسُ حِينَئِذٍ إِمَّا مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَإِمَّا مُشْرِكٌ، وَإِنَّمَا حَدَّثَ أَصْحَابَ الْمَنْزِلَةِ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ بَعْدَ ذَلِكَ .

فَإِنْ قُلْتَ: عَلَامَ عُطِفَ: ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾[1]؟

قُلْتُ: عَلَى: ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[2]: عَلَى مَعْنَى: أَنَّهُ بَشَّرَ الْمُؤْمِنِينَ بِبِشَارَتَيْنِ اثْنَتَيْنِ: بِثَوَابِهِمْ، وَبِعِقَابِ أَعْدَائِهِمْ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ: وَيُخْبِرُ بِأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ مُعَذَّبُونَ.

﴿وَيَدْعُ الإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنْسَانُ عَجُولا﴾[3]

أَيْ: وَيَدْعُو اللَّهَ عِنْدَ غَضَبِهِ بِالشَّرِّ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ، كَمَا يَدْعُوهُ لَهُمْ بِالْخَيْرِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ﴾[4].

﴿وَكَانَ الإِنْسَانُ عَجُولا﴾[5]: يَتَسَرَّعُ إِلَى طَلَبِ كُلِّ مَا يَقَعُ فِي قَلْبِهِ وَيَخْطُرُ بِبَالِهِ، لَا يَتَأَنَّى فِيهِ تَأَنِّيَ الْمُتَبَصِّرِ.

وَعَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–أَنَّهُ دَفَعَ إِلَى سَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ أَسِيرًا، فَأَقْبَلَ يَئِنُّ بِاللَّيْلِ، فَقَالَتْ لَهُ: مَالَكَ تَئِنُّ؟ فَشَكَا أَلَمَ الْقَدِّ، فَأَرْخَتْ مِنْ كِتَافِهِ، فَلَمَّا نَامَتْ، أَخْرَجَ يَدَهُ وَهَرَبَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– دَعَا بِهِ فَأُعْلِمَ بِشَأْنِهِ، فَقَالَ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "اللَّهُمَّ اقْطَعْ يَدَيْهَا" فَرَفَعَتْ سَوْدَةُ يَدَيْهَا تَتَوَقَّعُ الْإِجَابَةَ، وَأَنْ يَقْطَعَ اللَّهُ يَدَيْهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "إِنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لَعْنَتِي وَدُعَائِي عَلَى مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ مِنْ أَهْلِي رَحْمَةً لِأَنِّي بَشَرٌ أَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ فَلْتَرُدَّ سَوْدَةُ يَدَيْهَا".

وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِالْإِنْسَانِ الْكَافِرَ، وَأَنَّهُ يَدْعُو بِالْعَذَابِ اسْتِهْزَاءً وَيَسْتَعْجِلُ بِهِ، كَمَا يَدْعُو بِالْخَيْرِ إِذَا مَسَّتْهُ الشِّدَّةُ.

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[4] سورة يُونُسُ، الآية **11**.

[5] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾[1]، يَعْنِي: أَنَّ الْعَذَابَ آتِيهِ لَا مَحَالَةَ، فَمَا هَذَا الِاسْتِعْجَالُ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–: هُوَ النَّضْرُ بْنُ الْحَرْثِ قَالَ: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ﴾[2] الْآيَةُ، فَأُجِيبَ لَهُ، فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ صَبْرًا.

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلا﴾[3]

فِيهِ وَجْهَانِ:

– أَحَدُهُمَا: أَنْ يُرَادَ أَنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَانِ فِي أَنْفُسِهِمَا، فَتَكُونُ الْإِضَافَةُ فِي آيَةِ اللَّيْلِ وَآيَةِ النَّهَارِ لِلتَّبْيِينِ، كَإِضَافَةِ الْعَدَدِ إِلَى الْمَعْدُودِ، أَيْ: فَمَحَوْنَا الْآيَةَ الَّتِي هِيَ اللَّيْلُ، وَجَعَلْنَا الْآيَةَ الَّتِي هِيَ النَّهَارُ مُبْصِرَةً.

– وَالثَّانِي: أَنْ يُرَادَ: وَجَعَلْنَا نَيِّرَيِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَتَيْنِ، يُرِيدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ: أَيْ: جَعَلْنَا اللَّيْلَ مَمْحُوَّ الضَّوْءِ مَطْمُوسَهُ مُظْلِمًا، لَا يُسْتَبَانُ فِيهِ شَيْءٌ كَمَا لَا يُسْتَبَانُ مَا فِي اللَّوْحِ الْمَمْحُوِّ، وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مُبْصِرًا، أَيْ: تُبْصَرُ فِيهِ الْأَشْيَاءُ وَتُسْتَبَانُ، أَوْ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ: الَّتِي هِيَ الْقَمَرُ، حَيْثُ لَمْ يُخْلَقْ لَهَا شُعَاعًا كَشُعَاعِ الشَّمْسِ، فَتُرَى بِهِ الْأَشْيَاءُ رُؤْيَةً بَيِّنَةً؛ وَجَعَلْنَا الشَّمْسَ ذَاتَ شُعَاعٍ يُبْصِرُ فِي ضَوْئِهَا كُلَّ شَيْءٍ.

﴿لِتَبْتَغُوا فَضْلا مِنْ رَبِّكُمْ﴾[4]: لِتَتَوَصَّلُوا بِبَيَاضِ النَّهَارِ إِلَى ابْتِغَانِ أَعْمَالِكُمْ وَالتَّصَرُّفِ فِي مَعَايِشِكُمْ، ﴿وَلِتَعْلَمُوا﴾[5]: بِاخْتِلَافِ الْجَدِيدَيْنِ.

﴿عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾[6]: جِنْسَ، (الْحِسَابِ): وَمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْهُ وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمَا عَلِمَ أَحَدٌ حُسْبَانَ الْأَوْقَاتِ، وَلَتَعَطَّلَتِ الْأُمُورُ.

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[5] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[6] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾[1]: مِمَّا تَفْتَقِرُونَ إِلَيْهِ فِي دِينِكُمْ وَدُنْيَاكُمْ.

﴿فَصَّلْنَاهُ﴾[2]: بَيَّنَاهُ بَيَانًا غَيْرَ مُلْتَبِسٍ، فَأَزَحْنَا عِلَلَكُمْ، وَمَا تَرَكْنَا لَكُمْ حُجَّةً عَلَيْنَا.

﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[3]

﴿طَائِرَهُ﴾[4]: عَمَلَهُ، وَقَدْ حَقَّقْنَا الْقَوْلَ فِيهِ فِي سُورَةِ النَّمْلِ.

وَعَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ: هُوَ مِنْ قَوْلِكَ: طَارَ لَهُ سَهْمٌ، إِذَا خَرَجَ، يَعْنِي: أَلْزَمْنَاهُ مَا طَارَ مِنْ عَمَلِهِ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّ عَمَلَهُ لَازِمٌ لَهُ لُزُومَ الْقِلَادَةِ أَوِ الْغُلِّ لَا يُفَكُّ عَنْهُ، وَمِنْهُ مَثَلُ الْعَرَبِ: تَقَلَّدَهَا طَوْقُ الْحَمَامَةِ، وَقَوْلُهُمْ: الْمَوْتُ فِي الرِّقَابِ، وَهَذَا وَبْقَةٌ فِي رَقَبَتِهِ.

عَنِ الْحَسَنِ: يَا ابْنَ آدَمَ، بُسِطَتْ لَكَ صَحِيفَةٌ إِذَا بُعِثْتَ قُلِّدْتَهَا فِي عُنُقِكَ.

وَقُرِئَ: "فِي عُنْقِهِ": بِسُكُونِ النُّونِ.

وَقُرِئَ: "وَنُخْرِجُ" بِالنُّونِ، "وَيُخْرِجُ" بِالْيَاءِ، وَالضَّمِيرُ لِلَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، "وَيُخْرَجُ" عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ، وَيَخْرُجُ مِنْ خَرَجَ، وَالضَّمِيرُ لِلطَّائِرِ، أَيْ: يَخْرُجُ الطَّائِرُ كِتَابًا.

وَانْتِصَابُ ﴿كِتَابًا﴾[5] عَلَى الْحَالِ، وَقُرِئَ: "يُلَقَّاهُ": بِالتَّشْدِيدِ مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ.

﴿وَيَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾[6]: صِفَتَانِ لِلْكِتَابِ، أَوْ ﴿يَلْقَاهُ﴾[7]: صِفَةٌ، وَ﴿مَنْشُورًا﴾[8]: حَالٌ مِنْ يَلْقَاهُ.

﴿اقْرَأْ﴾[9]: عَلَى إِرَادَةِ الْقَوْلِ.

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[5] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[6] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[7] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[8] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[9] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

وَعَنْ قَتَادَةَ: يَقْرَأُ ذَلِكَ الْيَوْمَ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا قَارِئًا.

وَ﴿بِنَفْسِكَ﴾[1]: فَاعِلُ كَفَى.

وَ﴿حَسِيبًا﴾[2]: تَمْيِيزٌ، وَهُوَ بِمَعْنَى: حَاسِبٍ كَضَرِيبِ الْقِدَاحِ بِمَعْنَى: ضَارِبُهَا، وَصَرِيمٍ بِمَعْنَى: صَارِمٍ، ذَكَرَهُمَا سِيبَوَيْهِ، وَعَلَى مُتَعَلِّقٌ بِهِ مِنْ قَوْلِكَ حَسَبَ عَلَيْهِ كَذَا.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى: الْكَافِي وُضِعَ مَوْضِعَ الشَّهِيدِ فَعُدِّيَ بِعَلَى، لِأَنَّ الشَّاهِدَ يَكْفِي الْمُدَّعِيَ مَا أَهَمَّهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ ذَكَرَ حَسِيبًا؟

قُلْتُ: لِأَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ الشَّهِيدِ وَالْقَاضِي وَالْأَمِيرِ، لِأَنَّ الْغَالِبَ أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ يَتَوَلَّاهَا الرِّجَالُ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: كَفَى بِنَفْسِكَ رَجُلًا حَسِيبًا، وَيَجُوزُ أَنْ يَتَأَوَّلَ النَّفْسَ بِالشَّخْصِ، كَمَا يُقَالُ: ثَلَاثَةُ أَنْفُسٍ، وَكَانَ الْحَسَنُ –إِذَا قَرَأَهَا– قَالَ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَنْصَفَكَ وَاللَّهِ مَنْ جَعَلَكَ حَسِيبَ نَفْسِكَ.

﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا﴾[3]

أَيْ: كُلُّ نَفْسٍ حَامِلَةٌ وِزْرًا، فَإِنَّمَا تَحْمِلُ وِزْرَهَا لَا وِزْرَ نَفْسٍ أُخْرَى.

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾[4]: وَمَا صَحَّ مِنَّا صِحَّةً تَدْعُو إِلَيْهَا الْحِكْمَةُ أَنْ نُعَذِّبَ قَوْمًا إِلَّا بَعْدَ أَنْ ﴿نَبْعَثَ﴾: إِلَيْهِمْ، ﴿رَسُولاً﴾: فَتَلْزَمَهُمُ الْحُجَّةُ.

فَإِنْ قُلْتَ: الْحُجَّةُ لَازِمَةٌ لَهُمْ قَبْلَ بَعْثَةِ الرُّسُلِ، لِأَنَّ مَعَهُمْ أَدِلَّةَ الْعَقْلِ الَّتِي بِهَا يُعْرَفُ اللَّهُ، وَقَدْ أَغْفَلُوا النَّظَرَ وَهُمْ مُتَمَكِّنُونَ مِنْهُ، وَاسْتِيجَابُهُمُ الْعَذَابَ، لِإِغْفَالِهِمُ النَّظَرَ فِيمَا مَعَهُمْ، وَكُفْرِهِمْ لِذَلِكَ، لَا لِإِغْفَالِ الشَّرَائِعِ الَّتِي لَا سَبِيلَ إِلَيْهَا إِلَّا بِالتَّوْقِيفِ، وَالْعَمَلُ بِهَا لَا يَصِحُّ إِلَّا بَعْدَ الْإِيمَانِ.

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

قُلْتُ: بَعْثَةُ الرُّسُلِ مِنْ جُمْلَةِ التَّنْبِيهِ عَلَى النَّظَرِ وَالْإِيقَاظِ مِنْ رَقْدَةِ الْغَفْلَةِ، لِئَلَّا يَقُولُوا: كُنَّا غَافِلِينَ، فَلَوْلَا بَعْثَ إِلَيْنَا رَسُولًا يُنَبِّهُنَا عَلَى النَّظَرِ فِي أَدِلَّةِ الْعَقْلِ.

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾[1]

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا﴾[2]: وَإِذَا دَنَا وَقْتُ إِهْلَاكِ قَوْمٍ وَلَمْ يَبْقَ مِنْ زَمَانِ إِمْهَالِهِمْ إِلَّا قَلِيلٌ، أَمَرْنَاهُمْ.

﴿فَفَسَقُوا﴾[3]، أَيْ: أَمَرْنَاهُمْ بِالْفِسْقِ فَفَعَلُوا، وَالْأَمْرُ مَجَازٌ، لِأَنَّ حَقِيقَةَ أَمْرِهِمْ بِالْفِسْقِ أَنْ يَقُولَ لَهُمُ: افْسُقُوا؛ وَهَذَا لَا يَكُونُ، فَبَقِيَ أَنْ يَكُونَ مَجَازًا.

وَوَجْهُ الْمَجَازِ: أَنَّهُ صَبَّ عَلَيْهِمُ النِّعْمَةَ صَبًّا، فَجَعَلُوهَا ذَرِيعَةً إِلَى الْمَعَاصِي وَاتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ، فَكَأَنَّهُمْ مَأْمُورُونَ بِذَلِكَ لِتَسَبُّبِ إِيلَاءِ النِّعْمَةِ فِيهِ، وَإِنَّمَا خَوَّلَهُمْ إِيَّاهَا لِيَشْكُرُوا وَيَعْمَلُوا فِيهَا الْخَيْرَ وَيَتَمَكَّنُوا مِنَ الْإِحْسَانِ وَالْبِرِّ، كَمَا خَلَقَهُمْ أَصِحَّاءَ أَقْوِيَاءَ، وَأَقْدَرَهُمْ عَلَى الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَطَلَبَ مِنْهُمْ إِيثَارَ الطَّاعَةِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ فَآثَرُوا الْفُسُوقَ، فَلَمَّا فَسَقُوا حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ، وَهُوَ كَلِمَةُ الْعَذَابِ فَدَمَّرَهُمْ.

فَإِنْ قُلْتَ: هَلَّا زَعَمْتَ أَنَّ مَعْنَاهُ: أَمَرْنَاهُمْ بِالطَّاعَةِ، فَفَسَقُوا؟

قُلْتُ: لِأَنَّ حَذْفَ مَا لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ غَيْرُ جَائِزٍ، فَكَيْفَ يُحْذَفُ مَا الدَّلِيلُ قَائِمٌ عَلَى نَقِيضِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَأْمُورَ بِهِ إِنَّمَا حُذِفَ لِأَنَّ فَسَقُوا يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَهُوَ كَلَامٌ مُسْتَفِيضٌ، يُقَالُ: أَمَرْتُهُ فَقَامَ، وَأَمَرْتُهُ فَقَرَأَ لَا يُفْهَمُ مِنْهُ إِلَّا أَنَّ الْمَأْمُورَ بِهِ قِيَامٌ أَوْ قِرَاءَةٌ، وَلَوْ ذَهَبْتَ تُقَدِّرُ غَيْرَهُ فَقَدْ رُمْتَ مِنْ مُخَاطِبِكَ عِلْمَ الْغَيْبِ، وَلَا يَلْزَمُ عَلَى هَذَا قَوْلُهُمْ: أَمَرْتُهُ فَعَصَانِي، أَوْ فَلَمْ يَمْتَثِلْ أَمْرِي، لِأَنَّ ذَلِكَ مُنَافٍ لِلْأَمْرِ مُنَاقِضٌ لَهُ، وَلَا يَكُونُ مَا يُنَاقِضُ الْأَمْرَ مَأْمُورًا بِهِ، فَكَانَ مُحَالًا أَنْ يُقْصَدَ أَصْلًا حَتَّى يُجْعَلَ دَالًّا عَلَى الْمَأْمُورِ بِهِ، فَكَانَ الْمَأْمُورُ بِهِ فِي هَذَا الْكَلَامِ غَيْرَ مَدْلُولٍ عَلَيْهِ وَلَا مَنْوِيٍّ، لِأَنَّ مَنْ يَتَكَلَّمُ بِهَذَا الْكَلَامِ، فَإِنَّهُ لَا يَنْوِي لِأَمْرِهِ مَأْمُورًا بِهِ،

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: كَانَ مِنِّي أَمْرٌ فَلَمْ تَكُنْ مِنْهُ طَاعَةٌ، كَمَا أَنَّ مَنْ يَقُولُ: فُلَانٌ يُعْطِي وَيَمْنَعُ، وَيَأْمُرُ وَيَنْهَى، غَيْرُ قَاصِدٍ إِلَى مَفْعُولٍ.

فَإِنْ قُلْتَ: هَلَّا كَانَ ثُبُوتُ الْعِلْمِ بِأَنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، وَإِنَّمَا يَأْمُرُ بِالْقَصْدِ وَالْخَيْرِ، دَلِيلًا عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ أَمَرْنَاهُمْ بِالْخَيْرِ فَفَسَقُوا؟

قُلْتُ: لَا يَصِحُّ ذَلِكَ، لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿فَفَسَقُوا﴾[1] يُدَافِعُهُ، فَكَأَنَّكَ أَظْهَرْتَ شَيْئًا وَأَنْتَ تَدَّعِي إِضْمَارَ خِلَافِهِ فَكَانَ صَرْفُ الْأَمْرِ إِلَى الْمَجَازِ هُوَ الْوَجْهَ.

وَنَظِيرُ "أَمَرَ": شَاءَ، فِي أَنَّ مَفْعُولَهُ اسْتَفَاضَ فِيهِ الْحَذْفُ، لِدَلَالَةِ مَا بَعْدَهُ عَلَيْهِ، تَقُولُ: لَوْ شَاءَ لَأَحْسَنَ إِلَيْكَ، وَلَوْ شَاءَ لَأَسَاءَ إِلَيْكَ، تُرِيدُ: لَوْ شَاءَ الْإِحْسَانَ وَلَوْ شَاءَ الْإِسَاءَةَ، فَلَوْ ذَهَبْتَ تُضْمِرُ خِلَافَ مَا أَظْهَرْتَ –وَقُلْتَ: قَدْ دَلَّتْ حَالُ مَنْ أُسْنِدَتْ إِلَيْهِ الْمَشِيئَةُ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْإِحْسَانِ أَوْ مِنْ أَهْلِ الْإِسَاءَةِ، فَاتْرُكِ الظَّاهِرَ الْمَنْطُوقَ بِهِ، وَأَضْمِرْ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ حَالُ صَاحِبِ الْمَشِيئَةِ– لَمْ تَكُنْ عَلَى سَدَادٍ.

وَقَدْ فَسَّرَ بَعْضُهُمْ ﴿أَمَرْنَا﴾[2]: بِكَثَّرْنَا، وَجَعَلَ أَمَرْتُهُ، فَأَمِرَ مِنْ بَابِ فَعَلْتُهُ فَفَعَلَ، كَثَبَرْتُهُ فَثَبِرَ.

وَفِي الْحَدِيثِ: "خَيْرُ الْمَالِ سِكَّةٌ مَأْبُورَةٌ وَمُهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ"، أَيْ: كَثِيرَةُ النِّتَاجِ.

وَرُوِيَ: أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: إِنِّي أَرَى أَمْرَكَ هَذَا حَقِيرًا، فَقَالَ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "إِنَّهُ سَيَأْمَرُ"، أَيْ: سَيَكْثُرُ وَسَيَكْبُرُ.

وَقُرِئَ: "آمَرْنَا": مِنْ أَمَرَ وَأَمَرَهُ غَيْرُهُ، "وَأَمَّرْنَا" بِمَعْنَى: أَمَرْنَا، أَوْ مِنْ أَمِرَ إِمَارَةً، وَأَمَّرَهُ اللَّهُ، أَيْ: جَعَلْنَاهُمْ أُمَرَاءَ وَسَلَّطْنَاهُمْ.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾[3]

﴿كَمْ﴾[4]: مَفْعُولُ ﴿أَهْلَكْنَا﴾[5].

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

وَ﴿مِنَ الْقُرُونِ﴾[1]: بَيَانٌ لِكَمْ وَتَمْيِيزٌ لَهُ، كَمَا يُمَيَّزُ الْعَدَدُ بِالْجِنْسِ، يَعْنِي: عَادًا وَثَمُودَ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا.

وَنَبَّهَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾[2]: عَلَى أَنَّ الذُّنُوبَ هِيَ أَسْبَابُ الْهَلَكَةِ لَا غَيْرُ، وَأَنَّهُ عَالِمٌ بِهَا وَمُعَاقِبٌ عَلَيْهَا.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾[3]

مَنْ كَانَتِ الْعَاجِلَةُ هَمَّهُ وَلَمْ يُرِدْ غَيْرَهَا كَالْكَفَرَةِ وَأَكْثَرِ الْفَسَقَةِ، تَفَضَّلْنَا عَلَيْهِ مِنْ مَنَافِعِهَا بِمَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ، فَقَيَّدَ الْأَمْرَ تَقْيِيدَيْنِ:

– أَحَدُهُمَا: تَقْيِيدُ الْمُعَجَّلِ بِمَشِيئَتِهِ.

– وَالثَّانِي: تَقْيِيدُ الْمُعَجَّلِ لَهُ بِإِرَادَتِهِ.

وَهَكَذَا الْحَالُ: تَرَى كَثِيرًا مِنْ هَؤُلَاءِ يَتَمَنَّوْنَ مَا يَتَمَنَّوْنَ وَلَا يُعْطَوْنَ إِلَّا بَعْضًا مِنْهُ، وَكَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَمَنَّوْنَ ذَلِكَ الْبَعْضَ وَقَدْ حُرِمُوهُ، فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ فَقْرُ الدُّنْيَا وَفَقْرُ الْآخِرَةِ.

وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ التَّقِيُّ، فَقَدِ اخْتَارَ مُرَادَهُ وَهُوَ غِنَى الْآخِرَةِ، فَمَا يُبَالِي: أُوتِيَ حَظًّا مِنَ الدُّنْيَا أَوْ لَمْ يُؤْتَ، فَإِنْ أُوتِيَ فِيهَا وَإِلَّا فَرُبَّمَا كَانَ الْفَقْرُ خَيْرًا لَهُ وَأَعْوَنَ عَلَى مُرَادِهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿لِمَنْ نُرِيدُ﴾[4]: بَدَلٌ مِنْ لَهُ، وَهُوَ بَدَلُ الْبَعْضِ مِنَ الْكُلِّ، لِأَنَّ الضَّمِيرَ يَرْجِعُ إِلَى "مَنْ"، وَهُوَ فِي مَعْنَى الْكَثْرَةِ.

وَقُرِئَ: "يَشَاءُ".

وَقِيلَ: الضَّمِيرُ لِلَّهِ –تَعَالَى–، فَلَا فَرْقَ إِذًا بَيْنَ الْقِرَاءَتَيْنِ فِي الْمَعْنَى.

---

[5] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِلْعَبْدِ، عَلَى أَنَّ لِلْعَبْدِ مَا يَشَاءُ مِنَ الدُّنْيَا، وَأَنَّ ذَلِكَ لِوَاحِدٍ مِنَ الدَّهْمَاءِ يُرِيدُ بِهِ اللَّهُ ذَلِكَ، وَقِيلَ: هُوَ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ، كَالْمُنَافِقِ، وَالْمُرَائِي، وَالْمُهَاجِرِ لِلدُّنْيَا، وَالْمُجَاهِدِ لِلْغَنِيمَةِ وَالذِّكْرِ، كَمَا قَالَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ".

﴿مَدْحُورًا﴾[1]: مَطْرُودًا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ.

﴿سَعْيَهَا﴾[2]: حَقَّهَا مِنَ السَّعْيِ وَكِفَاءَهَا مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، اشْتَرَطَ ثَلَاثَ شَرَائِطَ فِي كَوْنِ السَّعْيِ مَشْكُورًا: إِرَادَةُ الْآخِرَةِ بِأَنْ يَعْقِدَ بِهَا هَمَّهُ وَيَتَجَافَى عَنْ دَارِ الْغُرُورِ، وَالسَّعْيُ فِيمَا كُلِّفَ مِنَ الْفِعْلِ وَالتَّرْكِ، وَالْإِيمَانُ الصَّحِيحُ الثَّابِتُ.

وَعَنْ بَعْضِ الْمُتَقَدِّمِينَ: مَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ ثَلَاثٌ لَمْ يَنْفَعْهُ عَمَلُهُ: إِيمَانٌ ثَابِتٌ، وَنِيَّةٌ صَادِقَةٌ، وَعَمَلٌ مُصِيبٌ، وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ، وَشُكْرُ اللَّهِ: الثَّوَابُ عَلَى الطَّاعَةِ.

﴿كُلا نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ
وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾[3]

﴿كُلا﴾[4]: كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ، وَالتَّنْوِينُ عِوَضٌ مِنَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ.

﴿نُمِدُّ﴾[5] هُمْ: نَزِيدُهُمْ مِنْ عَطَائِنَا، وَنَجْعَلُ الْآنِفَ مِنْهُ مَدَدًا لِلسَّالِفِ لَا نَقْطَعُهُ، فَنَرْزُقُ الْمُطِيعَ وَالْعَاصِيَ جَمِيعًا عَلَى وَجْهِ التَّفَضُّلِ.

﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ﴾[6]: وَفَضْلُهُ.

﴿مَحْظُورًا﴾[7]، أَيْ: مَمْنُوعًا، لَا يَمْنَعُهُ مِنْ عَاصٍ لِعِصْيَانِهِ.

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[5] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[6] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[7] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾[1]

﴿انْظُرْ﴾[2]: بِعَيْنِ الِاعْتِبَارِ، "كَيْفَ": جَعَلْنَاهُمْ مُتَفَاوِتِينَ فِي التَّفَضُّلِ، وَفِي الْآخِرَةِ التَّفَاوُتُ أَكْبَرُ، لِأَنَّهَا ثَوَابٌ وَأَعْوَاضٌ وَتَفَضُّلٌ، وَكُلُّهَا مُتَفَاوِتَةٌ.

وَرُوِيَ أَنَّ قَوْمًا مِنَ الْأَشْرَافِ فَمِنْ دُونِهِمُ اجْتَمَعُوا بِبَابِ عُمَرَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–، فَخَرَجَ الْإِذْنُ لِبِلَالٍ وَصُهَيْبٍ، فَشَقَّ عَلَى أَبِي سُفْيَانَ، فَقَالَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو: إِنَّمَا أُتِينَا مِنْ قِبَلِنَا، أَنَّهُمْ دُعُوا وَدُعِينَا يَعْنِي إِلَى الْإِسْلَامِ، فَأَسْرَعُوا وَأَبْطَأْنَا. وَهَذَا بَابُ عُمَرَ، فَكَيْفَ التَّفَاوُتُ فِي الْآخِرَةِ؟! وَلَئِنْ حَسَدْتُمُوهُمْ عَلَى بَابِ عُمَرَ لَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ أَكْثَرُ، وَقُرِئَ: "وَأَكْثَرُ تَفْضِيلًا".

وَعَنْ بَعْضِهِمْ: أَيُّهَا الْمُبَاهِي بِالرَّفْعِ مِنْكَ فِي مَجَالِسِ الدُّنْيَا، أَمَا تَرْغَبُ فِي الْمُبَاهَاةِ بِالرَّفْعِ فِي مَجَالِسِ الْآخِرَةِ وَهِيَ أَكْبَرُ وَأَفْضَلُ؟

﴿لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا﴾[3]

﴿فَتَقْعُدَ﴾[4]: مِنْ قَوْلِهِمْ شَحَذَ الشَّفْرَةَ حَتَّى قَعَدَتْ، كَأَنَّهَا حَرْبَةٌ بِمَعْنَى: صَارَتْ، يَعْنِي: فَتَصِيرُ جَامِعًا عَلَى نَفْسِكَ الذَّمَّ وَمَا يَتْبَعُهُ مِنَ الْهَلَاكِ مِنْ إِلَهِكَ، وَالْخِذْلَانَ وَالْعَجْزَ عَنِ النُّصْرَةِ مِمَّنْ جَعَلْتَهُ شَرِيكًا لَهُ.

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلا كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّي ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[1]

﴿وَقَضَى رَبُّكَ﴾[2]: وَأَمَرَ أَمْرًا مَقْطُوعًا بِهِ.

﴿أَلاَّ تَعْبُدُوا﴾[3]: "أَنْ" مُفَسِّرَةٌ وَ"لَا تَعْبُدُوا": نَهْيٌ، أَوْ بِأَلَّا تَعْبُدُوا.

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[4]: وَأَحْسِنُوا بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا، أَوْ بِأَنْ تُحْسِنُوا بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا، وَقُرِئَ: "وَأَوْصَى".

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–: وَ"وَصَّى".

وَعَنْ بَعْضِ وَلَدِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ: "وَقَضَاءُ رَبِّكَ"، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ الْبَاءُ فِي ﴿بِالْوَالِدَيْنِ﴾[5] بِالْإِحْسَانِ، لِأَنَّ الْمَصْدَرَ لَا يَتَقَدَّمُ عَلَيْهِ صِلَتُهُ.

﴿إِمَّا﴾[6]: هِيَ "إِنْ" الشَّرْطِيَّةُ زِيدَتْ عَلَيْهَا "مَا" تَأْكِيدًا لَهَا، وَلِذَلِكَ دَخَلَتِ النُّونُ الْمُؤَكِّدَةُ فِي الْفِعْلِ. وَلَوْ أُفْرِدَتْ "إِنْ": لَمْ يَصِحَّ دُخُولُهَا، لَا تَقُولُ: إِنْ تُكْرِمَنَّ زَيْدًا يُكْرِمْكَ، وَلَكِنْ إِمَّا تُكْرِمَنَّهُ.

وَ﴿أَحَدُهُمَا﴾[7]: فَاعِلُ "يَبْلُغَنَّ"، وَهُوَ فِيمَنْ قَرَأَ "يَبْلُغَانِ" بَدَلٌ مِنْ أَلِفِ الضَّمِيرِ الرَّاجِعِ إِلَى الْوَالِدَيْنِ.

وَ﴿كِلَاهُمَا﴾[8]: عَطْفٌ عَلَى أَحَدِهِمَا فَاعِلًا وَبَدَلًا.

فَإِنْ قُلْتَ: لَوْ قِيلَ إِمَّا يَبْلُغَانِ كِلَاهُمَا، كَانَ كِلَاهُمَا تَوْكِيدًا لَا بَدَلًا، فَمَالَكَ زَعَمْتَ أَنَّهُ بَدَلٌ؟

قُلْتُ: لِأَنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلَى مَا لَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ تَوْكِيدًا لِلِاثْنَيْنِ، فَانْتَظَمَ فِي حُكْمِهِ، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ مِثْلَهُ.

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[5] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[6] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[7] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[8] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

فَإِنْ قُلْتَ: لَوْ أُرِيدَ تَوْكِيدُ التَّثْنِيَةِ لَقِيلَ: كِلَاهُمَا، فَحَسْبُ؛ فَلَمَّا قِيلَ: أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا، عُلِمَ أَنَّ التَّوْكِيدَ غَيْرُ مُرَادٍ، فَكَانَ بَدَلًا مِثْلَ الْأَوَّلِ.

﴿أُفٍّ﴾[1]: صَوْتٌ يَدُلُّ عَلَى تَضَجُّرٍ، وَقُرِئَ: ﴿أُفٌّ﴾[2]: بِالْحَرَكَاتِ الثَّلَاثِ مُنَوَّنًا وَغَيْرَ مُنَوَّنٍ: الْكَسْرُ عَلَى أَصْلِ الْبِنَاءِ، وَالْفَتْحُ تَخْفِيفٌ لِلضَّمَّةِ وَالتَّشْدِيدُ كَثُمَّ، وَالضَّمُّ إِتْبَاعٌ كَمُنْذُ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى عِنْدَكَ؟

قُلْتُ: هُوَ أَنْ يَكْبُرَا وَيَعْجِزَا، وَكَانَا كَلًّا عَلَى وَلَدِهِمَا لَا كَافِلَ لَهُمَا غَيْرُهُ، فَهُمَا عِنْدَهُ فِي بَيْتِهِ وَكَنَفِهِ، وَذَلِكَ أَشَقُّ عَلَيْهِ وَأَشَدُّ احْتِمَالًا وَصَبْرًا، وَرُبَّمَا تَوَلَّى مِنْهُمَا مَا كَانَا يَتَوَلَّيَانِ مِنْهُ فِي حَالِ الطُّفُولَةِ، فَهُوَ مَأْمُورٌ بِأَنْ يَسْتَعْمِلَ مَعَهُمَا وَطْأَةَ الْخُلُقِ وَلِينَ الْجَانِبِ وَالِاحْتِمَالَ، حَتَّى لَا يَقُولَ لَهُمَا إِذَا أَضْجَرَهُ مَا يَسْتَقْذِرُ مِنْهُمَا أَوْ يَسْتَثْقِلُ مِنْ مُؤَنِهِمَا: ﴿أُفٍّ﴾[3]، فَضْلًا عَمَّا يَزِيدُ عَلَيْهِ.

وَلَقَدْ بَالَغَ –سُبْحَانَهُ– فِي التَّوْصِيَةِ بِهِمَا حَيْثُ افْتَتَحَهَا بِأَنْ شَفَعَ الْإِحْسَانَ إِلَيْهِمَا بِتَوْحِيدِهِ، وَنَظَمَهُمَا فِي سِلْكِ الْقَضَاءِ بِهِمَا مَعًا، ثُمَّ ضَيَّقَ الْأَمْرَ فِي مُرَاعَاتِهِمَا حَتَّى لَمْ يُرَخِّصْ فِي أَدْنَى كَلِمَةٍ تَنْفَلِتُ مِنَ الْمُتَضَجِّرِ مَعَ مُوجِبَاتِ الضَّجَرِ وَمُقْتَضَيَاتِهِ، وَمَعَ أَحْوَالٍ لَا يَكَادُ يَدْخُلُ صَبْرُ الْإِنْسَانِ مَعَهَا فِي اسْتِطَاعَةٍ.

﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾[4]: وَلَا تَزْجُرْهُمَا عَمَّا يَتَعَاطَيَانِهِ مِمَّا لَا يُعْجِبُكَ، وَالنَّهْيُ وَالنَّهْرُ وَالنَّهْمُ: أَخَوَاتٌ.

﴿وَقُلْ لَهُمَا﴾[5]: بَدَلَ التَّأْفِيفِ وَالنَّهْرِ.

﴿قَوْلًا كَرِيمًا﴾[6]: جَمِيلًا، كَمَا يَقْتَضِيهِ حُسْنُ الْأَدَبِ وَالنُّزُولُ عَلَى الْمُرُوءَةِ، وَقِيلَ: هُوَ أَنْ يَقُولَ: يَا أَبَتَاهُ، يَا أُمَّاهُ، كَمَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ: يَا أَبَتِ، مَعَ كُفْرِهِ، وَلَا يَدْعُوهُمَا بِأَسْمَائِهِمَا، فَإِنَّهُ مِنَ الْجَفَاءِ وَسُوءِ الْأَدَبِ وَعَادَةِ الدُّعَّارِ، قَالُوا: وَلَا بَأْسَ بِهِ فِي غَيْرِ وَجْهِهِ، كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا–: نَحَلَنِي أَبُو بَكْرٍ كَذَا.

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[5] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[6] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

وَقُرِئَ: ﴿جَنَاحَ الذُّلِّ﴾[1]، الذُّلُّ: بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿جَنَاحَ الذُّلِّ﴾[2]؟

قُلْتُ: فِيهِ وَجْهَانِ:

-أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَكَ، كَمَا قَالَ: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[3]، فَأَضَافَهُ إِلَى الذُّلِّ أَوِ الذِّلِّ، كَمَا أُضِيفَ حَاتِمٌ إِلَى الْجُودِ عَلَى مَعْنَى: وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَكَ الذَّلِيلَ أَوِ الذَّلُولَ.

-وَالثَّانِي: أَنْ تَجْعَلَ لِذُلِّهِ أَوْ لِذِلِّهِ لَهُمَا جَنَاحًا خَفِيضًا، كَمَا جَعَلَ لَبِيدٌ لِلشَّمَالِ يَدًا، وَلِلْقُرَّةِ زِمَامًا، مُبَالَغَةً فِي التَّذَلُّلِ وَالتَّوَاضُعِ لَهُمَا.

﴿مِنَ الرَّحْمَةِ﴾[4]: مِنْ فَرْطِ رَحْمَتِكَ لَهُمَا وَعَطْفِكَ عَلَيْهِمَا، لِكِبَرِهِمَا وَافْتِقَارِهِمَا الْيَوْمَ إِلَى مَنْ كَانَ أَفْقَرَ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيْهِمَا بِالْأَمْسِ، وَلَا تَكْتَفِ بِرَحْمَتِكَ عَلَيْهِمُ الَّتِي لَا بَقَاءَ لَهَا وَادْعُ اللَّهَ بِأَنْ يَرْحَمَهُمَا رَحْمَتَهُ الْبَاقِيَةَ، وَاجْعَلْ ذَلِكَ جَزَاءً لِرَحْمَتِهِمَا عَلَيْكَ فِي صِغَرِكَ وَتَرْبِيَتِهِمَا لَكَ.

فَإِنْ قُلْتَ: الِاسْتِرْحَامُ لَهُمَا إِنَّمَا يَصِحُّ إِذَا كَانَا مُسْلِمَيْنِ.

قُلْتُ: وَإِذَا كَانَا كَافِرَيْنِ فَلَهُ أَنْ يَسْتَرْحِمَ لَهُمَا بِشَرْطِ الْإِيمَانِ، وَأَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ لَهُمَا بِالْهِدَايَةِ وَالْإِرْشَادِ.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ قَالَ: كَانَ الدُّعَاءُ لِلْكُفَّارِ جَائِزًا ثُمَّ نُسِخَ.

وَسُئِلَ ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنِ الصَّدَقَةِ عَنِ الْمَيِّتِ، فَقَالَ: كُلُّ ذَلِكَ وَاصِلٌ إِلَيْهِ، وَلَا شَيْءَ أَنْفَعُ لَهُ مِنَ الِاسْتِغْفَارِ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ أَفْضَلَ مِنْهُ لَأَمَرَكُمْ بِهِ فِي الْأَبَوَيْنِ، وَلَقَدْ كَرَّرَ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ- فِي كِتَابِهِ الْوَصِيَّةَ بِالْوَالِدَيْنِ.

وَعَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "رِضَا اللَّهِ فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ، وَسَخَطُهُ فِي سَخَطِهِمَا".

وَرُوِيَ: "يَفْعَلُ الْبَارُّ مَا يَشَاءُ أَنْ يَفْعَلَ فَلَنْ يَدْخُلَ النَّارَ، وَيَفْعَلَ الْعَاقُّ مَا يَشَاءُ أَنْ يَفْعَلَ فَلَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ".

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْحِجْرُ، الآية 88.

[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

وَرَوَى سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ: إِنَّ الْبَارَّ لَا يَمُوتُ مِيتَةَ سُوءٍ، وَقَالَ رَجُلٌ لِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: إِنَّ أَبَوِيَّ بَلَغَا مِنَ الْكِبَرِ أَنِّي أَلِي مِنْهُمَا مَا وَلِيَا مِنِّي فِي الصِّغَرِ، فَهَلْ قَضَيْتُهُمَا؟ قَالَ: لَا، فَإِنَّهُمَا كَانَا يَفْعَلَانِ ذَلِكَ وَهُمَا يُحِبَّانِ بَقَاءَكَ، وَأَنْتَ تَفْعَلُ ذَلِكَ وَأَنْتَ تُرِيدُ مَوْتَهُمَا.

وَشَكَا رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ أَبَاهُ وَأَنَّهُ يَأْخُذُ مَالَهُ، فَدَعَا بِهِ فَإِذَا شَيْخٌ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَصًا، فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ كَانَ ضَعِيفًا وَأَنَا قَوِيٌّ، وَفَقِيرًا وَأَنَا غَنِيٌّ، فَكُنْتُ لَا أَمْنَعُهُ شَيْئًا مِنْ مَالِي، وَالْيَوْمَ أَنَا ضَعِيفٌ وَهُوَ قَوِيٌّ، وَأَنَا فَقِيرٌ وَهُوَ غَنِيٌّ، وَيَبْخَلُ عَلَيَّ بِمَالِهِ، فَبَكَى رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَقَالَ: "مَا مِنْ حَجَرٍ وَلَا مَدَرٍ يَسْمَعُ هَذَا إِلَّا بَكَى"، ثُمَّ قَالَ لِلْوَلَدِ: "أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ، أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ".

وَشَكَا إِلَيْهِ آخَرُ سُوءَ خُلُقِ أُمِّهِ، فَقَالَ: لَمْ تَكُنْ سَيِّئَةَ الْخُلُقِ حِينَ حَمَلَتْكَ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ؟ قَالَ: إِنَّهَا سَيِّئَةُ الْخُلُقِ، قَالَ: لَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ حِينَ أَرْضَعَتْكَ حَوْلَيْنِ؟ قَالَ: إِنَّهَا سَيِّئَةُ الْخُلُقِ، قَالَ: لَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ حِينَ أَسْهَرَتْ لَكَ لَيْلَهَا وَأَظْمَأَتْ نَهَارَهَا؟ قَالَ: لَقَدْ جَازَيْتُهَا، قَالَ: مَا فَعَلْتَ؟ قَالَ: حَجَجْتُ بِهَا عَلَى عَاتِقِي، قَالَ: مَا جَزَيْتَهَا وَلَوْ طَلْقَةً.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا فِي الطَّوَافِ يَحْمِلُ أُمَّهُ، وَيَقُولُ:

إِنِّي لَهَا مَطِيَّةٌ لَا تُذْعَـــــرُ إِذَا الرِّكَابُ نَفَرَتْ لا تَنْفِـرُ
مَا حَمَلَتْ وَأَرْضَعَتْنِي أَكْثَـرُ اللَّهُ رَبِّي ذُو الْجَلَالِ الْأَكْبَرُ

تَظُنُّنِي جَازَيْتُهَا يَا ابْنَ عُمَرَ؟ قَالَ: لَا، وَلَوْ زَفْرَةً وَاحِدَةً.

وَعَنْهُ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ–: "إِيَّاكُمْ وَعُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ تُوجَدُ رِيحُهَا مِنْ مَسِيرَةِ أَلْفِ عَامٍ، وَلَا يَجِدُ رِيحَهَا عَاقٌّ وَلَا قَاطِعُ رَحِمٍ وَلَا شَيْخٌ زَانٍ، وَلَا جَارٌّ إِزَارَهُ خُيَلَاءَ، إِنَّ الْكِبْرِيَاءَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ".

وَقَالَ الْفُقَهَاءُ: لَا يَذْهَبُ بِأَبِيهِ إِلَى الْبَيْعَةِ، وَإِذَا بُعِثَ إِلَيْهِ مِنْهَا لِيَحْمِلَهُ فَعَلَ، وَلَا يُنَاوِلُهُ الْخَمْرَ، وَيَأْخُذُ الْإِنَاءَ مِنْهُ إِذَا شَرِبَهَا.

وَعَنْ أَبِي يُوسُفَ: إِذَا أَمَرَهُ أَنْ يُوقِدَ تَحْتَ قِدْرِهِ وَفِيهَا لَحْمُ الْخِنْزِيرِ أَوْقَدَ.

وَعَنْ حُذَيْفَةَ أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي قَتْلِ أَبِيهِ وَهُوَ فِي صَفِّ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: دَعْهُ يَلِيهِ غَيْرُكَ.

وَسُئِلَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ عَنْ بِرِّ الْوَالِدَيْنِ، فَقَالَ: أَلَّا تَقُومَ إِلَى خِدْمَتِهِمَا عَنْ كَسَلٍ.

وَسُئِلَ بَعْضُهُمْ، فَقَالَ: أَلَّا تَرْفَعَ صَوْتَكَ عَلَيْهِمَا، وَلَا تَنْظُرَ شَزَرًا إِلَيْهِمَا، وَلَا يَرَيَا مِنْكَ مُخَالَفَةً فِي ظَاهِرٍ وَلَا بَاطِنٍ، وَأَنْ تَتَرَحَّمَ عَلَيْهِمَا مَا عَاشَا، وَتَدْعُوَ لَهُمَا إِذَا مَاتَا، وَتَقُومَ بِخِدْمَةِ

أَوِدَّائِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا؛ فَعَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "إِنَّ مِنْ أَبَرِّ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلَ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ".

﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾[1]

﴿بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾[2]: بِمَا فِي ضَمَائِرِكُمْ مِنْ قَصْدِ الْبِرِّ إِلَى الْوَالِدَيْنِ وَاعْتِقَادِ مَا يَجِبُ لَهُمَا مِنَ التَّوْقِيرِ.

﴿إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾[3]: قَاصِدِينَ الصَّلَاحَ وَالْبِرَّ، ثُمَّ فَرَطَتْ مِنْكُمْ -فِي حَالِ الْغَضَبِ، وَعِنْدَ حَرَجِ الصَّدْرِ وَمَا لَا يَخْلُو مِنْهُ الْبَشَرُ، أَوْ لِحَمِيَّةِ الْإِسْلَامِ- هَنَةٌ تُؤَدِّي إِلَى أَذَاهُمَا، ثُمَّ أَنَبْتُمْ إِلَى اللَّهِ وَاسْتَغْفَرْتُمْ مِنْهَا، فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ.

﴿لِلأَوَّابِينَ﴾[4]: لِلتَّوَّابِينَ.

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: هِيَ فِي الْبَادِرَةِ تَكُونُ مِنَ الرَّجُلِ إِلَى أَبِيهِ لَا يُرِيدُ بِذَلِكَ إِلَّا الْخَيْرَ.

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ: الْأَوَّابُ الرَّجُلُ كُلَّمَا أَذْنَبَ بَادَرَ بِالتَّوْبَةِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا عَامًّا لِكُلِّ مَنْ فَرَطَتْ مِنْهُ جِنَايَةٌ ثُمَّ تَابَ مِنْهَا، وَيَنْدَرِجُ تَحْتَهُ الْجَانِي عَلَى أَبَوَيْهِ التَّائِبُ مِنْ جِنَايَتِهِ، لِوُرُودِهِ عَلَى أَثَرِهِ.

﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾[5]

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[5] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾[1]: وَصَّى بِغَيْرِ الْوَالِدَيْنِ مِنَ الْأَقَارِبِ بَعْدَ التَّوْصِيَةِ بِهِمَا، وَأَنْ يُؤْتُوا حَقَّهُمْ: وَحَقُّهُمْ إِذَا كَانُوا مَحَارِمَ كَالْأَبَوَيْنِ وَالْوَلَدِ، وَفُقَرَاءَ عَاجِزِينَ عَنِ الْكَسْبِ، وَكَانَ الرَّجُلُ مُوسِرًا: أَنْ يُنْفِقَ عَلَيْهِمْ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ، وَالشَّافِعِيُّ لَا يَرَى النَّفَقَةَ إِلَّا عَلَى الْوَلَدِ وَالْوَالِدَيْنِ فَحَسْبُ. وَإِنْ كَانُوا مَيَاسِيرَ، أَوْ لَمْ يَكُونُوا مَحَارِمَ: كَأَبْنَاءِ الْعَمِّ، فَحَقُّهُمْ صِلَتُهُمْ بِالْمَوَدَّةِ وَالزِّيَارَةِ وَحُسْنِ الْمُعَاشَرَةِ وَالْمُؤَالَفَةِ عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْمُعَاضَدَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

(وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ)، يَعْنِي: وَآتِ هَؤُلَاءِ حَقَّهُمْ مِنَ الزَّكَاةِ.

وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِمَا يُؤْتَى ذَوِي الْقَرَابَةِ مِنَ الْحَقِّ: هُوَ تَعَهُّدُهُمْ بِالْمَالِ.

وَقِيلَ: أَرَادَ بِذِي الْقُرْبَى أَقْرِبَاءَ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

التَّبْذِيرُ: تَفْرِيقُ الْمَالِ فِيمَا لَا يَنْبَغِي، وَإِنْفَاقُهُ عَلَى وَجْهِ الْإِسْرَافِ، وَكَانَتِ الْجَاهِلِيَّةُ تَنْحَرُ إِبِلَهَا وَتَتَيَاسَرُ عَلَيْهَا وَتُبَذِّرُ أَمْوَالَهَا فِي الْفَخْرِ وَالسُّمْعَةِ، وَتَذْكُرُ ذَلِكَ فِي أَشْعَارِهَا، فَأَمَرَ اللَّهُ بِالنَّفَقَةِ فِي وُجُوهِهَا مِمَّا يُقَرِّبُ مِنْهُ وَيُزْلِفُ.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ: هُوَ إِنْفَاقُ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ: لَوْ أَنْفَقَ مُدًّا فِي بَاطِلٍ كَانَ تَبْذِيرًا وَقَدْ أَنْفَقَ بَعْضُهُمْ نَفَقَةً فِي خَيْرٍ فَأَكْثَرَ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: لَا خَيْرَ فِي السَّرَفِ، فَقَالَ: لَا سَرَفَ فِي الْخَيْرِ.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –بِسَعْدٍ، وَهُوَ يَتَوَضَّأُ، فَقَالَ: "مَا هَذَا السَّرَفُ يَا سَعْدُ؟"، قَالَ: أَوَفِي الْوُضُوءِ سَرَفٌ؟، قَالَ: "نَعَمْ وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهْرٍ جَارٍ".

﴿إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾[2]: أَمْثَالُهُمْ فِي الشَّرَارَةِ وَهِيَ غَايَةُ الْمَذَمَّةِ، لِأَنَّهُ لَا شَرَّ مِنَ الشَّيْطَانِ، أَوْ هُمْ إِخْوَانُهُمْ وَأَصْدِقَاؤُهُمْ، لِأَنَّهُمْ يُطِيعُونَهُمْ فِيمَا يَأْمُرُونَهُمْ بِهِ مِنَ الْإِسْرَافِ، أَوْ هُمْ قُرَنَاؤُهُمْ فِي النَّارِ عَلَى سَبِيلِ الْوَعِيدِ.

﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾[3]: فَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُطَاعَ، فَإِنَّهُ لَا يَدْعُو إِلَّا إِلَى مِثْلِ فِعْلِهِ.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ: "إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ".

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلا مَيْسُورًا﴾[1]

وَإِنْ أَعْرَضْتَ عَنْ ذِي الْقُرْبَى وَالْمِسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ حَيَاءً مِنَ الرَّدِّ، ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلا مَيْسُورًا﴾[2]: فَلَا تَتْرُكْهُمْ غَيْرَ مُجَابِينَ إِذَا سَأَلُوكَ، وَكَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا سُئِلَ شَيْئًا، وَلَيْسَ عِنْدَهُ أَعْرَضَ عَنِ السَّائِلِ وَسَكَتَ حَيَاءً.

قَوْلُهُ: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾[3] إِمَّا أَنْ يَتَعَلَّقَ بِجَوَابِ الشَّرْطِ مُقَدَّمًا عَلَيْهِ، أَيْ: فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا سَهْلًا لَيِّنًا وَعَدَهُمْ وَعْدًا جَمِيلًا، رَحْمَةً لَهُمْ وَتَطْيِيبًا لِقُلُوبِهِمْ، ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ، أَيْ: ابْتَغِ رَحْمَةَ اللَّهِ الَّتِي تَرْجُوهَا بِرَحْمَتِكَ عَلَيْهِمْ؛ وَإِمَّا أَنْ يَتَعَلَّقَ بِالشَّرْطِ، أَيْ: وَإِنْ أَعْرَضْتَ عَنْهُمْ لِفَقْدِ رِزْقٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُو أَنْ يَفْتَحَ لَكَ، فَسَمَّى الرِّزْقَ رَحْمَةً، فَرُدَّهُمْ رَدًّا جَمِيلًا، فَوَضَعَ الِابْتِغَاءَ مَوْضِعَ الْفَقْدِ، لِأَنَّ فَاقِدَ الرِّزْقِ مُبْتَغٍ لَهُ، فَكَانَ الْفَقْدُ سَبَبَ الِابْتِغَاءِ وَالِابْتِغَاءُ مُسَبَّبًا عَنْهُ، فَوَضَعَ الْمُسَبَّبَ مَوْضِعَ السَّبَبِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ﴾[4]: وَإِنْ لَمْ تَنْفَعْهُمْ وَلَمْ تَرْفَعْ خَصَاصَتَهُمْ لِعَدَمِ الِاسْتِطَاعَةِ، وَلَا يُرِيدُ الْإِعْرَاضَ بِالْوَجْهِ كِنَايَةً بِالْإِعْرَاضِ عَنْ ذَلِكَ، لِأَنَّ مَنْ أَبَى أَنْ يُعْطِيَ: أَعْرَضَ بِوَجْهِهِ، يُقَالُ: يَسُرَ الْأَمْرُ وَعَسُرَ، مِثْلُ سَعِدَ الرَّجُلُ وَنَحِسَ، فَهُوَ مَفْعُولٌ.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: فَقُلْ لَهُمْ رَزَقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ فَضْلِهِ، عَلَى أَنَّهُ دُعَاءٌ لَهُمْ يُيَسِّرُ عَلَيْهِمْ فَقْرَهُمْ، كَأَنَّ مَعْنَاهُ: قَوْلًا ذَا مَيْسُورٍ، وَهُوَ الْيُسْرُ، أَيْ: دُعَاءٌ فِيهِ يُسْرٌ.

﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾[5]

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[5] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

هَذَا تَمْثِيلٌ لِمَنْعِ الشَّحِيحِ وَإِعْطَاءِ الْمُسْرِفِ، وَأَمْرٌ بِالِاقْتِصَادِ الَّذِي هُوَ بَيْنَ الْإِسْرَافِ وَالتَّقْتِيرِ.

﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾[1]: فَتَصِيرُ مَلُومًا عِنْدَ اللَّهِ، لِأَنَّ الْمُسْرِفَ غَيْرُ مَرْضِيٍّ عِنْدَهُ وَعِنْدَ النَّاسِ، يَقُولُ الْمُحْتَاجُ: أَعْطَى فُلَانًا وَحَرَمَنِي، وَيَقُولُ الْمُسْتَغْنِي: مَا يُحْسِنُ تَدْبِيرَ أَمْرِ الْمَعِيشَةِ، وَعِنْدَ نَفْسِكَ: إِذَا احْتَجْتَ فَنَدِمْتَ عَلَى مَا فَعَلْتَ.

﴿مَحْسُورًا﴾[2]: مُنْقَطِعًا بِكَ لَا شَيْءَ عِنْدَكَ، مِنْ حَسَرَهُ السَّفَرُ إِذَا بَلَغَ مِنْهُ وَحَسَرَهُ بِالْمَسْأَلَةِ.

وَعَنْ جَابِرٍ: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– جَالِسٌ أَتَاهُ صَبِيٌّ فَقَالَ: إِنَّ أُمِّي تَسْتَكْسِيكَ دِرْعًا، فَقَالَ: "مِنْ سَاعَةٍ إِلَى سَاعَةٍ يَظْهَرُ، فَعُدْ إِلَيْنَا، فَذَهَبَ إِلَى أُمِّهِ فَقَالَتْ لَهُ: قُلْ لَهُ: إِنْ أُمِّي تَسْتَكْسِيكَ الدِّرْعَ الَّذِي عَلَيْكَ، فَدَخَلَ دَارَهُ وَنَزَعَ قَمِيصَهُ وَأَعْطَاهُ وَقَعَدَ عُرْيَانًا، وَأَذَّنَ بِلَالٌ وَانْتَظَرُوا، فَلَمْ يَخْرُجْ لِلصَّلَاةِ.

وَقِيلَ: أَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ وَعُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ، فَجَاءَ عَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

أَتَجْعَلُ نَهْبِي وَنَهْبَ الْعَبِيـــــ ... دَ بَيْنَ عُيَيْنَةَ وَالْأَقْـــــرَعِ؟
وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِـــسٌ ... يَفُوقَانِ جَدِّيَ فِي مَجْمَـــعِ
وَمَا كُنْتُ دُونَ امْرِيءٍ مِنْهُمَا ... ..وَمَنْ تَضَعِ الْيَوْمَ لَا يُرْفَعِ

فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، اقْطَعْ لِسَانَهُ عَنِّي، أَعْطِهِ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، فَنَزَلَتْ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾[3]

ثُمَّ سَلَّى رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَمَّا كَانَ يُرْهِقُهُ مِنَ الْإِضَافَةِ، بِأَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ لِهَوَانٍ مِنْكَ عَلَيْهِ، وَلَا لِبُخْلٍ بِهِ عَلَيْكَ، وَلَكِنْ لِأَنَّ مَشِيئَتَهُ فِي بَسْطِ الْأَرْزَاقِ وَقَدْرِهَا تَابِعَةٌ لِلْحِكْمَةِ وَالْمَصْلَحَةِ.

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ أَنَّ الْبَسْطَ وَالْقَبْضَ إِنَّمَا هُمَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ الَّذِي الْخَزَائِنُ فِي يَدِهِ، أَمَّا الْعَبِيدُ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْتَصِدُوا.

وَيُحْتَمَلَ أَنَّهُ –عَزَّ وَعَلَا– بَسَطَ لِعِبَادِهِ أَوْ قَبَضَ، فَإِنَّهُ يُرَاعِي أَوْسَطَ الْحَالَيْنِ، لَا يَبْلُغُ بِالْمَبْسُوطِ لَهُ غَايَةَ مُرَادِهِ، وَلَا بِالْمَقْبُوضِ عَلَيْهِ أَقْصَى مَكْرُوهِهِ، فَاسْتَنُّوا بِسُنَّتِهِ.

﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾[1]

قَتْلُهُمْ أَوْلَادَهُمْ: هُوَ وَأْدُهُمْ بَنَاتِهِمْ، كَانُوا يَئِدُونَهُنَّ خَشْيَةَ الْفَاقَةِ وَهِيَ الْإِمْلَاقِ، فَنَهَاهُمُ اللَّهُ وَضَمِنَ لَهُمْ أَرْزَاقَهُمْ، وَقُرِئَ "خِشْيَةَ" بِكَسْرِ الْخَاءِ.

وَقُرِئَ: "خِطَأً" وَهُوَ الْإِثْمُ، يُقَالُ: خَطِئَ خِطْأً، كَأَثِمَ إِثْمًا، وَخَطَأً وَهُوَ ضِدُّ الصَّوَابِ، اسْمٌ مِنْ أَخْطَأَ.

وَقِيلَ: هُوَ وَالْخَطَأُ كَالْحَذَرِ وَالْحِذْرِ، وَ"خِطْأً" بِالْكَسْرِ وَالْمَدِّ، وَ"خَطَاءً" بِالْفَتْحِ وَالْمَدِّ، وَ"خَطْأً" بِالْفَتْحِ وَالسُّكُونِ.

وَعَنِ الْحَسَنِ: "خَطًا" بِالْفَتْحِ وَحَذْفِ الْهَمْزَةِ كَالْخَبِّ.

وَعَنْ أَبِي رَجَاءٍ: بِكَسْرِ الْخَاءِ غَيْرَ مَهْمُوزٍ.

﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾[2]

﴿فَاحِشَةً﴾[3]: قَبِيحَةً زَائِدَةً عَلَى حَدِّ الْقُبْحِ.

﴿وَسَاءَ سَبِيلا﴾[4]: وَبِئْسَ طَرِيقًا طَرِيقَةً، وَهُوَ أَنْ تَغْصِبَ عَلَى غَيْرِكَ امْرَأَتَهُ أَوْ أُخْتَهُ أَوْ بِنْتَهُ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ؛ وَالسَّبَبُ مُمْكِنٌ، وَهُوَ الصِّهْرُ الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ.

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾[1]

﴿إِلّا بِالْحَقِّ﴾[2]: إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: إِلَّا بِأَنْ تَكْفُرَ، أَوْ تَقْتُلَ مُؤْمِنًا عَمْدًا، أَوْ تَزْنِيَ بَعْدَ إِحْصَانٍ.

﴿مَظْلُومًا﴾[3]: غَيْرَ رَاكِبٍ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ.

"لِوَلِيِّهِ": الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ قَرَابَةٌ تُوجِبُ الْمُطَالَبَةَ بِدَمِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ فَالسُّلْطَانُ وَلِيُّهُ.

"سُلْطَانًا": تَسَلُّطًا عَلَى الْقَاتِلِ فِي الِاقْتِصَاصِ مِنْهُ، أَوْ حُجَّةً يَثِبُ بِهَا عَلَيْهِ.

﴿فَلا يُسْرِفْ﴾[4]: الضَّمِيرُ: لِلْوَلِيِّ، أَيْ: فَلَا يَقْتُلْ غَيْرَ الْقَاتِلِ، وَلَا اثْنَيْنِ وَالْقَاتِلُ وَاحِدٌ، كَعَادَةِ الْجَاهِلِيَّةِ: كَانَ إِذَا قُتِلَ مِنْهُمْ وَاحِدٌ قَتَلُوا بِهِ جَمَاعَةً، حَتَّى قَالَ مُهَلْهِلُ حِينَ قُتِلَ بُحَيْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبَّادٍ: بُؤْ بِشِسْعِ نَعْلِ كَلِيبٍ.

وَقَالَ:

كُلُّ قَتِيلٍ فِي كُلَيْبٍ غُـــرَّهْ حَتَّى يَنَالَ الْقَتْلَ آلُ مُـــرَّهْ

وَكَانُوا يَقْتُلُونَ غَيْرَ الْقَاتِلِ إِذَا لَمْ يَكُنْ بَوَاءً، وَقِيلَ: الْإِسْرَافُ الْمُثْلَةُ.

وَقَرَأَ أَبُو مُسْلِمٍ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ: "فَلَا يُسْرِفُ": بِالرَّفْعِ عَلَى أَنَّهُ خَبَرٌ فِي مَعْنَى الْأَمْرِ، وَفِيهِ مُبَالَغَةٌ لَيْسَتْ فِي الْأَمْرِ.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ: أَنَّ الضَّمِيرَ لِلْقَاتِلِ الْأَوَّلِ، وَقُرِئَ: "فَلَا تُسْرِفْ": عَلَى خِطَابِ الْوَلِيِّ أَوْ قَاتِلِ الْمَظْلُومِ، وَفِي قِرَاءَةِ أُبَيٍّ: "فَلَا تُسْرِفُوا"، رَدَّهُ عَلَى: وَلَا تَقْتُلُوا.

﴿إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾[5]: الضَّمِيرُ إِمَّا لِلْوَلِيِّ، يَعْنِي: حَسْبُهُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ نَصَرَهُ بِأَنْ أَوْجَبَ لَهُ الْقِصَاصَ فَلَا يَسْتَزِدْ عَلَى ذَلِكَ، وَبِأَنَّ اللَّهَ قَدْ نَصَرَهُ بِمَعُونَةِ السُّلْطَانِ، وَبِإِظْهَارِ الْمُؤْمِنِينَ

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[5] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

عَلَى اسْتِيفَاءِ الْحَقِّ، فَلَا يَبْغِ مَا وَرَاءَ حَقِّهِ؛ وَإِمَّا لِلْمَظْلُومِ، لِأَنَّ اللَّهَ نَاصِرُهُ، وَحَيْثُ أَوْجَبَ الْقِصَاصَ بِقَتْلِهِ، وَيَنْصُرُهُ فِي الْآخِرَةِ بِالثَّوَابِ، وَإِمَّا لِلَّذِي يَقْتُلُهُ الْوَلِيُّ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيُسْرِفُ فِي قَتْلِهِ، فَإِنَّهُ مَنْصُورٌ بِإِيجَابِ الْقِصَاصِ عَلَى الْمُسْرِفِ.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولًا﴾[1]

﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[2]: بِالْخَصْلَةِ أَوِ الطَّرِيقَةِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، وَهِيَ حِفْظُهُ عَلَيْهِ وَتَثْمِيرُهُ.

﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولًا﴾[3]، أَيْ: مَطْلُوبًا يُطْلَبُ مِنَ الْمَعَاهَدِ أَنْ لَا يُضَيِّعَهُ وَيَفِيَ بِهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَخْيِيلًا، كَأَنَّهُ يُقَالُ لِلْعَهْدِ: لِمَ نُكِثْتَ؟ وَهَلَّا وُفِّيَ بِكَ؟ تَبْكِيتًا لِلنَّاكِثِ، كَمَا يُقَالُ لِلْمَوْؤُودَةِ: ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾[4]؟

وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ أَنَّ صَاحِبَ الْعَهْدِ كَانَ مَسْؤُولًا.

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[5]

وَقُرِئَ: ﴿بِالْقِسْطَاسِ﴾[6]: بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ، وَهُوَ الْقُرْسْطُونَ.

وَقِيلَ: كُلُّ مِيزَانٍ صَغُرَ أَوْ كَبُرَ مِنْ مَوَازِينِ الدَّرَاهِمِ وَغَيْرِهَا.

﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[7]: وَأَحْسَنُ عَاقِبَةً، وَهُوَ تَفْعِيلٌ، مِنَ آلَ إِذَا رَجَعَ، وَهُوَ مَا يَؤُولُ إِلَيْهِ.

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[5] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[6] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[7] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا﴾[1]

﴿وَلا تَقْفُ﴾[2]: وَلَا تَتْبَعْ. وَقُرِئَ:

﴿وَلَا تَقْفُ﴾[3]، يُقَالُ: قَفَا أَثَرَهُ وَقَافَهُ، وَمِنْهُ: الْقَافَةُ، يَعْنِي: وَلَا تَكُنْ فِي اتِّبَاعِكَ مَا لَا عِلْمَ لَكَ بِهِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ، كَمَنْ يَتَّبِعُ مَسْلَكًا لَا يَدْرِي أَنَّهُ يُوصِلُهُ إِلَى مَقْصِدِهِ فَهُوَ ضَالٌّ.

وَالْمُرَادُ: النَّهْيُ عَنْ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ مَا لَا يَعْلَمُ، وَأَنْ يَعْمَلَ بِمَا لَا يَعْلَمُ، وَيَدْخُلُ فِيهِ النَّهْيُ عَنِ التَّقْلِيدِ دُخُولًا ظَاهِرًا، لِأَنَّهُ اتِّبَاعٌ لِمَا لَا يَعْلَمُ صِحَّتَهُ مِنْ فَسَادِهِ.

وَعَنِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ: شَهَادَةُ الزُّورِ.

وَعَنِ الْحَسَنِ: لَا تَقْفُ أَخَاكَ الْمُسْلِمَ إِذَا مَرَّ بِكَ، فَتَقُولُ: هَذَا يَفْعَلُ كَذَا، وَرَأَيْتُهُ يَفْعَلُ، وَسَمِعْتُهُ، وَلَمْ تَرَ وَلَمْ تَسْمَعْ.

وَقِيلَ: الْقَفْوُ شَبِيهٌ بِالْعَضِيهَةِ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: "مَنْ قَفَى مُؤْمِنًا بِمَا لَيْسَ فِيهِ حَبَسَهُ اللَّهُ فِي رَدْغَةِ الْخَبَالِ حَتَّى يَأْتِيَ بِالْمَخْرَجِ"، وَأَنْشَدَ:

وَمِثْلُ الدُّمَى شُمُّ الْعَرَانِينِ سَاكِنٌ ... بِهِنَّ الْحَيَاءُ لا يُشِعْنَ التَّقَافِيَا

أَيْ: التَّقَاذُفَ.

وَقَالَ الْكُمَيْتُ:

وَلا أَرْمِي الْبَرِيَّ بِغَيْرِ ذَنْـــــبٍ ... وَلَا أَقْفُو الْحَوَاصِنَ إِنْ قُفِينَا

وَقَدِ اسْتَدَلَّ بِهِ مُبْطِلُ الِاجْتِهَادِ وَلَمْ يَصِحَّ، لِأَنَّ ذَلِكَ نَوْعٌ مِنَ الْعِلْمِ، فَقَدْ أَقَامَ الشَّرْعُ غَالِبَ الظَّنِّ مَقَامَ الْعِلْمِ، وَأَمَرَ بِالْعَمَلِ بِهِ.

﴿أُولَئِكَ﴾[4]: إِشَارَةٌ إِلَى السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْفُؤَادِ، كَقَوْلِهِ:

..... وَالْعَيْشَ بَعْدَ أُولَئِكَ الْأَيَّامِ

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

وَ﴿عَنْهُ﴾[1]: فِي مَوْضِعِ الرَّفْعِ بِالْفَاعِلِيَّةِ، أَيْ: كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا كَانَ مَسْؤُولًا عَنْهُ، فَمَسْؤُولٌ: مُسْنَدٌ إِلَى الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ، كَالْمَغْضُوبِ فِي قَوْلِهِ: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾[2].

يُقَالُ لِلْإِنْسَانِ: لِمَ سَمِعْتَ مَا لَمْ يَحِلَّ لَكَ سَمَاعُهُ، وَلِمَ نَظَرْتَ إِلَى مَا لَمْ يَحِلَّ لَكَ النَّظَرُ إِلَيْهِ، وَلِمَ عَزَمْتَ عَلَى مَا لَمْ يَحِلَّ لَكَ الْعَزْمُ عَلَيْهِ؟

وَقُرِئَ: "وَالْفَوَادَ" بِفَتْحِ الْفَاءِ وَالْوَاوِ، قُلِبَتِ الْهَمْزَةُ وَاوًا بَعْدَ الضَّمَّةِ فِي الْفُؤَادِ، ثُمَّ اسْتَصْحَبَ الْقَلْبَ مَعَ الْفَتْحِ.

﴿وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾[3]

﴿مَرَحًا﴾[4]: حَالٌ، أَيْ: ذَا مَرَحٍ.

وَقُرِئَ: "مَرِحًا".

وَفَضَّلَ الْأَخْفَشُ الْمَصْدَرَ عَلَى اسْمِ الْفَاعِلِ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّأْكِيدِ.

﴿لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ﴾[5]: لَنْ تَجْعَلَ فِيهَا خَرْقًا بِدَوْسِكَ لَهَا وَشِدَّةِ وَطْأَتِكَ، وَقُرِئَ: "لَنْ تَخْرُقَ"، بِضَمِّ الرَّاءِ.

﴿وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾[6]: بِتَطَاوُلِكَ، وَهُوَ تَهَكُّمٌ بِالْمُخْتَالِ.

قُرِئَ "سَيِّئَةً" وَ"سَيِّئُهُ" عَلَى إِضَافَةِ سَيِّئٍ إِلَى ضَمِيرِ كُلٍّ، وَ"سَيِّئًا" فِي بَعْضِ الْمَصَاحِفِ، وَ"سَيِّئَاتٍ".

وَفِي قِرَاءَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: "كَانَ شَأْنُهُ".

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ قِيلَ: سَيِّئُهُ مَعَ قَوْلِهِ مَكْرُوهًا؟

قُلْتُ: السَّيِّئَةُ فِي حُكْمِ الْأَسْمَاءِ بِمَنْزِلَةِ الذَّنْبِ وَالْإِثْمِ زَالَ عَنْهُ حُكْمُ الصِّفَاتِ، فَلَا اعْتِبَارَ بِتَأْنِيثِهِ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ مَنْ قَرَأَ سَيِّئَةً وَسَيِّئًا.

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْفَاتِحَةُ، الآية 7.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[5] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[6] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

أَلَا تَرَاكَ تَقُولُ: الزِّنَا سَيِّئَةٌ، كَمَا تَقُولُ: السَّرِقَةُ سَيِّئَةٌ، فَلَا تُفَرِّقُ بَيْنَ إِسْنَادِهَا إِلَى مُذَكَّرٍ وَمُؤَنَّثٍ؟

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا ذَكَرَ مِنَ الْخِصَالِ بَعْضُهَا سَيِّئٌ وَبَعْضُهَا حَسَنٌ، وَلِذَلِكَ قَرَأَ مَنْ قَرَأَ: ﴿سَيِّئُهُ﴾[1] بِالْإِضَافَةِ، فَمَا وَجْهُ مَنْ قَرَأَ سَيِّئَةً؟

قُلْتُ: كُلُّ ذَلِكَ إِحَاطَةٌ بِمَا نَهَى عَنْهُ خَاصَّةً لَا بِجَمِيعِ الْخِصَالِ الْمَعْدُودَةِ.

﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾[2]

﴿ذَلِكَ﴾[3]: إِشَارَةٌ إِلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾[4]: إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ، وَسَمَّاهُ حِكْمَةً لِأَنَّهُ كَلَامٌ مُحْكَمٌ لَا مَدْخَلَ فِيهِ لِلْفَسَادِ بِوَجْهٍ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: هَذِهِ الثَّمَانِي عَشْرَةَ آيَةً كَانَتْ فِي أَلْوَاحِ مُوسَى، أَوَّلُهَا، لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، قَالَ اللَّهُ –تَعَالَى–: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً﴾[5]، وَهِيَ عَشْرُ آيَاتٍ فِي التَّوْرَاةِ، وَلَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ فَاتِحَتَهَا وَخَاتِمَتَهَا النَّهْيَ عَنِ الشِّرْكِ، لِأَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ رَأْسُ كُلِّ حِكْمَةٍ وَمِلَاكُهَا، وَمَنْ عَدِمَهُ لَمْ تَنْفَعْهُ حِكَمُهُ وَعُلُومُهُ، وَإِنْ بَذَّ فِيهَا الْحُكَمَاءَ، وَحَكَّ بِيَافُوخِهِ السَّمَاءَ، وَمَا أَغْنَتْ عَنِ الْفَلَاسِفَةِ أَسْفَارُ الْحِكَمِ، وَهُمْ عَنْ دِينِ اللَّهِ أَضَلُّ مِنَ النَّعَمِ.

﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلا عَظِيمًا﴾[6]

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[5] سورة الْأَعْرَافُ، الآية 145.

[6] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

﴿أَفَأَصْفَاكُمْ﴾[1]: خِطَابٌ لِلَّذِينَ قَالُوا: "الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ" وَالْهَمْزَةُ لِلْإِنْكَارِ، يَعْنِي: أَفَخَصَّكُمْ رَبُّكُمْ عَلَى وَجْهِ الْخُلُوصِ وَالصَّفَاءِ بِأَفْضَلِ الْأَوْلَادِ وَهُوَ الْبَنُونَ، لَمْ يَجْعَلْ فِيهِمْ نَصِيبًا لِنَفْسِهِ، وَاتَّخَذَ أَدْوَنَهُمْ وَهِيَ الْبَنَاتُ؟ وَهَذَا خِلَافُ الْحِكْمَةِ وَمَا عَلَيْهِ مَعْقُولُكُمْ وَعَادَتُكُمْ، فَإِنَّ الْعَبِيدَ لَا يُؤْثِرُونَ بِأَجْوَدِ الْأَشْيَاءِ وَأَصْفَاهَا مِنَ الثَّوْبِ، وَيَكُونُ أَرْدَؤُهَا وَأَدْوَنُهَا لِلسَّادَاتِ.

﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلا عَظِيمًا﴾[2]: بِإِضَافَتِكُمْ إِلَيْهِ الْأَوْلَادَ وَهِيَ خَاصَّةٌ بِالْأَجْسَامِ، ثُمَّ بِأَنَّكُمْ تُفَضِّلُونَ عَلَيْهِ أَنْفُسَكُمْ، حَيْثُ تَجْعَلُونَ لَهُ مَا تَكْرَهُونَ، ثُمَّ بِأَنْ تَجْعَلُوا الْمَلَائِكَةَ، وَهُمْ أَعْلَى خَلْقِ اللَّهِ وَأَشْرَفِهِمْ أَدْوَنَ خَلْقِ اللَّهِ، وَهُمُ الْإِنَاثُ.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُورًا﴾[3]

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾[4]: يَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِهَذَا الْقُرْآنِ إِبْطَالَ إِضَافَتِهِمْ إِلَى اللَّهِ الْبَنَاتِ، لِأَنَّهُ مِمَّا صَرَفَهُ وَكَرَّرَ ذِكْرَهُ.

وَالْمَعْنَى: وَلَقَدْ صَرَّفْنَا الْقَوْلَ فِي هَذَا الْمَعْنَى، أَوْ أَوْقَعْنَا التَّصْرِيفَ فِيهِ وَجَعَلْنَاهُ مَكَانًا لِلتَّكْرِيرِ، وَيَجُوزُ أَنْ يُشِيرَ بِهَذَا الْقُرْآنِ إِلَى التَّنْزِيلِ وَيُرِيدَ.

﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَاهُ﴾[5]، يَعْنِي: هَذَا الْمَعْنَى فِي مَوَاضِعَ مِنَ التَّنْزِيلِ، فَتَرَكَ الضَّمِيرَ، لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ، وَقُرِئَ: "صَرَفْنَا" بِالتَّخْفِيفِ، وَكَذَلِكَ ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾[6]، قُرِئَ: مُشَدَّدًا وَمُخَفَّفًا، أَيْ: كَرَّرْنَاهُ لِيَتَّعِظُوا وَيَعْتَبِرُوا وَيَطْمَئِنُّوا إِلَى مَا يُحْتَجُّ بِهِ عَلَيْهِمْ.

﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلا نُفُورًا﴾[7]: عَنِ الْحَقِّ وَقِلَّةَ طُمَأْنِينَةٍ إِلَيْهِ.

وَعَنْ سُفْيَانَ: كَانَ إِذَا قَرَأَهَا قَالَ: زَادَنِي لَكَ خُضُوعًا مَا زَادَ أَعْدَاءَكَ نُفُورًا.

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[5] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[6] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[7] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾[1]

قُرِئَ: "كَمَا تَقُولُونَ" بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ، وَ"فَإِذًا": دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ مَا بَعْدَهَا، وَهُوَ ﴿لَابْتَغَوْا﴾[2]: جَوَابٌ عَنْ مَقَالَةِ الْمُشْرِكِينَ وَجَزَاءٌ لِ ﴿لَوْ﴾.

وَمَعْنَى: ﴿لابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلا﴾[3]: لَطَلَبُوا إِلَى مَنْ لَهُ الْمُلْكُ وَالرُّبُوبِيَّةُ سَبِيلًا بِالْمُغَالَبَةِ، كَمَا يَفْعَلُ الْمُلُوكُ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ، كَقَوْلِهِ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[4].

وَقِيلَ: لَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾[5].

"وَافْعَلُوا": فِي مَعْنَى: تَعَالِيًا، وَالْمُرَادُ الْبَرَاءَةُ عَنْ ذَلِكَ وَالنَّزَاهَةُ.

وَمَعْنَى وَصْفِ الْعُلُوِّ بِالْكِبَرِ: الْمُبَالَغَةُ فِي مَعْنَى الْبَرَاءَةِ وَالْبُعْدِ مِمَّا وَصَفُوهُ بِهِ.

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[6]

وَالْمُرَادُ أَنَّهَا تُسَبِّحُ لَهُ بِلِسَانِ الْحَالِ، حَيْثُ تَدُلُّ عَلَى الصَّانِعِ وَعَلَى قُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ، فَكَأَنَّهَا تَنْطِقُ بِذَلِكَ، وَكَأَنَّهَا تُنَزِّهُ اللَّهَ –عَزَّ وَجَلَّ– مِمَّا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ مِنَ الشُّرَكَاءِ وَغَيْرِهَا.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا تَصْنَعُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[7]، وَهَذَا التَّسْبِيحُ مَفْقُوهٌ مَعْلُومٌ؟

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[4] سورة الْأَنْبِيَاءُ، الآية 22.

[5] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية 57.

[6] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[7] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

قُلْتُ: الْخِطَابُ لِلْمُشْرِكِينَ، وَهُمْ وَإِنْ كَانُوا إِذَا سُئِلُوا عَنْ خَالِقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَالُوا: اللَّهُ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَمَّا جَعَلُوا مَعَهُ آلِهَةً مَعَ إِقْرَارِهِمْ، فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَنْظُرُوا وَلَمْ يُقِرُّوا، لِأَنَّ نَتِيجَةَ النَّظَرِ الصَّحِيحِ وَالْإِقْرَارِ الثَّابِتِ خِلَافُ مَا كَانُوا عَلَيْهِ، فَإِذَا لَمْ يَفْقَهُوا التَّسْبِيحَ وَلَمْ يَسْتَوْضِحُوا الدَّلَالَةَ عَلَى الْخَالِقِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَنْ فِيهِنْ يُسَبِّحُونَ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَالثَّقَلَانِ، وَقَدْ عُطِفُوا عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَمَا وَجْهُهُ؟

قُلْتُ: التَّسْبِيحُ الْمَجَازِيُّ حَاصِلٌ فِي الْجَمِيعِ فَوَجَبَ الْحَمْلُ عَلَيْهِ، وَإِلَّا كَانَتِ الْكَلِمَةُ الْوَاحِدَةُ فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ مَحْمُولَةً عَلَى الْحَقِيقَةِ وَالْمَجَازِ.

﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[1]: حِينَ لَا يُعَاجِلُكُمْ بِالْعُقُوبَةِ عَلَى غَفْلَتِكُمْ وَسُوءِ نَظَرِكُمْ وَجَهْلِكُمْ بِالتَّسْبِيحِ وَشِرْكِكُمْ.

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلا رَجُلا مَسْحُورًا انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾[2]

﴿حِجَابًا مَسْتُورًا﴾[3]: ذَا سَتْرٍ، كَقَوْلِهِمْ: سَيْلٌ مُفْعَمٌ ذُو إِفْعَامٍ، وَقِيلَ: هُوَ حِجَابٌ لَا يُرَى فَهُوَ مَسْتُورٌ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ أَنَّهُ حِجَابٌ مِنْ دُونِهِ حِجَابٌ أَوْ حُجُبٌ، فَهُوَ مَسْتُورٌ بِغَيْرِهِ، أَوْ حِجَابٌ يَسْتُرُ أَنْ يُبْصَرَ، فَكَيْفَ يُبْصَرُ الْمُحْتَجِبُ بِهِ؟!

وَهَذِهِ حِكَايَةٌ لِمَا كَانُوا يَقُولُونَهُ: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾[4]، كَأَنَّهُ قَالَ: وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا عَلَى زَعْمِهِمْ، ﴿أَنْ

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[4] سورة فُصِّلَتْ، الآية 5.

﴿يَفْقَهُوهُ﴾[1]: كَرَاهَةَ أَنْ يَفْقَهُوهُ، أَوْ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾[2]: فِيهِ مَعْنَى الْمَنْعِ مِنَ الْفِقْهِ؛ فَكَأَنَّهُ قِيلَ: وَمَنَعْنَاهُمْ أَنْ يَفْقَهُوهُ، يُقَالُ: وَحَدَ يَحِدُ وَحْدًا وَحِدَةً، نَحْوُ: وَعَدَ يَعِدُو عَدًا وَعِدَةً.

وَ﴿وَحْدَهُ﴾[3]: مِنْ بَابِ رَجَعَ عَوْدَهُ عَلَى بَدْئِهِ، وَافْعَلْهُ جَهْدَكَ وَطَاقَتَكَ فِي أَنَّهُ مَصْدَرٌ سَادٌّ مَسَدَّ الْحَالِ، أَصْلُهُ: يَحِدُو حَدَّهُ بِمَعْنَى وَاحِدًا، وَحْدَهُ.

وَالنُّفُورُ: مَصْدَرٌ، بِمَعْنَى: التَّوْلِيَةِ، أَوْ جَمْعُ نَافِرٍ كَقَاعِدٍ وَقُعُودٍ، أَيْ: يُحِبُّونَ أَنْ تُذْكَرَ مَعَهُ آلِهَتُهُمْ، لِأَنَّهُمْ مُشْرِكُونَ، فَإِذَا سَمِعُوا بِالتَّوْحِيدِ نَفَرُوا.

﴿بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾[4]: مِنَ الْهُزُوءِ بِكَ وَبِالْقُرْآنِ، وَمِنَ اللَّغْوِ: كَانَ يَقُومُ عَنْ يَمِينِهِ إِذَا قَرَأَ رَجُلَانِ مِنْ عَبْدِ الدَّارِ، وَرَجُلَانِ مِنْهُمْ عَنْ يَسَارِهِ، فَيُصَفِّقُونَ وَيُصَفِّرُونَ وَيَخْلِطُونَ عَلَيْهِ بِالْأَشْعَارِ، وَ﴿بِهِ﴾[5] فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، كَمَا تَقُولُ: يَسْتَمِعُونَ بِالْهُزُوءِ، أَيْ: هَازِئِينَ.

وَ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ﴾[6]: نَصْبٌ بِأَعْلَمُ، أَيْ: أَعْلَمُ وَقْتَ اسْتِمَاعِهِمْ بِمَا بِهِ يَسْتَمِعُونَ.

﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾[7]: وَبِمَا يَتَنَاجَوْنَ بِهِ، إِذْ هُمْ ذَوُو نَجْوَى.

﴿إِذْ يَقُولُ﴾[8]: بَدَلٌ مِنْ ﴿إِذْ هُمْ﴾[9].

﴿مَسْحُورًا﴾[10]: سُحِرَ فَجُنَّ.

وَقِيلَ: هُوَ مِنَ السَّحْرِ وَهُوَ الرِّئَةُ، أَيْ: هُوَ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ.

﴿ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾[11]: مَثَّلُوكَ بِالشَّاعِرِ وَالسَّاحِرِ وَالْمَجْنُونِ.

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[5] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[6] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[7] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[8] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[9] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[10] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[11] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

﴿فَضَلُّوا﴾[1]: فِي جَمِيعِ ذَلِكَ ضَلَالَ مَنْ يَطْلُبُ فِي التِّيهِ طَرِيقًا يَسْلُكُهُ، فَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَهُوَ مُتَحَيِّرٌ فِي أَمْرِهِ لَا يَدْرِي مَا يَصْنَعُ،

﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلِ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾[2]

لَمَّا قَالُوا: أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا قِيلَ لَهُمْ: ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾[3]، فَرَدَّ قَوْلَهُ: ﴿كُونُوا﴾[4]، عَلَى قَوْلِهِمْ: ﴿كُنَّا﴾[5]، كَأَنَّهُ قِيلَ: كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا وَلَا تَكُونُوا عِظَامًا، فَإِنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى إِحْيَائِكُمْ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّكُمْ تَسْتَبْعِدُونَ أَنْ يُجَدِّدَ اللَّهُ خَلْقَكُمْ، وَيَرُدَّهُ إِلَى حَالِ الْحَيَاةِ وَإِلَى رُطُوبَةِ الْحَيِّ وَغَضَاضَتِهِ بَعْدَمَا كُنْتُمْ عِظَامًا يَابِسَةً، مَعَ أَنَّ الْعِظَامَ بَعْضُ أَجْزَاءِ الْحَيِّ، بَلْ هِيَ عَمُودُ خَلْقِهِ الَّذِي يُبْنَى عَلَيْهِ سَائِرُهُ، فَلَيْسَ بِبِدَعٍ أَنْ يَرُدَّهَا اللَّهُ بِقُدْرَتِهِ إِلَى حَالَتِهَا الْأُولَى، وَلَكِنْ لَوْ كُنْتُمْ أَبْعَدَ شَيْءٍ مِنَ الْحَيَاةِ وَرُطُوبَةِ الْحَيِّ وَمِنْ جِنْسٍ مَا رُكِّبَ مِنْهُ الْبَشَرُ –وَهُوَ أَنْ تَكُونُوا حِجَارَةً يَابِسَةً أَوْ حَدِيدًا مَعَ أَنَّ طِبَاعَهَا الْجَسَارَةُ وَالصَّلَابَةُ–، لَكَانَ قَادِرًا عَلَى أَنْ يَرُدَّكُمْ إِلَى حَالِ الْحَيَاةِ.

﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾[6]، يَعْنِي: أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ عِنْدَكُمْ عَنْ قَبُولِ الْحَيَاةِ وَيَعْظُمُ فِي زَعْمِكُمْ عَلَى الْخَالِقِ إِحْيَاؤُهُ، فَإِنَّهُ يُحَيِّيهِ، وَقِيلَ: مَا يَكْبُرُ فِي صُدُورِهِمُ الْمَوْتُ، وَقِيلَ: السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ.

﴿فَسَيُنْغِضُونَ﴾[7]: فَسَيُحَرِّكُونَهَا نَحْوَكَ تَعَجُّبًا وَاسْتِهْزَاءً.

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[5] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[6] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[7] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ
إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلًا﴾[1]

وَالدُّعَاءُ وَالِاسْتِجَابَةُ كِلَاهُمَا مَجَازٌ، وَالْمَعْنَى: يَوْمَ يَبْعَثُكُمْ فَتَنْبَعِثُونَ مُطَاوِعِينَ مُنْقَادِينَ لَا تَمْتَنِعُونَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿بِحَمْدِهِ﴾[2]: حَالٌ مِنْهُمْ، أَيْ: حَامِدِينَ، وَهِيَ مُبَالَغَةٌ فِي انْقِيَادِهِمْ لِلْبَعْثِ، كَقَوْلِكَ لِمَنْ تَأْمُرُهُ بِرُكُوبِ مَا يَشُقُّ عَلَيْهِ، فَيَتَأَبَّى وَيَتَمَنَّعُ: سَتَرْكَبُهُ وَأَنْتَ حَامِدٌ شَاكِرٌ، يَعْنِي: أَنَّكَ تُحْمَلُ عَلَيْهِ وَتَعْتَسِرُ قَسْرًا حَتَّى أَنَّكَ تَلِينُ لِينَ الْمُسْمَحِ الرَّاغِبِ فِيهِ الْحَامِدِ عَلَيْهِ.

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: يَنْفُضُونَ التُّرَابَ عَنْ رُؤُوسِهِمْ وَيَقُولُونَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ.

﴿وَتَظُنُّونَ﴾[3]: وَتَرَوْنَ الْهَوْلَ، فَعِنْدَهُ تَسْتَقْصِرُونَ مُدَّةَ لُبْثِكُمْ فِي الدُّنْيَا، وَتَحْسَبُونَهَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ.

وَعَنْ قَتَادَةَ: تَحَاقَرَتِ الدُّنْيَا فِي أَنْفُسِهِمْ حِينَ عَايَنُوا الْآخِرَةَ.

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ
لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ
وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾[4]

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي﴾[1]: وَقُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ، ﴿يَقُولُوا﴾[2]: لِلْمُشْرِكِينَ الْكَلِمَةَ ﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[3]: وَأَلْيَنُ وَلَا يُخَاشِنُوهُمْ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[4]، وَفَسَّرَ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ بِقَوْلِهِ: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾[5]، يَعْنِي: يَقُولُوا لَهُمْ هَذِهِ الْكَلِمَةَ وَنَحْوَهَا، وَلَا يَقُولُوا لَهُمْ: إِنَّكُمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّكُمْ مُعَذَّبُونَ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِمَّا يَغِيظُهُمْ وَيُهَيِّجُهُمْ عَلَى الشَّرِّ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ﴾[6]: اعْتِرَاضٌ، يَعْنِي: يُلْقِي بَيْنَهُمُ الْفَسَادَ، وَيُغْرِي بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ لِيَقَعَ بَيْنَهُمُ الْمُشَارَّةُ وَالْمُشَاقَّةُ.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلا﴾[7]، أَيْ: رَبًّا مَوْكُولًا إِلَيْكَ أَمْرَهُمْ تَقْسِرُهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَتَجْبُرُهُمْ عَلَيْهِ. وَإِنَّمَا أَرْسَلْنَاكَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَدَارِهِمْ وَمُرْ أَصْحَابَكَ بِالْمُدَارَاةِ وَالِاحْتِمَالِ وَتَرْكِ الْمُحَاقَّةِ وَالْمُكَاشَفَةِ، وَذَلِكَ قَبْلَ نُزُولِ آيَةِ السَّيْفِ.

وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: شَتَمَهُ رَجُلٌ فَأَمَرَهُ اللَّهُ بِالْعَفْوِ، وَقِيلَ: أَفْرَطَ إِيذَاءُ الْمُشْرِكِينَ لِلْمُسْلِمِينَ، فَشَكَوْا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَنَزَلَتْ، وَقِيلَ: الْكَلِمَةُ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ: أَنْ يَقُولُوا يَهْدِيكُمُ اللَّهُ، يَرْحَمُكُمُ اللَّهُ.

وَقَرَأَ طَلْحَةُ: "يَنْزِغُ" بِالْكَسْرِ وَهُمَا لُغَتَانِ، نَحْوُ يَعْرِشُونَ وَيَعْرُشُونَ.

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾[8]

هُوَ رَدٌّ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ فِي إِنْكَارِهِمْ وَاسْتِبْعَادِهِمْ أَنْ يَكُونَ يَتِيمُ أَبِي طَالِبٍ نَبِيًّا، وَأَنْ تَكُونَ الْعُرَاةُ الْجُوَّعُ أَصْحَابَهُ، كَصُهَيْبٍ وَبِلَالٍ وَخَبَّابٍ وَغَيْرِهِمْ، دُونَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي

---

[1] سورة، الآية.
[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[5] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[6] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[7] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[8] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

بَعْضِ أَكَابِرِهِمْ وَصَنَادِيدِهِمْ، يَعْنِي: وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَبِأَحْوَالِهِمْ وَمَقَادِيرِهِمْ وَبِمَا يَسْتَأْهِلُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾[1]: إِشَارَةٌ إِلَى تَفْضِيلِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾[2]: دَلَالَةٌ عَلَى وَجْهِ تَفْضِيلِهِ، وَهُوَ أَنَّهُ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَنَّ أُمَّتَهُ خَيْرُ الْأُمَمِ، لِأَنَّ ذَلِكَ مَكْتُوبٌ فِي زَبُورِ دَاوُدَ.

قَالَ اللَّهُ -تَعَالَى-: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[3]، وَهُمْ مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: هَلَّا عُرِّفَ الزَّبُورُ كَمَا عُرِّفَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾[4]؟

قُلْتُ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الزَّبُورُ وَزَبُورٌ كَالْعَبَّاسِ وَعَبَّاسٍ، وَالْفَضْلِ وَفَضْلٍ، وَأَنْ يُرِيدَ: وَآتَيْنَا دَاوُدَ بَعْضَ الزُّبُرِ وَهِيَ الْكُتُبُ، وَأَنْ يُرِيدَ مَا ذُكِرَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنَ الزَّبُورِ، فَسَمَّى ذَلِكَ زَبُورًا، لِأَنَّهُ بَعْضُ الزَّبُورِ، كَمَا سَمَّى بَعْضَ الْقُرْآنِ قُرْآنًا.

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلا تَحْوِيلا أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾[5]

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾[6]: هُمُ الْمَلَائِكَةُ.

وَقِيلَ: عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَعُزَيْرٌ، وَقِيلَ: نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ، عَبَدَهُمْ نَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ ثُمَّ أَسْلَمَ الْجِنُّ وَلَمْ يَشْعُرُوا، أَيْ: ادْعُوهُمْ فَهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَكْشِفُوا عَنْكُمُ الضُّرَّ مِنْ مَرَضٍ أَوْ فَقْرٍ أَوْ عَذَابٍ، وَلَا أَنْ يُحَوِّلُوهُ مِنْ وَاحِدٍ إِلَى آخَرَ أَوْ يُبَدِّلُوهُ.

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْأَنْبِيَاءُ، الآية 105.

[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[5] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[6] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

وَ﴿أُولَئِكَ﴾[1]: مُبْتَدَأٌ، وَ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾[2]: صِفَتُهُ، وَ﴿يَبْتَغُونَ﴾[3]: خَبَرُهُ، يَعْنِي: أَنَّ آلِهَتَهُمْ أُولَئِكَ يَبْتَغُونَ الْوَسِيلَةَ، وَهِيَ الْقُرْبَةُ إِلَى اللَّهِ –تَعَالَى–.

وَ﴿أَيُّهُمْ﴾[4]: بَدَلٌ مِنْ وَاوِ يَبْتَغُونَ، وَأَيٌّ: مَوْصُولَةٌ، أَيْ: يَبْتَغِي مَنْ هُوَ أَقْرَبُ مِنْهُمْ وَأَزْلَفُ الْوَسِيلَةَ إِلَى اللَّهِ، فَكَيْفَ بِغَيْرِ الْأَقْرَبِ، أَوْ ضُمِّنَ يَبْتَغُونَ الْوَسِيلَةَ مَعْنَى: يَحْرِصُونَ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: يَحْرِصُونَ أَيُّهُمْ يَكُونُ أَقْرَبَ إِلَى اللَّهِ، وَذَلِكَ بِالطَّاعَةِ وَازْدِيَادِ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ، وَيَرْجُونَ، وَيَخَافُونَ، كَمَا غَيْرِهِمْ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ فَكَيْفَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آلِهَةٌ؟

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ﴾[5]: حَقِيقًا بِأَنْ يَحْذَرَهُ كُلُّ أَحَدٍ مِنْ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ وَنَبِيٍّ مُرْسَلٍ، فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِمْ.

﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾[6]

﴿نَحْنُ مُهْلِكُوهَا﴾[7]: بِالْمَوْتِ وَالِاسْتِئْصَالِ.

﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا﴾[8]: بِالْقَتْلِ وَأَنْوَاعِ الْعَذَابِ.

وَقِيلَ: الْهَلَاكُ لِلصَّالِحَةِ، وَالْعَذَابُ لِلطَّالِحَةِ.

وَعَنْ مُقَاتِلٍ: وَجَدْتُ فِي كُتُبِ الضَّحَّاكِ بْنِ مُزَاحِمٍ فِي تَفْسِيرِهَا: أَمَّا مَكَّةُ فَيُخَرِّبُهَا الْحَبَشَةُ، وَتَهْلَكُ الْمَدِينَةُ بِالْجُوعِ، وَالْبَصْرَةُ بِالْغَرَقِ، وَالْكُوفَةُ بِالتُّرْكِ، وَالْجِبَالُ بِالصَّوَاعِقِ وَالرَّوَاجِفِ.

وَأَمَّا خُرَاسَانُ فَعَذَابُهَا ضُرُوبٌ، ثُمَّ ذَكَرَهَا بَلَدًا بَلَدًا.

﴿فِي الْكِتَابِ﴾[9]: فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ.

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[5] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[6] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[7] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[8] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[9] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾[1]

اسْتُعِيرَ الْمَنْعُ لِتَرْكِ إِرْسَالِ الْآيَاتِ مِنْ أَجْلِ صَارِفِ الْحِكْمَةِ.

وَ﴿أَنْ﴾[2] الْأُولَى مَنْصُوبَةٌ، وَالثَّانِيَةُ مَرْفُوعَةٌ، تَقْدِيرُهُ: وَمَا مَنَعَنَا إِرْسَالَ الْآيَاتِ إِلَّا تَكْذِيبُ الْأَوَّلِينَ.

وَالْمُرَادُ: الْآيَاتُ الَّتِي اقْتَرَحَتْهَا قُرَيْشٌ مِنْ قَلْبِ الصَّفَا ذَهَبًا وَمِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَعَادَةُ اللَّهِ فِي الْأُمَمِ أَنَّ مَنِ اقْتَرَحَ مِنْهُمْ آيَةً فَأُجِيبَ إِلَيْهَا ثُمَّ لَمْ يُؤْمِنْ أَنْ يُعَاجَلَ بِعَذَابِ الِاسْتِئْصَالِ.

فَالْمَعْنَى: وَمَا صَرَفَنَا عَنْ إِرْسَالِ مَا يَقْتَرِحُونَهُ مِنَ الْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الَّذِينَ هُمْ أَمْثَالُهُمْ مِنَ الْمَطْبُوعِ عَلَى قُلُوبِهِمْ كَعَادٍ وَثَمُودَ، وَأَنَّهَا لَوْ أُرْسِلَتْ لَكَذَّبُوا بِهَا تَكْذِيبَ أُولَئِكَ، وَقَالُوا: هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ كَمَا يَقُولُونَ فِي غَيْرِهَا، وَاسْتَوْجَبُوا الْعَذَابَ الْمُسْتَأْصِلَ، وَقَدْ عَزَمْنَا أَنْ نُؤَخِّرَ أَمْرَ مَنْ بُعِثْتَ إِلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ ذَكَرَ مِنْ تِلْكَ الْآيَاتِ –الَّتِي اقْتَرَحَهَا الْأَوَّلُونَ ثُمَّ كَذَّبُوا بِهَا لَمَّا أُرْسِلَتْ فَأُهْلِكُوا– وَاحِدَةً: وَهِيَ نَاقَةُ صَالِحٍ، لِأَنَّ آثَارَ هَلَاكِهِمْ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ قَرِيبَةٌ مِنْ حُدُودِهِمْ يُبْصِرُهَا صَادِرُهُمْ وَوَارِدُهُمْ.

﴿مُبْصِرَةً﴾[3]: بَيِّنَةً.

وَقُرِئَ: "مُبْصَرَةً" بِفَتْحِ الْمِيمِ.

﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾[4]: فَكَفَرُوا بِهَا.

﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ﴾[5]: إِنْ أَرَادَ بِهَا الْآيَاتِ الْمُقْتَرَحَةَ، فَالْمَعْنَى: لَا نُرْسِلُهَا.

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[5] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

﴿إِلاَّ تَخْوِيفًا﴾[1]: مِنْ نُزُولِ الْعَذَابِ الْعَاجِلِ كَالطَّلِيعَةِ وَالْمُقَدِّمَةِ لَهُ، فَإِنْ لَمْ يَخَافُوا وَقَعَ عَلَيْهِمْ؛ وَإِنْ أَرَادَ غَيْرَهَا، فَالْمَعْنَى: وَمَا نُرْسِلُ مَا نُرْسِلُ مِنَ الْآيَاتِ كَآيَاتِ الْقُرْآنِ وَغَيْرِهَا إِلَّا تَخْوِيفًا وَإِنْذَارًا بِعَذَابِ الْآخِرَةِ.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾[2]

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾[3]: وَاذْكُرْ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِقُرَيْشٍ، يَعْنِي: بَشَّرْنَاكَ بِوَقْعَةِ بَدْرٍ وَبِالنُّصْرَةِ عَلَيْهِمْ.

وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾[4]، ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ﴾[5]، وَغَيْرُ ذَلِكَ، فَجَعَلَهُ كَأَنْ قَدْ كَانَ وَوُجِدَ، فَقَالَ: أَحَاطَ بِالنَّاسِ عَلَى عَادَتِهِ فِي إِخْبَارِهِ؛ وَحِينَ تَزَاحَفَ الْفَرِيقَانِ يَوْمَ بَدْرٍ وَالنَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي الْعَرِيشِ مَعَ أَبِي بَكْرٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– كَانَ يَدْعُو وَيَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ"، ثُمَّ خَرَجَ وَعَلَيْهِ الدِّرْعُ يُحَرِّضُ النَّاسَ وَيَقُولُ: "سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ".

وَلَعَلَّ اللَّهَ –تَعَالَى– أَرَاهُ مَصَارِعَهُمْ فِي مَنَامِهِ، فَقَدْ كَانَ يَقُولُ حِينَ وَرَدَ مَاءَ بَدْرٍ: "وَاللَّهِ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ"، وَهُوَ يُومِئُ إِلَى الْأَرْضِ وَيَقُولُ: "هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ، هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ"، فَتَسَامَعَتْ قُرَيْشٌ بِمَا أُوحِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مِنْ أَمْرِ يَوْمِ بَدْرٍ وَمَا أُرِيَ فِي مَنَامِهِ مِنْ مَصَارِعِهِمْ، فَكَانُوا يَضْحَكُونَ وَيَسْتَسْخِرُونَ وَيَسْتَعْجِلُونَ بِهِ اسْتِهْزَاءً، وَحِينَ سَمِعُوا بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الأَثِيمِ﴾[6] جَعَلُوهَا سُخْرِيَةً، وَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا يَزْعُمُ أَنَّ الْجَحِيمَ تَحْرِقُ الْحِجَارَةَ، ثُمَّ يَقُولُ: يَنْبُتُ فِيهَا الشَّجَرُ، وَمَا قَدَرَ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، مَنْ قَالَ ذَلِكَ، وَمَا أَنْكَرُوا أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ الشَّجَرَةَ مِنْ جِنْسٍ لَا تَأْكُلُهُ النَّارَ؛ فَهَذَا

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[4] سورة الْقَمَرُ، الآية 45.

[5] سورة آلُ عِمْرَانَ، الآية 12.

[6] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

وَبَرُ السَّمَنْدَلُ، وَهُوَ دُوَيْبَّةٌ بِبِلَادِ التُّرْكِ تُتَّخَذُ مِنْهُ مَنَادِيلُ، إِذَا اتَّسَخَتْ طُرِحَتْ فِي النَّارِ، فَذَهَبَ الْوَسَخُ وَبَقِيَ الْمَنْدِيلُ سَالِمًا لَا تَعْمَلُ فِيهِ النَّارُ، وَتَرَى النَّعَامَةَ تَبْتَلِعُ الْجَمْرَ وَقِطَعَ الْحَدِيدِ الْحُمْرَ كَالْجَمْرِ بِإِحْمَاءِ النَّارِ فَلَا تَضُرُّهَا، ثُمَّ أَقْرَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ خَلَقَ فِي كُلِّ شَجَرَةٍ نَارًا فَلَا تَحْرِقُهَا، فَمَا أَنْكَرُوا أَنْ يَخْلُقَ فِي النَّارِ شَجَرَةً لَا تَحْرِقُهَا.

وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْآيَاتِ إِنَّمَا يُرْسَلُ بِهَا تَخْوِيفًا لِلْعِبَادِ، وَهَؤُلَاءِ قَدْ خُوِّفُوا بِعَذَابِ الدُّنْيَا وَهُوَ الْقَتْلُ يَوْمَ بَدْرٍ، فَمَا كَانَ مَا ﴿أَرَيْنَاكَ﴾[1]: مِنْهُ فِي مَنَامِكَ بَعْدَ الْوَحْيِ إِلَيْكَ، ﴿إِلاَّ فِتْنَةً﴾[2]: لَهُمْ، حَيْثُ اتَّخَذُوهُ سُخْرِيًّا وَخُوِّفُوا بِعَذَابِ الْآخِرَةِ وَشَجَرَةِ الزَّقُّومِ فَمَا أَثَّرَ فِيهِمْ.

ثُمَّ قَالَ فِيهِمْ: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾[3]، أَيْ: نُخَوِّفُهُمْ بِمَخَاوِفِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾[4]: التَّخْوِيفُ، ﴿إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾[5]: فَكَيْفَ يَخَافُ قَوْمٌ هَذِهِ حَالُهُمْ بِإِرْسَالِ مَا يَقْتَرِحُونَ مِنَ الْآيَاتِ؟!

وَقِيلَ: الرُّؤْيَا: هِيَ الْإِسْرَاءُ، وَبِهِ تَعَلَّقَ مَنْ يَقُولُ: كَانَ الْإِسْرَاءُ فِي الْمَنَامِ، وَمَنْ قَالَ: كَانَ فِي الْيَقَظَةِ، فَسَّرَ الرُّؤْيَا بِالرُّؤْيَةِ.

وَقِيلَ: إِنَّمَا سَمَّاهَا رُؤْيَا عَلَى قَوْلِ الْمُكَذِّبِينَ، حَيْثُ قَالُوا لَهُ: لَعَلَّهَا رُؤْيَا رَأَيْتَهَا، وَخَيَالٌ خُيِّلَ إِلَيْكَ، اسْتِبْعَادًا مِنْهُمْ، كَمَا سَمَّى أَشْيَاءَ بِأَسَامِيهَا عِنْدَ الْكَفَرَةِ، نَحْوُ قَوْلِهِ: ﴿فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ، أَيْنَ شُرَكَائِيَ، ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾[6].

وَقِيلَ: هِيَ رُؤْيَاهُ أَنَّهُ سَيَدْخُلُ مَكَّةَ، وَقِيلَ: رَأَى فِي الْمَنَامِ أَنَّ وَلَدَ الْحَكَمِ يَتَدَاوَلُونَ مِنْبَرَهُ كَمَا يَتَدَاوَلُ الصِّبْيَانُ الْكُرَةَ.

فَإِنْ قُلْتَ: أَيْنَ لُعِنَتْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ فِي الْقُرْآنِ؟

قُلْتُ: لُعِنَتْ حَيْثُ لُعِنَ طَاعِمُوهَا مِنَ الْكَفَرَةِ وَالظَّلَمَةِ، لِأَنَّ الشَّجَرَةَ لَا ذَنْبَ لَهَا حَتَّى تُلْعَنَ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَإِنَّمَا وُصِفَتْ بِلَعْنِ أَصْحَابِهَا عَلَى الْمَجَازِ.

وَقِيلَ: وَصَفَهَا اللَّهُ بِاللَّعْنِ، لِأَنَّ اللَّعْنَ الْإِبْعَادُ مِنَ الرَّحْمَةِ، وَهِيَ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ فِي أَبْعَدِ مَكَانٍ مِنَ الرَّحْمَةِ.

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[5] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[6] سورة الدُّخَانُ، الآية 49.

وَقِيلَ: تَقُولُ الْعَرَبُ لِكُلِّ طَعَامٍ مَكْرُوهٍ ضَارٍّ: مَلْعُونٌ، وَسَأَلْتُ بَعْضَهُمْ فَقَالَ: نَعَمْ، الطَّعَامُ الْمَلْعُونُ: الْقَشْبُ الْمَمْحُوقُ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: هِيَ الْكَشُوثُ الَّتِي تَتَلَوَّى بِالشَّجَرِ يُجْعَلُ فِي الشَّرَابِ، وَقِيلَ: أَبُو جَهْلٍ.

وَقُرِئَ: "وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ" بِالرَّفْعِ، عَلَى أَنَّهَا مُبْتَدَأٌ مَحْذُوفُ الْخَبَرِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ كَذَلِكَ.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلا غُرُورًا إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾[1]

﴿طِينًا﴾[2]: حَالَ إِمَّا مِنَ الْمَوْصُولِ وَالْعَامِلُ فِيهِ: أَسْجُدُ، عَلَى: أَأَسْجُدُ لَهُ وَهُوَ طِينٌ، أَيْ: أَصْلُهُ طِينٌ، أَوْ مِنَ الرَّاجِعِ إِلَيْهِ مِنَ الصِّلَةِ عَلَى: أَأَسْجُدُ لِمَنْ كَانَ فِي وَقْتِ خَلْقِهِ طِينًا.

﴿أَرَأَيْتَكَ﴾[3]: الْكَافُ: لِلْخِطَابِ.

وَ﴿هَذَا﴾[4]: مَفْعُولٌ بِهِ، وَالْمَعْنَى: أَخْبِرْنِي عَنْ هَذَا، ﴿الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾[5]، أَيْ: فَضَّلْتَهُ، لِمَ كَرَّمْتَهُ عَلَيَّ وَأَنَا خَيْرٌ مِنْهُ؟ فَاخْتَصَرَ الْكَلَامَ بِحَذْفِ ذَلِكَ.

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[5] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

ثُمَّ ابْتَدَأَ، فَقَالَ: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ﴾[1]، وَاللَّامُ: مُوَطِّئَةٌ لِلْقَسْمِ الْمَحْذُوفِ، ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ﴾[2]: لَأَسْتَأْصِلَنَّهُمْ بِالْإِغْوَاءِ، مِنِ احْتَنَكَ الْجَرَادُ الْأَرْضَ: إِذَا جَرَّدَ مَا عَلَيْهَا أَكْلًا، وَهُوَ مِنَ الْحَنَكِ، وَمِنْهُ مَا ذَكَرَ سِيبَوَيْهِ مِنْ قَوْلِهِمْ: أَحْنَكَ الشَّاتَيْنِ أَيْ: أَكَلَهُمَا.

فَإِنْ قُلْتَ: مِنْ أَيْنَ عَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ يَتَسَهَّلُ لَهُ وَهُوَ مِنَ الْغَيْبِ؟

قُلْتُ: إِمَّا أَنْ سَمِعَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَقَدْ أَخْبَرَهُمُ اللَّهُ بِهِ، أَوْ خَرَّجَهُ مِنْ قَوْلِهِمْ: أَتُجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا، أَوْ نَظَرَ إِلَيْهِ فَتَوَسَّمَ فِي مَخَايِلِهِ أَنَّهُ خَلْقٌ شَهْوَانِيٌّ.

وَقِيلَ: قَالَ ذَلِكَ لَمَّا عَمِلَتْ وَسْوَسَتُهُ فِي آدَمَ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ قَبْلَ أَكْلِ آدَمَ مِنَ الشَّجَرَةِ.

﴿اذْهَبْ﴾[3]: لَيْسَ مِنَ الذَّهَابِ الَّذِي هُوَ نَقِيضُ الْمَجِيءِ، إِنَّمَا مَعْنَاهُ: امْضِ لِشَأْنِكَ الَّذِي اخْتَرْتَهُ خِذْلَانًا وَتَخْلِيَةً، وَعَقَّبَهُ بِذِكْرِ مَا جَرَّهُ سُوءُ اخْتِيَارِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ﴾[4]، كَمَا قَالَ مُوسَى –عَلَيْهِ السَّلَامُ– لِلسَّامِرِيِّ: ﴿فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لا مِسَاسَ﴾[5].

فَإِنْ قُلْتَ: أَمَا كَانَ مِنْ حَقِّ الضَّمِيرِ فِي الْجَزَاءِ أَنْ يَكُونَ عَلَى لَفْظِ الْغَيْبَةِ لِيَرْجِعَ إِلَى مَنْ تَبِعَكَ؟

قُلْتُ: بَلَى، وَلَكِنَّ التَّقْدِيرَ: فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُهُمْ وَجَزَاؤُكَ، ثُمَّ غُلِّبَ الْمُخَاطَبُ عَلَى الْغَائِبِ فَقِيلَ: جَزَاؤُكُمْ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِلتَّابِعِينَ عَلَى طَرِيقِ الِالْتِفَاتِ، وَانْتَصَبَ: ﴿جَزَاءً مَوْفُورًا﴾[6]، بِمَا فِي ﴿فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ﴾[7] مِنْ مَعْنَى: تُجَازَوْنَ، أَوْ بِإِضْمَارِ تُجَازَوْنَ، أَوْ عَلَى الْحَالِ، لِأَنَّ الْجَزَاءَ مَوْصُوفٌ بِالْمَوْفُورِ، وَالْمَوْفُورُ الْمُوفَرُ، يُقَالُ: فِرْ لِصَاحِبِكَ عِرْضَهُ فِرَةً.

اسْتَفَزَّهُ: اسْتَخَفَّهُ، وَالْفَزُّ: الْخَفِيفُ.

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[5] سورة طَهَ، الآية 97.

[6] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[7] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

﴿وَأَجْلِبْ﴾[1]: مِنَ الْجَلَبَةِ، وَهِيَ الصِّيَاحُ، وَالْخَيْلُ: الْخَيَّالَةُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "يَا خَيْلَ اللَّهِ ارْكَبِي"، وَالرَّجْلُ: اسْمُ جَمْعٍ لِلرَّاجِلِ، وَنَظِيرُهُ: الرَّكْبُ وَالصَّحْبُ، وَقُرِئَ: "وَرِجْلِكَ"، عَلَى أَنَّ فِعْلًا بِمَعْنَى: فَاعِلٍ، نَحْوَ: تَعِبٍ وَتَاعِبٍ، وَمَعْنَاهُ: وَجَمْعُكَ الرَّجُلَ، وَتُضَمُّ جِيمُهُ أَيْضًا-، فَيَكُونُ مِثْلَ حَدَثٍ وَحِدْثٍ، وَنَدُسٍ وَنِدْسٍ، وَأَخَوَاتٍ لَهُمَا، يُقَالُ: رَجِلَ رَجُلَ، وَقُرِئَ: "وَرِجَالِكَ، وَرَجَالِكَ".

فَإِنْ قُلْتُ: مَا مَعْنَى: اسْتِفْزَازِ إِبْلِيسَ بِصَوْتِهِ وَإِجْلَابِهِ بِخَيْلِهِ وَرَجِلِهِ؟

قُلْتُ: هُوَ كَلَامٌ وَرَدَ مَوْرِدَ التَّمْثِيلِ، مُثِّلَتْ حَالُهُ فِي تَسَلُّطِهِ عَلَى مَنْ يُغْوِيهِ بِمِغْوَارٍ أَوْقَعَ عَلَى قَوْمٍ فَصَوَّتَ بِهِمْ صَوْتًا يَسْتَفِزُّهُمْ مِنْ أَمَاكِنِهِمْ وَيُقْلِقُهُمْ عَنْ مَرَاكِزِهِمْ، وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمْ بِجُنْدِهِ مِنْ خَيَّالَةٍ وَرَجَّالَةٍ حَتَّى اسْتَأْصَلَهُمْ.

وَقِيلَ: بِصَوْتِهِ: بِدُعَائِهِ إِلَى الشَّرِّ، وَخَيْلِهِ وَرَجِلِهِ: كُلُّ رَاكِبٍ وَمَاشٍ مِنْ أَهْلِ الْعَيْثِ، وَقِيلَ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِإِبْلِيسَ خَيْلٌ وَرِجَالٌ، وَأَمَّا الْمُشَارَكَةُ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ فَكُلُّ مَعْصِيَةٍ يَحْمِلُهُمْ عَلَيْهَا فِي بَابِهِمَا، كَالرِّبَا وَالْمَكَاسِبِ الْمُحَرَّمَةِ، وَالْبَحِيرَةِ وَالسَّائِبَةِ، وَالْإِنْفَاقِ فِي الْفُسُوقِ، وَالْإِسْرَافِ، وَمَنْعِ الزَّكَاةِ، وَالتَّوَصُّلِ إِلَى الْأَوْلَادِ بِالسَّبَبِ الْحَرَامِ، وَدَعْوَى وَلَدٍ بِغَيْرِ سَبَبٍ، وَالتَّسْمِيَةِ بِعَبْدِ الْعُزَّى وَعَبْدِ الْحَرْثِ، وَالتَّهْوِيدِ وَالتَّنْصِيرِ، وَالْحَمْلِ عَلَى الْحِرَفِ الذَّمِيمَةِ وَالْأَعْمَالِ الْمَحْظُورَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

﴿وَعِدْهُمْ﴾[2]: الْمَوَاعِيدَ الْكَاذِبَةَ، مِنْ شَفَاعَةِ الْآلِهَةِ وَالْكَرَامَةِ عَلَى اللَّهِ بِالْأَنْسَابِ الشَّرِيفَةِ، وَتَسْوِيفِ التَّوْبَةِ وَمَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ بِدُونِهَا، وَالِاتِّكَالِ عَلَى الرَّحْمَةِ، وَشَفَاعَةِ الرَّسُولِ فِي الْكَبَائِرِ وَالْخُرُوجِ مِنَ النَّارِ بَعْدَ أَنْ يَصِيرُوا حُمَمًا، وَإِيثَارِ الْعَاجِلِ عَلَى الْآجِلِ.

﴿إِنَّ عِبَادِي﴾[3]: يُرِيدُ الصَّالِحِينَ.

﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾[4]، أَيْ: لَا تَقْدِرُ أَنْ تُغْوِيَهُمْ.

﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلا﴾[5]: لَهُمْ يَتَوَكَّلُونَ بِهِ فِي الِاسْتِعَاذَةِ مِنْكَ، وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[6].

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[5] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[6] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ جَازَ أَنْ يَأْمُرَ اللَّهُ إِبْلِيسَ بِأَنْ يَتَسَلَّطَ عَلَى عِبَادِهِ مُغْوِيًا مُضِلًّا، دَاعِيًا إِلَى الشَّرِّ، صَادًّا عَنِ الْخَيْرِ؟

قُلْتُ: هُوَ مِنَ الْأَوَامِرِ الْوَارِدَةِ عَلَى سَبِيلِ الْخِذْلَانِ وَالتَّخْلِيَةِ، كَمَا قَالَ لِلْعُصَاةِ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ.

﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُورًا﴾[1]

﴿يُزْجِي﴾[2]: يَجْرِي وَيَسِيرُ، وَالضُّرُّ: خَوْفُ الْغَرَقِ.

﴿ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلا إِيَّاهُ﴾[3]: ذَهَبَ عَنْ أَوْهَامِكُمْ وَخَوَاطِرِكُمْ كُلُّ مَنْ تَدْعُونَهُ فِي حَوَادِثِكُمْ إِلَّا إِيَّاهُ وَحْدَهُ، فَإِنَّكُمْ لَا تَذْكُرُونَ سِوَاهُ، وَلَا تَدْعُونَهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَلَا تَعْقِدُونَ بِرَحْمَتِهِ رَجَاءَكُمْ، وَلَا تُخْطِرُونَ بِبَالِكُمْ أَنَّ غَيْرَهُ يَقْدِرُ عَلَى إِغَاثَتِكُمْ، أَوْ لَمْ يَهْتَدِ لِإِنْقَاذِكُمْ أَحَدٌ غَيْرُهُ مِنْ سَائِرِ الْمَدْعُوِّينَ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ: ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ مِنَ الْآلِهَةِ عَنْ إِغَاثَتِكُمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي تَرْجُونَهُ وَحْدَهُ عَلَى الِاسْتِثْنَاءِ الْمُنْقَطِعِ.

﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلا أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾[4]

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

﴿أَفَأَمِنْتُمْ﴾[1]: الْهَمْزَةُ: لِلْإِنْكَارِ، وَالْفَاءُ: لِلْعَطْفِ عَلَى مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: أَنَجَوْتُمْ فَأَمِنْتُمْ، فَحَمَلَكُمْ ذَلِكَ عَلَى الْإِعْرَاضِ.

فَإِنْ قُلْتَ: بِمَ انْتَصَبَ ﴿جَانِبَ الْبَرِّ﴾[2]؟

قُلْتُ: بِـ ﴿يَخْسِفَ﴾[3] مَفْعُولًا بِهِ، كَالْأَرْضِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾[4].

وَ﴿بِكُمْ﴾[5]: حَالٌ، وَالْمَعْنَى: أَنْ يَخْسِفَ جَانِبَ الْبَرِّ، أَيْ: يَقْلِبَهُ وَأَنْتُمْ عَلَيْهِ.

فَإِنْ قُلْتَ فَمَا مَعْنَى: ذِكْرِ الْجَانِبِ؟

قُلْتُ: مَعْنَاهُ: أَنَّ الْجَوَانِبَ وَالْجِهَاتِ كُلَّهَا فِي قُدْرَتِهِ سَوَاءٌ، وَلَهُ فِي كُلِّ جَانِبٍ بَرًّا كَانَ أَوْ بَحْرًا سَبَبٌ مُرْصَدٌ مِنْ أَسْبَابِ الْهَلَكَةِ، لَيْسَ جَانِبُ الْبَحْرِ وَحْدَهُ مُخْتَصًّا بِذَلِكَ، بَلْ إِنْ كَانَ الْغَرَقُ فِي جَانِبِ الْبَحْرِ، فَفِي جَانِبِ الْبَرِّ مَا هُوَ مِثْلُهُ، وَهُوَ الْخَسْفُ، لِأَنَّهُ تَغْيِيبٌ تَحْتَ التُّرَابِ كَمَا أَنَّ الْغَرَقَ تَغْيِيبٌ تَحْتَ الْمَاءِ؛ فَالْبَرُّ وَالْبَحْرُ عِنْدَهُ سِيَّانِ يَقْدِرُ فِي الْبَرِّ عَلَى نَحْوِ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ فِي الْبَحْرِ، فَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَسْتَوِيَ خَوْفُهُ مِنَ اللَّهِ فِي جَمِيعِ الْجَوَانِبِ وَحَيْثُ كَانَ.

﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾[6]، وَهِيَ: الرِّيحُ الَّتِي تُحْصِبُ أَيْ: تَرْمِي بِالْحَصْبَاءِ، يَعْنِي: أَوْ إِنْ لَمْ يُصِبْكُمْ بِالْهَلَاكِ مِنْ تَحْتِكُمْ بِالْخَسْفِ، أَصَابَكُمْ بِهِ مِنْ فَوْقِكُمْ بِرِيحٍ يُرْسِلُهَا عَلَيْكُمْ فِيهَا الْحَصْبَاءُ يَرْجُمُكُمْ بِهَا، فَيَكُونُ أَشَدَّ عَلَيْكُمْ مِنَ الْغَرَقِ فِي الْبَحْرِ.

"وَكِيلًا": مَنْ يَتَوَكَّلُ بِصَرْفِ ذَلِكَ عَنْكُمْ.

﴿أَمْ أَمِنْتُمْ﴾[7]: أَنْ يُقَوِّيَ دَوَاعِيَكُمْ، وَيُوَفِّرَ حَوَائِجَكُمْ إِلَى أَنْ تَرْجِعُوا فَتَرْكَبُوا الْبَحْرَ الَّذِي نَجَّاكُمْ مِنْهُ فَأَعْرَضْتُمْ، فَيَنْتَقِمُ مِنْكُمْ بِأَنْ يُرْسِلَ: ﴿عَلَيْكُمْ قَاصِفًا﴾[8]، وَهِيَ: الرِّيحُ الَّتِي لَهَا قَصِيفٌ، وَهُوَ الصَّوْتُ الشَّدِيدُ، كَأَنَّهَا تَتَقَصَّفُ أَيْ: تَتَكَسَّرُ.

وَقِيلَ: الَّتِي لَا تَمُرُّ بِشَيْءٍ إِلَّا قَصَفَتْهُ.

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[5] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[6] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[7] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[8] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

﴿فَيُغْرِقَكُمْ﴾[1]: وَقُرِئَ بِالتَّاءِ، أَيْ: الرِّيحُ، وَبِالنُّونِ، وَكَذَلِكَ: نَخْسِفُ، وَنُرْسِلُ، وَنُعِيدُكُمْ، قُرِئَتْ بِالْيَاءِ وَالنُّونِ، التَّبِيعُ: الْمُطَالِبُ، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾[2]، أَيْ: مُطَالَبَةٌ.

قَالَ الشَّمَّاخُ:

.....كَمَا لَاذَ الْغَرِيمُ مِنَ التَّبِيعِ

يُقَالُ: فُلَانٌ عَلَى فُلَانٍ تَبِيعٌ بِحَقِّهِ، أَيْ: مُصَيْطِرٌ عَلَيْهِ مُطَالِبٌ لَهُ بِحَقِّهِ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّا نَفْعَلُ مَا نَفْعَلُ بِهِمْ، ثُمَّ لَا تَجِدُ أَحَدًا يُطَالِبُنَا بِمَا فَعَلْنَا انْتِصَارًا مِنَّا وَدَرَكًا لِلثَّأْرِ مِنْ جِهَتِنَا.

وَهَذَا نَحْوُ قَوْلِهِ: ﴿وَلا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾[3].

﴿بِمَا كَفَرْتُمْ﴾[4]: بِكُفْرَانِكُمُ النِّعْمَةَ، يُرِيدُ: إِعْرَاضَهُمْ حِينَ نَجَّاهُمْ.

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[5]

قِيلَ: فِي تَكْرُمَةِ ابْنِ آدَمَ: كَرَّمَهُ اللَّهُ بِالْعَقْلِ، وَالنُّطْقِ، وَالتَّمْيِيزِ، وَالْخَطِّ، وَالصُّورَةِ الْحَسَنَةِ، وَالْقَامَةِ الْمُعْتَدِلَةِ، وَتَدْبِيرِ أَمْرِ الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ.

وَقِيلَ: بِتَسْلِيطِهِمْ عَلَى مَا فِي الْأَرْضِ وَتَسْخِيرِهِ لَهُمْ، وَقِيلَ: كُلُّ شَيْءٍ يَأْكُلُ بِفِيهِ إِلَّا ابْنَ آدَمَ.

وَعَنِ الرَّشِيدِ: أَنَّهُ أَحْضَرَ طَعَامًا فَدَعَا بِالْمَلَاعِقِ وَعِنْدَهُ أَبُو يُوسُفَ، فَقَالَ لَهُ: جَاءَ فِي تَفْسِيرِ جَدِّكَ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾[6]: جَعَلْنَا لَهُمْ أَصَابِعَ يَأْكُلُونَ بِهَا، فَأُحْضِرَتِ الْمَلَاعِقُ فَرَدَّهَا وَأَكَلَ بِأَصَابِعِهِ.

---

1 سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
2 سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
3 سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
4 سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
5 سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
6 سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

﴿عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا﴾[1]: هُوَ مَا سِوَى الْمَلَائِكَةِ، وَحَسْبُ بَنِي آدَمَ تَفْضِيلًا أَنْ تُرْفَعَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ وَهُمْ هُمْ وَمَنْزِلَتُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَتُهُمْ.

وَالْعَجَبُ مِنَ الْمُجْبِرَةِ كَيْفَ عَكَسُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ وَكَابَرُوا، حَتَّى جَسَرَتْهُمْ عَادَةُ الْمُكَابَرَةِ عَلَى الْعَظِيمَةِ الَّتِي هِيَ تَفْضِيلُ الْإِنْسَانِ عَلَى الْمَلَكِ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَا سَمِعُوا تَفْخِيمَ اللَّهِ أَمْرَهُمْ وَتَكْثِيرَهُ مَعَ التَّعْظِيمِ ذِكْرَهُمْ، وَعَلِمُوا أَيْنَ أَسْكَنَهُمْ، وَأَنَّى قَرَّبَهُمْ، وَكَيْفَ نَزَّلَهُمْ مِنْ أَنْبِيَائِهِ مَنْزِلَةَ أَنْبِيَائِهِ مِنْ أُمَمِهِمْ، ثُمَّ جَرَّهُمْ فَرْطُ التَّعَصُّبِ عَلَيْهِمْ إِلَى أَنْ لَفَّقُوا أَقْوَالًا وَأَخْبَارًا مِنْهَا: قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: رَبَّنَا إِنَّكَ أَعْطَيْتَ بَنِي آدَمَ الدُّنْيَا يَأْكُلُونَ مِنْهَا وَيَتَمَتَّعُونَ وَلَمْ تُعْطِنَا ذَلِكَ، فَأَعْطِنَاهُ فِي الْآخِرَةِ، فَقَالَ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، لَا أَجْعَلُ ذُرِّيَّةَ مَنْ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ كَمَنْ قُلْتُ لَهُ: كُنْ فَكَانَ.

وَرَوَوْا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: لَمُؤْمِنٌ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ عِنْدَهُ".

وَمِن ارْتِكَابِهِمْ أَنَّهُمْ فَسَّرُوا: "كَثِيرًا" بِمَعْنَى: "جَمِيعٍ" فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَخُذِلُوا حَتَّى سُلِبُوا الذَّوْقَ فَلَمْ يُحِسُّوا بِبَشَاعَةِ قَوْلِهِمْ: وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى جَمِيعٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا، عَلَى أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِمْ: "عَلَى جَمِيعٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا": أَشْجَى لِحُلُوقِهِمْ وَأَقْذَى لِعُيُونِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَشْعُرُونَ.

فَانْظُرْ إِلَى تَمَحُّلِهِمْ وَتَشَبُّثِهِمْ بِالتَّأْوِيلَاتِ الْبَعِيدَةِ فِي عَدَاوَةِ الْمَلَإِ الْأَعْلَى، كَأَنَّ جِبْرِيلَ –عَلَيْهِ السَّلَامُ– غَاظَهُمْ حِينَ أَهْلَكَ مَدَائِنَ قَوْمِ لُوطٍ، فَتِلْكَ السَّخِيمَةُ لَا تَنْحَلُّ عَنْ قُلُوبِهِمْ.

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[2]

قُرِئَ: "يَدْعُو" بِالْيَاءِ وَالنُّونِ، وَيُدْعَى كُلُّ أُنَاسٍ، عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ: "يَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ"، عَلَى قَلْبِ الْأَلِفِ وَاوًا فِي لُغَةِ مَنْ يَقُولُ: افْعُوا، وَالظَّرْفُ نَصْبٌ بِإِضْمَارِ اذْكُرْ.

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

وَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهَا عَلَامَةُ الْجَمْعِ، كَمَا فِي: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾[1]، وَالرَّفْعُ مُقَدَّرٌ كَمَا فِي: يُدْعَى، وَلَمْ يُؤْتَ بِالنُّونِ، قِلَّةَ مُبَالَاةٍ بِهَا، لِأَنَّهَا غَيْرُ ضَمِيرٍ، لَيْسَتْ إِلَّا عَلَامَةً.

﴿بِإِمَامِهِمْ﴾[2]: بِمَنِ ائْتَمُّوا بِهِ مِنْ نَبِيٍّ أَوْ مُقَدَّمٍ فِي الدِّينِ، أَوْ كِتَابٍ، أَوْ دِينٍ، فَيُقَالُ: يَا أَتْبَاعَ فُلَانٍ، يَا أَهْلَ دِينِ كَذَا وَكِتَابِ كَذَا، وَقِيلَ: بِكِتَابِ أَعْمَالِهِمْ، فَيُقَالُ: يَا أَصْحَابَ كِتَابِ الْخَيْرِ، وَيَا أَصْحَابَ كِتَابِ الشَّرِّ.

وَفِي قِرَاءَةِ الْحَسَنِ: "بِكِتَابِهِمْ".

وَمِنْ بِدَعِ التَّفَاسِيرِ: أَنَّ الْإِمَامَ جَمْعُ أُمٍّ، وَأَنَّ النَّاسَ يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأُمَّهَاتِهِمْ، وَأَنَّ الْحِكْمَةَ فِي الدُّعَاءِ بِالْأُمَّهَاتِ دُونَ الْآبَاءِ رِعَايَةُ حَقِّ عِيسَى –عَلَيْهِ السَّلَامُ– وَإِظْهَارُ شَرَفِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ، وَأَلَّا يَفْتَضِحَ أَوْلَادُ الزِّنَا، وَلَيْتَ شِعْرِي أَيُّهُمَا أَبْدَعُ؟ أَصِحَّةُ لَفْظِهِ أَمْ بَهَاءُ حِكْمَتِهِ؟

﴿فَمَنْ أُوتِيَ﴾[3]: مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَدْعُوِّينَ.

﴿كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ﴾[4]، قِيلَ: أُولَئِكَ، لِأَنَّ مَنْ أُوتِيَ فِي مَعْنَى الْجَمْعِ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ خَصَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ بِقِرَاءَةِ كِتَابِهِمْ؟ كَأَنَّ أَصْحَابَ الشِّمَالِ لَا يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ؟

قُلْتُ: بَلَى، وَلَكِنْ إِذَا اطَّلَعُوا عَلَى مَا فِي كِتَابِهِمْ، أَخَذَهُمْ مَا يَأْخُذُ الْمُطَالَبَ بِالْبَدَاءِ عَلَى جِنَايَاتِهِ، وَالِاعْتِرَافِ بِمُسَاوِيهِ، أَمَامَ التَّنْكِيلِ بِهِ وَالِانْتِقَامِ مِنْهُ، مِنَ الْحَيَاءِ وَالْخَجَلِ وَالِانْخِزَالِ، وَحَبْسَةِ اللِّسَانِ، وَالتَّتَعْتُعِ، وَالْعَجْزِ عَنْ إِقَامَةِ حُرُوفِ الْكَلَامِ، وَالذَّهَابِ عَنْ تَسْوِيَةِ الْقَوْلِ، فَكَأَنَّ قِرَاءَتَهُمْ كَلَا قِرَاءَةٍ.

وَأَمَّا أَصْحَابُ الْيَمِينِ، فَأَمْرُهُمْ عَلَى عَكْسِ ذَلِكَ، لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ أَحْسَنَ قِرَاءَةٍ وَأَبْيَنَهَا، وَلَا يَقْنَعُونَ بِقِرَاءَتِهِمْ وَحْدَهُمْ حَتَّى يَقُولَ الْقَارِئُ لِأَهْلِ الْمَحْشَرِ: ﴿هَاؤُمُ

---

[1] سورة الْأَنْبِيَاءُ، الآية 33.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ، وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلا﴾[1]: وَلَا يُنْقَصُونَ مِنْ ثَوَابِهِمْ أَدْنَى شَيْءٍ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾[2]، ﴿فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا﴾[3].

﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾[4]

مَعْنَاهُ: وَمَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا أَعْمَى، فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى كَذَلِكَ.

﴿وَأَضَلُّ سَبِيلا﴾[5]: مِنَ الْأَعْمَى، وَالْأَعْمَى: مُسْتَعَارٌ مِمَّنْ لَا يُدْرِكُ الْمُبْصَرَاتِ لِفَسَادِ حَاسَّتِهِ، لِمَنْ لَا يَهْتَدِي إِلَى طَرِيقِ النَّجَاةِ: أَمَّا فِي الدُّنْيَا فَلِفَقْدِ النَّظَرِ؛ وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ، فَلِأَنَّهُ لَا يَنْفَعُهُ الِاهْتِدَاءُ إِلَيْهِ، وَقَدْ جَوَّزُوا أَنْ يَكُونَ الثَّانِي بِمَعْنَى: التَّفْضِيلِ.

وَمِنْ ثَمَّ قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو الْأَوَّلَ: مُمَالًا، وَالثَّانِي مُفَخَّمًا، لِأَنَّ أَفْعَلَ التَّفْضِيلِ تَمَامُهُ بِمِنْ، فَكَانَتْ أَلِفُهُ فِي حُكْمِ الْوَاقِعَةِ فِي وَسَطِ الْكَلَامِ، كَقَوْلِكَ: أَعْمَالُكُمْ.

وَأَمَّا الْأَوَّلُ، فَلَمْ يَتَعَلَّقْ بِهِ شَيْءٌ، فَكَانَتْ أَلِفُهُ وَاقِعَةً فِي الطَّرَفِ مُعَرَّضَةً لِلْإِمَالَةِ.

﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاتَّخَذُوكَ خَلِيلا وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾[6]

رُوِيَ أَنَّ ثَقِيفًا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: لَا نَدْخُلُ فِي أَمْرِكَ حَتَّى تُعْطِيَنَا خِصَالًا نَفْتَخِرُ بِهَا عَلَى الْعَرَبِ: لَا نُعْشَرُ، وَلَا نُحْشَرُ، وَلَا نَجْبِي فِي صَلَاتِنَا، وَكُلُّ رِبًا لَنَا

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[2] سورة مَرْيَمَ، الآية 60.
[3] سورة طَهَ، الآية 112.
[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[5] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[6] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

فَهُوَ لَنَا، وَكُلُّ رِبًا عَلَيْنَا فَهُوَ مَوْضُوعٌ عَنَّا، وَأَنْ تُمَتِّعَنَا بِاللَّاتِ سَنَةً، وَلَا نَكْسِرُهَا بِأَيْدِينَا عِنْدَ رَأْسِ الْحَوْلِ، وَأَنْ تَمْنَعَ مِنْ قَصْدِ وَادِينَا وَجٍّ فَعَضْدِ شَجَرِهِ.

فَإِذَا سَأَلَتْكَ الْعَرَبُ: لِمَ فَعَلْتَ ذَلِكَ؟ فَقُلْ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِهِ، وَجَاءُوا بِكِتَابِهِمْ فَكَتَبَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ لِثَقِيفٍ: لَا يُعْشَرُونَ وَلَا يُحْشَرُونَ، فَقَالُوا: وَلَا يُجْبَوْنَ، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ثُمَّ قَالُوا لِلْكَاتِبِ: اكْتُبْ: وَلَا يُجْبَوْنَ، وَالْكَاتِبُ يَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، فَقَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– فَسَلَّ سَيْفَهُ، وَقَالَ: أَسَعَرْتُمْ قَلْبَ نَبِيِّنَا يَا مَعْشَرَ ثَقِيفٍ، أَسْعَرَ اللَّهُ قُلُوبَكُمْ نَارًا، فَقَالُوا: لَسْنَا نُكَلِّمُ إِيَّاكَ، إِنَّمَا نُكَلِّمُ مُحَمَّدًا، فَنَزَلَتْ.

وَرُوِيَ أَنَّ قُرَيْشًا قَالُوا لَهُ: اجْعَلْ آيَةَ رَحْمَةٍ آيَةَ عَذَابٍ، وَآيَةَ عَذَابٍ آيَةَ رَحْمَةٍ، حَتَّى نُؤْمِنَ بِكَ، فَنَزَلَتْ: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾[1]: ﴿إِنْ﴾[2] مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَاللَّامُ هِيَ الْفَارِقَةُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ النَّافِيَةِ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّ الشَّأْنَ قَارَبُوا أَنْ يَفْتِنُوكَ، أَيْ: يَخْدَعُوكَ فَاتِنَيْنِ.

﴿عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾[3]: مِنْ أَوَامِرِنَا وَنَوَاهِينَا وَوَعْدِنَا وَوَعِيدِنَا.

﴿لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا﴾[4]: لِتَقُولَ عَلَيْنَا مَا لَمْ نَقُلْ، يَعْنِي: مَا أَرَادُوهُ عَلَيْهِ مِنْ تَبْدِيلِ الْوَعْدِ وَعِيدًا وَالْوَعِيدِ وَعْدًا، وَمَا اقْتَرَحَتْهُ ثَقِيفٌ مِنْ أَنْ يُضِيفَ إِلَى اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْهُ عَلَيْهِ.

﴿وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ﴾[5]، أَيْ: وَلَوِ اتَّبَعْتَ مُرَادَهُمْ لَاتَّخَذُوكَ.

﴿خَلِيلا﴾[6]: وَلَكُنْتَ لَهُمْ وَلِيًّا، وَخَرَجْتَ مِنْ وِلَايَتِي.

﴿وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ﴾[7]: وَلَوْلَا تَثْبِيتُنَا لَكَ وَعِصْمَتُنَا.

﴿لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾[8]: لَقَارَبْتَ أَنْ تَمِيلَ إِلَى خَدْعِهِمْ وَمَكْرِهِمْ، وَهَذَا تَهْيِيجٌ مِنَ اللَّهِ لَهُ وَفَضْلُ تَثْبِيتٍ، وَفِي ذَلِكَ لُطْفٌ لِلْمُؤْمِنِينَ.

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[5] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[6] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[7] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[8] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

﴿إِذًا﴾[1]: لَوْ قَارَبْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ أَدْنَى رَكْنَةٍ.

﴿لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾[2]، أَيْ: لَأَذَقْنَاكَ عَذَابَ الْآخِرَةِ وَعَذَابَ الْقَبْرِ مُضَاعَفَيْنِ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ حَقِيقَةُ هَذَا الْكَلَامِ؟

قُلْتُ: أَصْلُهُ: لَأَذَقْنَاكَ عَذَابَ الْحَيَاةِ وَعَذَابَ الْمَمَاتِ، لِأَنَّ الْعَذَابَ عَذَابَانِ: عَذَابٌ فِي الْمَمَاتِ، وَهُوَ عَذَابُ الْقَبْرِ، وَعَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الْآخِرَةِ، وَهُوَ عَذَابُ النَّارِ، وَالضِّعْفُ يُوصَفُ بِهِ، نَحْوُ قَوْلِهِ: ﴿فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ﴾[3]، بِمَعْنَى: مُضَاعَفًا، فَكَانَ أَصْلُ الْكَلَامِ: لَأَذَقْنَاكَ عَذَابًا ضِعْفًا فِي الْحَيَاةِ، وَعَذَابًا ضِعْفًا فِي الْمَمَاتِ، ثُمَّ حُذِفَ الْمَوْصُوفُ وَأُقِيمَتِ الصِّفَةُ مَقَامَهُ، وَهُوَ الضَّعْفُ؛ ثُمَّ أُضِيفَتِ الصِّفَةُ إِضَافَةَ الْمَوْصُوفِ، فَقِيلَ: ضِعْفُ الْحَيَاةِ وَضِعْفُ الْمَمَاتِ، كَمَا لَوْ قِيلَ: لَأَذَقْنَاكَ أَلِيمَ الْحَيَاةِ وَأَلِيمَ الْمَمَاتِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِضِعْفِ الْحَيَاةِ: عَذَابُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَبِضِعْفِ الْمَمَاتِ: مَا يُعْقِبُ الْمَوْتُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ النَّارِ.

وَالْمَعْنَى: لَضَاعَفْنَا لَكَ الْعَذَابَ الْمُعَجَّلَ لِلْعُصَاةِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَمَا نُؤَخِّرُهُ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَفِي ذِكْرِ الْكَيْدُودَةِ وَتَقْلِيلِهَا، مَعَ إِتْبَاعِهَا الْوَعِيدَ الشَّدِيدَ بِالْعَذَابِ الْمُضَاعَفِ فِي الدَّارَيْنِ دَلِيلٌ بَيِّنٌ عَلَى أَنَّ الْقَبِيحَ يَعْظُمُ قُبْحُهُ بِمِقْدَارِ عِظَمِ شَأْنِ فَاعِلِهِ وَارْتِفَاعِ مَنْزِلَتِهِ، وَمِنْ ثَمَّ اسْتَعْظَمَ مَشَايِخُ الْعَدْلِ وَالتَّوْحِيدِ –رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ– نِسْبَةَ الْمُجْبِرَةِ الْقَبَائِحَ إِلَى اللَّهِ –تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا– وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَدْنَى مُدَاهَنَةٍ لِلْغُوَاةِ مُضَادَّةٌ لِلَّهِ وَخُرُوجٌ عَنْ وِلَايَتِهِ، وَسَبَبٌ مُوجِبٌ لِغَضَبِهِ وَنَكَالِهِ.

فَعَلَى الْمُؤْمِنِ إِذَا تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ أَنْ يَجْثُوَ عِنْدَهَا وَيَتَدَبَّرَهَا، فَهِيَ جَدِيرَةٌ بِالتَّدَبُّرِ، وَبِأَنْ يَسْتَشْعِرَ النَّاظِرُ فِيهَا الْخَشْيَةَ وَازْدِيَادَ التَّصَلُّبِ فِي دِينِ اللَّهِ.

وَعَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنَّهَا لَمَّا نَزَلَتْ كَانَ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ لَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ".

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْأَعْرَافُ، الآية 38.

﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلّا قَلِيلًا سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مَنْ رُسُلِنَا وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾[1]

﴿وَإِنْ كَادُوا﴾[2]: وَإِنْ كَادَ أَهْلُ مَكَّةَ.

﴿لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾[3]: لَيُزْعِجُونَكَ بِعَدَاوَتِهِمْ وَمَكْرِهِمْ.

﴿مِنَ الأَرْضِ﴾[4]: مِنْ أَرْضِ مَكَّةَ.

﴿وَإِذًا لا يَلْبَثُونَ﴾[5]: لَا يَبْقَوْنَ بَعْدَ إِخْرَاجِكَ، ﴿إِلَّا﴾[6]: زَمَانًا، ﴿قَلِيلًا﴾: فَإِنَّ اللَّهَ مُهْلِكُهُمْ وَكَانَ كَمَا قَالَ، فَقَدْ أُهْلِكُوا بِبَدْرٍ بَعْدَ إِخْرَاجِهِ بِقَلِيلٍ.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: وَلَوْ أَخْرَجُوكَ لَاسْتُؤْصِلُوا عَنْ بَكْرَةِ أَبِيهِمْ، وَلَمْ يُخْرِجُوهُ، بَلْ هَاجَرَ بِأَمْرِ رَبِّهِ، وَقِيلَ: مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ، وَقِيلَ: مِنْ أَرْضِ الْمَدِينَةِ.

وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لَمَّا هَاجَرَ حَسَدَتْهُ الْيَهُودُ وَكَرِهُوا قُرْبَهُ مِنْهُمْ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ وَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ، إِنَّمَا بُعِثُوا بِالشَّامِ، وَهِيَ بِلَادٌ مُقَدَّسَةٌ وَكَانَتْ مُهَاجَرَ إِبْرَاهِيمَ؛ فَلَوْ خَرَجْتَ إِلَى الشَّامِ لَآمَنَّا بِكَ وَاتَّبَعْنَاكَ، وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّهُ لَا يَمْنَعُكَ مِنَ الْخُرُوجِ إِلَّا خَوْفُ الرُّومِ؛ فَإِنْ كُنْتَ رَسُولَ اللَّهِ، فَاللَّهُ مَانِعُكَ مِنْهُمْ، فَعَسْكَرَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَلَى أَمْيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَقِيلَ: بِذِي الْحُلَيْفَةِ، حَتَّى يَجْتَمِعَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ، وَيَرَاهُ النَّاسُ عَازِمًا عَلَى الْخُرُوجِ إِلَى الشَّامِ، لِحِرْصِهِ عَلَى دُخُولِ النَّاسِ فِي دِينِ اللَّهِ، فَنَزَلَتْ، فَرَجَعَ.

وَقُرِئَ: ﴿لَا يَلْبَثُونَ﴾[7].

وَفِي قِرَاءَةِ أُبَيٍّ: "لَا يَلْبَثُوا" عَلَى إِعْمَالِ ﴿إِذًا﴾[8].

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[5] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[6] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[7] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[8] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا وَجْهُ الْقِرَاءَتَيْنِ؟

قُلْتُ: أَمَّا الشَّائِعَةُ فَقَدْ عُطِفَ فِيهَا الْفِعْلُ عَلَى الْفِعْلِ، وَهُوَ مَرْفُوعٌ لِوُقُوعِهِ خَبَرَ كَادَ، وَالْفِعْلُ فِي خَبَرِ كَادَ وَاقِعٌ مَوْقِعَ الِاسْمِ.

وَأَمَّا قِرَاءَةُ أُبَيٍّ، فَفِيهَا الْجُمْلَةُ بِرَأْسِهَا الَّتِي هِيَ: "إِذًا لَا يَلْبَثُوا"، عُطِفَ عَلَى جُمْلَةِ قَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾.

وَقُرِئَ: ﴿خِلَافَكَ﴾[1].

قَالَ:

عَفَتِ الدِّيَارُ خِلافَهُمْ فَكَأَنَّمَا... بَسَطَ الشَّوَاطِبُ بَيْنَهُنَّ حَصِيرَا

أَيْ: بَعْدَهُمْ ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا﴾[2]، يَعْنِي: أَنَّ كُلَّ قَوْمٍ أَخْرَجُوا رَسُولَهُمْ مِنْ بَيْنِ ظَهْرَانَيْهِمْ، فَسُنَّةُ اللَّهِ أَنْ يُهْلِكَهُمْ، وَنُصِبَتْ نَصْبَ الْمَصْدَرِ الْمُؤَكِّدِ، أَيْ: سَنَّ اللَّهُ ذَلِكَ سُنَّةً.

﴿أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾[3]

دَلَكَتِ الشَّمْسُ: غَرَبَتْ، وَقِيلَ: زَالَتْ.

وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "أَتَانِي جِبْرِيلُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- لِدُلُوكِ الشَّمْسِ حِينَ زَالَتِ الشَّمْسُ، فَصَلَّى بِيَ الظُّهْرَ"، وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ الدَّلْكِ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَدْلُكُ عَيْنَهُ عِنْدَ النَّظَرِ إِلَيْهَا؛ فَإِنْ كَانَ الدُّلُوكُ الزَّوَالَ فَالْآيَةُ جَامِعَةٌ لِلصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَإِنْ كَانَ الْغُرُوبُ فَقَدْ خَرَجَتْ مِنْهَا الظُّهْرُ وَالْعَصْرُ.

وَالْغَسَقُ: الظُّلْمَةُ، وَهُوَ وَقْتُ صَلَاةِ الْعِشَاءِ.

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾[1]: صَلَاةُ الْفَجْرِ، سُمِّيَتْ قُرْآنًا وَهُوَ الْقِرَاءَةُ، لِأَنَّهَا رُكْنٌ، كَمَا سُمِّيَتْ رُكُوعًا وَسُجُودًا وَقُنُوتًا، وَهِيَ حُجَّةٌ عَلَى ابْنِ عُلَيَّةَ وَالْأَصَمِّ فِي زَعْمِهِمَا أَنَّ الْقِرَاءَةَ لَيْسَتْ بِرُكْنٍ.

﴿مَشْهُودًا﴾[2]: يَشْهَدُهُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، يَنْزِلُ هَؤُلَاءِ، وَيَصْعَدُ هَؤُلَاءِ، فَهُوَ فِي آخِرِ دِيوَانِ اللَّيْلِ وَأَوَّلِ دِيوَانِ النَّهَارِ، أَوْ يَشْهَدُهُ الْكَثِيرُ مِنَ الْمُصَلِّينَ فِي الْعَادَةِ، أَوْ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يَكُونَ مَشْهُودًا بِالْجَمَاعَةِ الْكَثِيرَةِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾[3] حَثًّا عَلَى طُولِ الْقِرَاءَةِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، لِكَوْنِهَا مَكْتُوبًا عَلَيْهَا، لِيَسْمَعَ النَّاسُ الْقُرْآنَ فَيَكْثُرُ الثَّوَابُ، وَلِذَلِكَ كَانَتِ الْفَجْرُ أَطْوَلَ الصَّلَوَاتِ قِرَاءَةً.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾[4]: وَعَلَيْكَ بَعْضَ اللَّيْلِ.

﴿فَتَهَجَّدْ بِهِ﴾[5]: وَالتَّهَجُّدُ: تَرْكُ الْهُجُودِ لِلصَّلَاةِ، وَنَحْوُ: التَّأَثُّمُ وَالتَّحَرُّجُ، وَيُقَالُ أَيْضًا فِي النَّوْمِ: تَهَجَّدَ.

﴿نَافِلَةً لَكَ﴾[6]: عِبَادَةً زَائِدَةً لَكَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَضَعَ نَافِلَةً مَوْضِعَ تَهَجُّدًا، لِأَنَّ التَّهَجُّدَ عِبَادَةٌ زَائِدَةٌ، فَكَانَ التَّهَجُّدُ وَالنَّافِلَةُ يَجْمَعُهُمَا مَعْنًى وَاحِدٌ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّ التَّهَجُّدَ زِيدَ لَكَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَةِ فَرِيضَةً عَلَيْكَ خَاصَّةً دُونَ غَيْرِكَ، لِأَنَّهُ تَطَوُّعٌ لَهُمْ.

﴿مَقَامًا مَحْمُودًا﴾[7]: نَصْبٌ عَلَى الظَّرْفِ، أَيْ: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقِيمَكَ مَقَامًا مَحْمُودًا، أَوْ ضُمِّنَ يَبْعَثُكَ مَعْنَى: يُقِيمُكَ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا بِمَعْنَى: أَنْ يَبْعَثَكَ ذَا مَقَامٍ مَحْمُودٍ.

وَمَعْنَى الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ: الْمَقَامُ الَّذِي يَحْمَدُهُ الْقَائِمُ فِيهِ، وَكُلُّ مَنْ رَآهُ وَعَرَفَهُ، وَهُوَ مُطْلَقٌ فِي كُلِّ مَا يَجِبُ الْحَمْدُ مِنْ أَنْوَاعِ الْكَرَامَاتِ.

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[5] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[6] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[7] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

وَقِيلَ: الْمُرَادُ: الشَّفَاعَةُ، وَهِيَ نَوْعٌ وَاحِدٌ مِمَّا يَتَنَاوَلُهُ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–: مَقَامٌ يَحْمَدُكَ فِيهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخَرُونَ، وَتَشْرُفُ فِيهِ عَلَى جَمِيعِ الْخَلَائِقِ: تَسْأَلُ فَتُعْطَى، وَتَشْفَعُ فَتُشَفَّعُ، لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِكَ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :–"هُوَ الْمَقَامُ الَّذِي أَشْفَعُ فِيهِ لِأُمَّتِي"، وَعَنْ حُذَيْفَةَ يُجْمَعُ النَّاسُ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَلَا تَتَكَلَّمُ نَفْسٌ، فَأَوَّلُ مَدْعُوٍّ مُحَمَّدٌ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَيَقُولُ: "لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، وَالْمَهْدِيُّ مَنْ هَدَيْتَ، وَعَبْدُكَ بَيْنَ يَدَيْكَ وَبِكَ وَإِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، سُبْحَانَكَ رَبَّ الْبَيْتِ"، قَالَ: فَهَذَا قَوْلُهُ: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾[1].

﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾[2]

قُرِئَ: "مُدْخَلَ وَمُخْرَجَ" بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ: بِمَعْنَى الْمَصْدَرِ، وَمَعْنَى الْفَتْحِ: أَدْخِلْنِي فَأَدْخُلَ مُدْخَلَ صِدْقٍ، أَيْ: أَدْخِلْنِي الْقَبْرَ مُدْخَلَ صِدْقٍ: إِدْخَالًا مَرْضِيًّا عَلَى طَهَارَةٍ وَطِيبٍ مِنَ السَّيِّئَاتِ، وَأَخْرِجْنِي مِنْهُ عِنْدَ الْبَعْثِ إِخْرَاجًا مَرْضِيًّا، مُلْقَى بِالْكَرَامَةِ، آمِنًا مِنَ السُّخْطِ، يَدُلُّ عَلَيْهِ ذِكْرُهُ عَلَى أَثَرِ ذِكْرِ الْبَعْثِ.

وَقِيلَ: نَزَلَتْ حِينَ أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ –يُرِيدُ إِدْخَالَ الْمَدِينَةِ وَالْإِخْرَاجَ مِنْ مَكَّةَ–، وَقِيلَ: إِدْخَالُهُ مَكَّةَ ظَاهِرًا عَلَيْهَا بِالْفَتْحِ، وَإِخْرَاجُهُ مِنْهَا آمِنًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَقِيلَ: إِدْخَالُهُ الْغَارَ وَإِخْرَاجُهُ مِنْهُ سَالِمًا، وَقِيلَ إِدْخَالُهُ فِيمَا حَمَلَهُ مِنْ عَظِيمِ الْأَمْرِ –وَهُوَ النُّبُوَّةُ– وَإِخْرَاجُهُ مِنْهُ مُؤَدِّيًا لِمَا كَلَّفَهُ مِنْ غَيْرِ تَفْرِيطٍ، وَقِيلَ: الطَّاعَةُ، وَقِيلَ: هُوَ عَامٌّ فِي كُلِّ مَا يَدْخُلُ فِيهِ وَيُلَابِسُهُ مِنْ أَمْرٍ وَمَكَانٍ: ﴿سُلْطَانًا﴾[3]: حُجَّةً تَنْصُرُنِي عَلَى مَنْ خَالَفَنِي، أَوْ مُلْكًا وَعِزًّا قَوِيًّا نَاصِرًا لِلْإِسْلَامِ عَلَى الْكُفْرِ مُظْهِرًا لَهُ عَلَيْهِ، فَأُجِيبَ دَعْوَتُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية 79.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

النَّاسِ، فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[1]، ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾[2]، ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ﴾[3]؛ وَوَعَدَهُ لَيَنْزِعَنَّ مُلْكَ فَارِسَ وَالرُّومِ، فَيَجْعَلُهُ لَهُ.

وَعَنْهُ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: أَنَّهُ اسْتَعْمَلَ عَتَّابَ بْنَ أُسِيدٍ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ، وَقَالَ: "انْطَلِقْ فَقَدِ اسْتَعْمَلْتُكَ عَلَى أَهْلِ اللَّهِ"، فَكَانَ شَدِيدًا عَلَى الْمُرِيبِ، لَيِّنًا عَلَى الْمُؤْمِنِ، وَقَالَ: "لَا وَاللَّهِ لَا أَعْلَمُ مُتَخَلِّفًا يَتَخَلَّفُ عَنِ الصَّلَاةِ فِي جَمَاعَةٍ إِلَّا ضَرَبْتُ عُنُقَهُ، فَإِنَّهُ لَا يَتَخَلَّفُ عَنِ الصَّلَاةِ إِلَّا مُنَافِقٌ"، فَقَالَ أَهْلُمَكَّةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدِ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ اللَّهِ عَتَّابَ بْنَ أُسَيْدٍ أَعْرَابِيًّا جَافِيًا، فَقَالَ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "إِنِّي رَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ كَأَنَّ عَتَّابَ بْنَ أُسَيْدٍ أَتَى بَابَ الْجَنَّةِ، فَأَخَذَ بِحَلْقَةِ الْبَابِ فَقَلْقَلَهَا قِلْقَالًا شَدِيدًا حَتَّى فُتِحَ لَهُ فَدَخَلَهَا، فَأَعَزَّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ لِنُصْرَتِهِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى مَنْ يُرِيدُ ظُلْمَهُمْ، فَذَلِكَ السُّلْطَانُ النَّصِيرُ".

كَانَ حَوْلَ الْبَيْتِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ صَنَمًا ثُمَّ كُلُّ قَوْمٍ بِحِيَالِهِمْ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–: كَانَتْ لِقَبَائِلِ الْعَرَبِ يَحُجُّونَ إِلَيْهَا وَيَنْحَرُونَ لَهَا، فَشَكَا الْبَيْتُ إِلَى اللَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ–، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، حَتَّى مَتَى تُعْبَدُ هَذِهِ الْأَصْنَامُ حَوْلِي دُونَكَ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى الْبَيْتِ: إِنِّي سَأُحْدِثُ لَكَ نَوْبَةً جَدِيدَةً، فَأَمْلَأُكَ خُدُودًا سُجَّدًا، يَدِفُّونَ إِلَيْكَ دَفِيفَ النُّسُورِ، يَحِنُّونَ إِلَيْكَ حَنِينَ الطَّيْرِ إِلَى بَيْضِهَا، لَهُمْ عَجِيجٌ حَوْلَكَ بِالتَّلْبِيَةِ.

وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ يَوْمَ الْفَتْحِ قَالَ جِبْرِيلُ –عَلَيْهِ السَّلَامُ– لِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خُذْ مَخْصَرَتَكَ ثُمَّ أَلْقِهَا، فَجَعَلَ يَأْتِي صَنَمًا صَنَمًا، وَهُوَ يَنْكُتُ بِالْمَخْصَرَةِ فِي عَيْنِهِ وَيَقُولُ: جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ، فَيَنْكَبُّ الصَّنَمُ لِوَجْهِهِ حَتَّى أَلْقَاهَا جَمِيعًا، وَبَقِيَ صَنَمُ خُزَاعَةَ فَوْقَ الْكَعْبَةِ، وَكَانَ مِنْ قَوَارِيرَ صُفْرٍ، فَقَالَ: يَا عَلِيُّ، ارْمِ بِهِ؛ فَحَمَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– حَتَّى صَعِدَ فَرَمَى بِهِ فَكَسَرَهُ؛ فَجَعَلَ أَهْلُ مَكَّةَ يَتَعَجَّبُونَ وَيَقُولُونَ: مَا رَأَيْنَا رَجُلًا أَسْحَرَ مِنْ مُحَمَّدٍ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَشِكَايَةُ الْبَيْتِ وَالْوَحْيِ إِلَيْهِ: تَمْثِيلٌ وَتَخْيِيلٌ.

---

[1] سورة الْمَائِدَةُ، الآية 56.

[2] سورة النُّورُ، الآية 55.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

﴿وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾[1]: ذَهَبَ وَهَلَكَ، مِنْ قَوْلِهِمْ: زَهَقَتْ نَفْسُهُ، إِذَا خَرَجَتْ، وَالْحَقُّ: الْإِسْلَامُ، وَالْبَاطِلُ: الشِّرْكُ.

﴿كَانَ زَهُوقًا﴾[2]: كَانَ مُضْمَحِلًّا غَيْرَ ثَابِتٍ فِي كُلِّ وَقْتٍ.

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا﴾[3]

﴿وَنُنَزِّلُ﴾[4]: قُرِئَ بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ.

﴿مِنَ الْقُرْآنِ﴾[5]: "مِنْ" لِلتَّبْيِينِ، كَقَوْلِهِ: ﴿مِنَ الْأَوْثَانِ﴾[6] أَوْ لِلتَّبْعِيضِ، أَيْ: كُلُّ شَيْءٍ نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ فَهُوَ شِفَاءٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، يَزْدَادُونَ بِهِ إِيمَانًا، وَيَسْتَصْلِحُونَ بِهِ دِينَهُمْ، فَمَوْقِعُهُ مِنْهُمْ مَوْقِعُ الشِّفَاءِ مِنَ الْمَرْضَى.

وَعَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَنْ لَمْ يَسْتَشِفْ بِالْقُرْآنِ فَلَا شَفَاهُ اللَّهُ"، وَلَا يَزْدَادُ بِهِ الْكَافِرُونَ ﴿إِلاَّ خَسَارًا﴾[7]، أَيْ: نُقْصَانًا لِتَكْذِيبِهِمْ بِهِ وَكُفْرِهِمْ، كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾[8].

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾[9]

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[5] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[6] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[7] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[8] سورة التَّوْبَةُ، الآية 125.

[9] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنْسَانِ﴾[1]: بِالصِّحَّةِ وَالسَّعَةِ، ﴿أَعْرَضَ﴾[2]: عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، كَأَنَّهُ مُسْتَغْنٍ عَنْهُ مُسْتَبِدٌّ بِنَفْسِهِ، ﴿وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾[3]: تَأْكِيدٌ لِلْإِعْرَاضِ، لِأَنَّ الْإِعْرَاضَ عَنِ الشَّيْءِ أَنْ يُوَلِّيَهُ عُرْضَ وَجْهِهِ، وَالنَّأْيُ بِالْجَانِبِ: أَنْ يَلْوِيَ عَنْهُ عِطْفَهُ وَيُوَلِّيَهُ ظَهْرَهُ، وَأَرَادَ الِاسْتِكْبَارَ، لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ عَادَةِ الْمُسْتَكْبِرِينَ.

﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾[4]: مِنْ فَقْرٍ أَوْ مَرَضٍ أَوْ نَازِلَةٍ مِنَ النَّوَازِلِ، ﴿كَانَ يَئُوسًا﴾[5]: شَدِيدَ الْيَأْسِ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، ﴿إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[6].

وَقُرِئَ "وَنَاءَ بِجَانِبِهِ": بِتَقْدِيمِ اللَّامِ عَلَى الْعَيْنِ، كَقَوْلِهِ: "رَاءَ" فِي "رَأَى".

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ "نَاءَ" بِمَعْنَى: "نَهَضَ".

﴿قُلْ كُلٌّ﴾[7]: أَحَدٍ، ﴿يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾[8]، أَيْ: عَلَى مَذْهَبِهِ وَطَرِيقَتِهِ الَّتِي تُشَاكِلُ حَالَهُ فِي الْهُدَى وَالضَّلَالَةِ، مِنْ قَوْلِهِمْ: "طَرِيقٌ ذُو شَوَاكِلَ"، وَهِيَ الطُّرُقُ الَّتِي تَتَشَعَّبُ مِنْهُ.

وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلا﴾[9]، أَيْ: أَسَدُّ مَذْهَبًا وَطَرِيقَةً.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلًا﴾[10]

الْأَكْثَرُ عَلَى أَنَّهُ الرُّوحُ الَّذِي فِي الْحَيَوَانِ، سَأَلُوهُ عَنْ حَقِيقَتِهِ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، أَيْ: مِمَّا اسْتَأْثَرَ بِعِلْمِهِ.

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[5] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[6] سورة يُوسُفُ، الآية 87.
[7] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[8] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[9] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[10] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، لَقَدْ مَضَى النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَمَا يَعْلَمُ الرُّوحَ.

وَقِيلَ: هُوَ خَلْقٌ عَظِيمٌ رُوحَانِيٌّ أَعْظَمُ مِنَ الْمَلَكِ، وَقِيلَ: جِبْرِيلُ –عَلَيْهِ السَّلَامُ–، وَقِيلَ: الْقُرْآنُ.

وَ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[1]، أَيْ: مِنْ وَحْيِهِ وَكَلَامِهِ، لَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْبَشَرِ، بَعَثَتِ الْيَهُودُ إِلَى قُرَيْشٍ أَنْ سَلُوهُ عَنْ أَصْحَابِ الْكَهْفِ. وَعَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ، وَعَنِ الرُّوحِ، فَإِنْ أَجَابَ عَنْهَا أَوْ سَكَتَ فَلَيْسَ بِنَبِيٍّ، وَإِنْ أَجَابَ عَنْ بَعْضٍ وَسَكَتَ عَنْ بَعْضٍ فَهُوَ نَبِيٌّ، فَبَيَّنَ لَهُمُ الْقِصَّتَيْنِ وَأَبْهَمَ أَمْرَ الرُّوحِ وَهُوَ مُبْهَمٌ فِي التَّوْرَاةِ، فَنَدِمُوا عَلَى سُؤَالِهِمْ.

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ﴾[2]: الْخِطَابُ عَامٌّ، وَرُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لَمَّا قَالَ لَهُمْ ذَلِكَ قَالُوا: نَحْنُ مُخْتَصُّونَ بِهَذَا الْخِطَابِ أَمْ أَنْتَ مَعَنَا فِيهِ؟ فَقَالَ: بَلْ نَحْنُ وَأَنْتُمْ لَمْ نُؤْتَ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا، فَقَالُوا: مَا أَعْجَبَ شَأْنَكَ: سَاعَةً تَقُولُ: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[3]، وَسَاعَةً تَقُولُ هَذَا، فَنَزَلَتْ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ﴾[4].

وَلَيْسَ مَا قَالُوهُ بِلَازِمٍ، لِأَنَّ الْقِلَّةَ وَالْكَثْرَةَ تَدُورَانِ مَعَ الْإِضَافَةِ، فَيُوصَفُ الشَّيْءُ بِالْقِلَّةِ مُضَافًا إِلَى مَا فَوْقَهُ، وَبِالْكَثْرَةِ مُضَافًا إِلَى مَا تَحْتَهُ، فَالْحِكْمَةُ الَّتِي أُوتِيَهَا الْعَبْدُ خَيْرٌ كَثِيرٌ فِي نَفْسِهَا، إِلَّا أَنَّهَا إِذَا أُضِيفَتْ إِلَى عِلْمِ اللَّهِ فَهِيَ قَلِيلَةٌ.

وَقِيلَ: هُوَ خِطَابٌ لِلْيَهُودِ خَاصَّةً، لِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلنَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: قَدْ أُوتِينَا التَّوْرَاةَ وَفِيهَا الْحِكْمَةُ، وَقَدْ تَلَوْتَ: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[5]، فَقِيلَ لَهُمْ: إِنَّ عِلْمَ التَّوْرَاةِ قَلِيلٌ فِي جَنْبِ عِلْمِ اللَّهِ.

﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾[6]

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[4] سورة لُقْمَانُ، الآية 27.

[5] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[6] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

﴿لَنَذْهَبَنَّ﴾[1]: جَوَابُ قَسَمٍ مَحْذُوفٍ مَعَ نِيَابَتِهِ عَنْ جَزَاءِ الشَّرْطِ، وَاللَّامُ الدَّاخِلَةُ عَلَى إِنْ مُوَطِّئَةٌ لِلْقَسَمِ.

وَالْمَعْنَى: إِنْ شِئْنَا ذَهَبْنَا بِالْقُرْآنِ وَمَحَوْنَاهُ عَنِ الصُّدُورِ وَالْمَصَاحِفِ فَلَمْ نَتْرُكْ لَهُ أَثَرًا وَبَقِيتَ كَمَا كُنْتَ لَا تَدْرِي مَا الْكِتَابُ.

﴿ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ﴾[2]: بَعْدَ الذَّهَابِ ﴿بِهِ﴾[3]: مَنْ يَتَوَكَّلُ عَلَيْنَا بِاسْتِرْدَادِهِ وَإِعَادَتِهِ مَحْفُوظًا مَسْتُورًا.

﴿إِلاَّ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾[4]: إِلَّا أَنْ يَرْحَمَكَ رَبُّكَ فَيَرُدُّهُ عَلَيْكَ، كَأَنَّ رَحْمَتَهُ تَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ بِالرَّدِّ، أَوْ يَكُونُ عَلَى الِاسْتِثْنَاءِ الْمُنْقَطِعِ، بِمَعْنَى: وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ تَرَكْتُهُ غَيْرَ مَذْهُوبٍ بِهِ، وَهَذَا امْتِنَانٌ مِنَ اللَّهِ –تَعَالَى– بِبَقَاءِ الْقُرْآنِ مَحْفُوظًا بَعْدَ الْمِنَّةِ الْعَظِيمَةِ فِي تَنْزِيلِهِ وَتَحْفِيظِهِ، فَعَلَى كُلِّ ذِي عِلْمٍ أَلَّا يَغْفُلَ عَنْ هَاتَيْنِ الْمِنَّتَيْنِ وَالْقِيَامِ بِشُكْرِهِمَا، وَهُمَا: مِنَّةُ اللَّهِ عَلَيْهِ بِحِفْظِ الْعِلْمِ وَرُسُوخِهِ فِي صَدْرِهِ، وَمِنَّتُهُ عَلَيْهِ فِي بَقَاءِ الْمَحْفُوظِ.

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: أَوَّلُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الْأَمَانَةُ، وَآخِرُ مَا تَفْقِدُونَ الصَّلَاةُ، وَلَيُصَلِّيَنَّ قَوْمٌ وَلَا دِينَ لَهُمْ، وَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ تُصْبِحُونَ يَوْمًا وَمَا فِيكُمْ مِنْهُ شَيْءٌ، فَقَالَ رَجُلٌ: كَيْفَ ذَلِكَ وَقَدْ أَثْبَتْنَاهُ فِي قُلُوبِنَا وَأَثْبَتْنَاهُ فِي مَصَاحِفِنَا نُعَلِّمُهُ أَبْنَاءَنَا وَيُعَلِّمُهُ أَبْنَاؤُنَا أَبْنَاءَهُمْ؟ فَقَالَ: يُسْرَى عَلَيْهِ لَيْلًا فَيُصْبِحُ النَّاسُ مِنْهُ فُقَرَاءَ تُرْفَعُ الْمَصَاحِفُ وَيُنْزَعُ مَا فِي الْقُلُوبِ.

﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[5]

﴿لا يَأْتُونَ﴾[6]: جَوَابُ قَسَمٍ مَحْذُوفٍ، وَلَوْلَا اللَّامُ الْمُوَطِّئَةُ، لَجَازَ أَنْ يَكُونَ جَوَابًا لِلشَّرْطِ، كَقَوْلِهِ:

.....يَقُولُ لا غَائِبٌ مَالِي وَلا حَرِمُ

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[5] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[6] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

لِأَنَّ الشَّرْطَ وَقَعَ مَاضِيًا، أَيْ: لَوْ تَظَاهَرُوا عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ فِي بَلَاغَتِهِ وَحُسْنِ نَظْمِهِ وَتَأْلِيفِهِ، وَفِيهِمُ الْعَرَبُ الْعَارِبَةُ أَرْبَابُ الْبَيَانِ لَعَجَزُوا عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ.

وَالْعَجَبُ مِنَ النَّوَابِتِ وَمِنْ زَعْمِهِمْ أَنَّ الْقُرْآنَ قَدِيمٌ مَعَ اعْتِرَافِهِمْ بِأَنَّهُ مُعْجِزٌ.

وَإِنَّمَا يَكُونُ الْعَجْزُ حَيْثُ تَكُونُ الْقُدْرَةُ، فَيُقَالُ: اللَّهُ قَادِرٌ عَلَى خَلْقِ الْأَجْسَامِ وَالْعِبَادِ عَاجِزُونَ عَنْهُ.

وَأَمَّا الْمُحَالُ الَّذِي لَا مَجَالَ فِيهِ لِلْقُدْرَةِ، وَلَا مَدْخَلَ لَهَا فِيهِ كَتَانِي الْقَدِيمِ، فَلَا يُقَالُ لِلْفَاعِلِ: قَدْ عَجَزَ عَنْهُ، وَلَا هُوَ مُعْجِزٌ.

وَلَوْ قِيلَ ذَلِكَ، لَجَازَ وَصْفُ اللَّهِ بِالْعَجْزِ، لِأَنَّهُ لَا يُوصَفُ بِالْقُدْرَةِ عَلَى الْمُحَالِ، إِلَّا أَنْ يُكَابِرُوا فَيَقُولُوا: هُوَ قَادِرٌ عَلَى الْمُحَالِ، فَإِنَّ رَأْسَ مَالِهِمُ الْمُكَابَرَةُ وَقَلْبُ الْحَقَائِقِ.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾[1]

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾[2]: رَدَّدْنَا وَكَرَّرْنَا.

﴿مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾[3]: مِنْ كُلِّ مَعْنًى، هُوَ كَالْمِثْلِ فِي غَرَابَتِهِ وَحُسْنِهِ، وَالْكَفُورُ: الْجُحُودُ .

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ جَازَ: ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلا كُفُورًا﴾[4]، وَلَمْ يَجُزْ: ضَرَبْتُ إِلَّا زَيْدًا؟

قُلْتُ: لِأَنَّ أَبَى مُتَأَوَّلٌ بِالنَّفْيِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: فَلَمْ يَرْضَوْا إِلَّا كُفُورًا.

﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلا أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾[1]

لَمَّا تَبَيَّنَ إِعْجَازُ الْقُرْآنِ وَانْضَمَّتْ إِلَيْهِ الْمُعْجِزَاتُ الْأُخَرُ وَالْبَيِّنَاتُ وَلَزِمَتْهُمُ الْحُجَّةُ وَغُلِبُوا، أَخَذُوا يَتَعَلَّلُونَ بِاقْتِرَاحِ الْآيَاتِ: فِعْلُ الْمَبْهُوتِ الْمَحْجُوجِ الْمُتَعَثِّرِ فِي أَذْيَالِ الْحَيْرَةِ، فَقَالُوا: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى... وَحَتَّى "تُفَجِّرَ": تَفْتَحَ.

وَقُرِئَ: "تَفْجُرَ" بِالتَّخْفِيفِ.

﴿مِنَ الأَرْضِ﴾[2]: يَعْنُونَ: أَرْضَ مَكَّةَ.

﴿يَنْبُوعًا﴾[3]: عَيْنًا غَزِيرَةً مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَنْبُعَ بِالْمَاءِ لَا تُقْطَعُ، "يَفْعُولُ": مِنْ نَبَعَ الْمَاءُ، كَيَعْبُوبٍ مِنْ عَبَّ الْمَاءُ.

﴿كَمَا زَعَمْتَ﴾[4]: يَعْنُونَ قَوْلَ اللَّهِ -تَعَالَى-: ﴿إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾[5].

قُرِئَ: "كِسْفًا": بِسُكُونِ السِّينِ، جَمْعُ كِسَفَةٍ، كَسِدْرَةٍ وَسِدَرٍ، وَبِفَتْحِهِ.

﴿قَبِيلا﴾[6]: كَفِيلًا بِمَا تَقُولُ شَاهِدًا بِصِحَّتِهِ.

وَالْمَعْنَى: أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ قَبِيلًا، وَبِالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا، كَقَوْلِهِ:

....كُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدِي... بَرِيًّا.....

[وقوله:]

.....فَإِنِّي وَقَيَّارٌ بِهَا لَغَرِيبُ .....

أَوْ مُقَابِلًا، كَالْعَشِيرِ بِمَعْنَى: الْمُعَاشِرِ، وَنَحْوُهُ: ﴿لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾[7]، أَوْ جَمَاعَةً حَالًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[5] سورة سَبَأٍ، الآية 99.

[6] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[7] سورة الْفُرْقَانُ، الآية 21.

﴿مِنْ زُخْرُفٍ﴾[1]: مِنْ ذَهَبٍ.

﴿فِي السَّمَاءِ﴾[2]: فِي مَعَارِجِ السَّمَاءِ، فَحَذَفَ الْمُضَافَ، يُقَالُ: رَقَى فِي السُّلَّمِ وَفِي الدَّرَجَةِ.

﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾[3]: وَلَنْ نُؤْمِنَ لِأَجْلِ رُقِيِّكَ.

﴿حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا﴾[4]: مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ تَصْدِيقُكَ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَتَّخِذَ إِلَى السَّمَاءِ سُلَّمًا، ثُمَّ تَرْقَى فِيهِ وَأَنَا أَنْظُرُ حَتَّى تَأْتِيَهَا، ثُمَّ تَأْتِيَ مَعَكَ بِصَكٍّ مَنْشُورٍ، مَعَهُ أَرْبَعَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَشْهَدُونَ لَكَ أَنَّكَ كَمَا تَقُولُ، وَمَا كَانُوا يَقْصِدُونَ بِهَذِهِ الِاقْتِرَاحَاتِ إِلَّا الْعِنَادَ وَاللَّجَاجَ، وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ لَقَالُوا: هَذَا سِحْرٌ، كَمَا قَالَ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ﴾[5]، ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾[6]، وَحِينَ أَنْكَرُوا الْآيَةَ الْبَاقِيَةَ الَّتِي هِيَ الْقُرْآنُ وَسَائِرُ الْآيَاتِ وَلَيْسَتْ بِدُونِ مَا اقْتَرَحُوهُ -بَلْ هِيَ أَعْظَمُ- لَمْ يَكُنْ إِلَى تَبْصِرَتِهِمْ سَبِيلٌ.

﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾[7]، وَقُرِئَ: "قَالَ سُبْحَانَ رَبِّي"، أَيْ: قَالَ الرَّسُولُ.

وَ﴿سُبْحَانَ رَبِّي﴾[8]: تَعَجُّبٌ مِنِ اقْتِرَاحَاتِهِمْ عَلَيْهِ.

﴿هَلْ كُنْتُ إِلَّا﴾[9]: رَسُولًا كَسَائِرِ الرُّسُلِ، (وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ): مِثْلَهُمْ، وَكَانَ الرُّسُلُ لَا يَأْتُونَ قَوْمَهُمْ إِلَّا بِمَا يُظْهِرُهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْآيَاتِ، فَلَيْسَ أَمْرُ الْآيَاتِ إِلَيَّ، إِنَّمَا هُوَ إِلَى اللَّهِ فَمَا بَالُكُمْ تَتَخَيَّرُونَهَا عَلَيَّ.

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[5] سورة الْأَنْعَامُ، الآية 7.

[6] سورة الْحِجْرُ، الآية 14.

[7] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[8] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[9] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾[1]

﴿أَنْ﴾[2]: الْأُولَى نَصْبٌ مَفْعُولٌ ثَانٍ لِمَنَعَ، وَالثَّانِيَةُ رَفْعٌ فَاعِلٌ لَهُ.

وَ﴿الْهُدَى﴾[3]: الْوَحْيُ، أَيْ: وَمَا مَنَعَهُمُ الْإِيمَانَ بِالْقُرْآنِ وَبِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِلَّا شُبْهَةٌ تَلَجْلَجَتْ فِي صُدُورِهِمْ، وَهِيَ: إِنْكَارُهُمْ أَنْ يُرْسِلَ اللَّهُ الْبَشَرَ. وَالْهَمْزَةُ فِي:

﴿أَبَعَثَ اللَّهُ﴾[4]: لِلْإِنْكَارِ، وَمَا أَنْكَرُوهُ فَخِلَافُهُ هُوَ الْمُنْكَرُ عِنْدَ اللَّهِ، لِأَنَّ قَضِيَّةَ حِكْمَتِهِ أَلَّا يُرْسِلَ مَلَكَ الْوَحْيِ إِلَّا إِلَى أَمْثَالِهِ، أَوْ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ.

ثُمَّ قَرَّرَ ذَلِكَ بِأَنَّهُ: ﴿لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ﴾[5]: عَلَى أَقْدَامِهِمْ كَمَا يَمْشِي الْإِنْسُ وَلَا يَطِيرُونَ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ فَيَسْمَعُوا مِنْ أَهْلِهَا وَيَعْلَمُوا مَا يَجِبُ عِلْمُهُ.

﴿مُطْمَئِنِّينَ﴾[6]: سَاكِنِينَ فِي الْأَرْضِ قَارِّينَ.

﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولا﴾[7]: يُعْلِمُهُمُ الْخَيْرَ وَيَهْدِيهِمُ الْمَرَاشِدَ.

فَأَمَّا الْإِنْسُ فَمَا هُمْ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ، إِنَّمَا يُرْسِلُ الْمَلَكَ إِلَى مُخْتَارٍ مِنْهُمْ لِلنُّبُوَّةِ، فَيَقُومُ ذَلِكَ الْمُخْتَارُ بِدَعْوَتِهِمْ وَإِرْشَادِهِمْ.

فَإِنْ قُلْتَ: هَلْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بَشَرًا وَمَلَكًا، مَنْصُوبَيْنِ عَلَى الْحَالِ مَنْ رَسُولًا؟

قُلْتُ: وَجْهٌ حَسَنٌ وَالْمَعْنَى لَهُ أَجْوَبُ.

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[5] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[6] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[7] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾[1]

﴿شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾[2]: عَلَى أَنِّي بَلَّغْتُ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ، وَأَنَّكُمْ كَذَّبْتُمْ وَعَانَدْتُمْ.

﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ﴾[3]: الْمُنْذِرِينَ وَالْمُنْذَرِينَ.

﴿خَبِيرًا﴾[4]: عَالِمًا بِأَحْوَالِهِمْ، فَهُوَ مُجَازِيهِمْ، وَهَذِهِ تَسْلِيَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَوَعِيدٌ لِلْكَفَرَةِ.

وَ﴿شَهِيدًا﴾[5]: تَمْيِيزٌ أَوْ حَالٌ.

﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾[6]

﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ﴾[7]: وَمَنْ يُوَفِّقْهُ وَيَلْطُفْ بِهِ.

﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾[8]: لِأَنَّهُ لَا يَلْطُفُ إِلَّا بِمَنْ عَرَفَ أَنَّ اللُّطْفَ يَنْفَعُ فِيهِ.

﴿وَمَنْ يُضْلِلْ﴾[9]: وَمَنْ يَخْذُلْ.

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[5] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[6] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[7] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[8] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[9] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

﴿فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾[1]: أَنْصَارًا، ﴿عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾[2]، كَقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾[3]، وَقِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: كَيْفَ يَمْشُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ؟ قَالَ: "إِنَّ الَّذِي أَمْشَاهُمْ عَلَى أَقْدَامِهِمْ، قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ".

﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾[4]: كَمَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا، لَا يَسْتَبْصِرُونَ وَلَا يَنْطِقُونَ بِالْحَقِّ، وَيَتَصَامُّونَ عَنِ اسْتِمَاعِهِ، فَهُمْ فِي الْآخِرَةِ كَذَلِكَ: لَا يُبْصِرُونَ مَا يَقَرُّ أَعْيُنَهُمْ، وَلَا يَسْمَعُونَ مَا يَلَذُّ مَسَامِعَهُمْ، وَلَا يَنْطِقُونَ بِمَا يُقْبَلُ مِنْهُمْ، وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى.

وَيَجُوزُ أَنْ يُحْشَرُوا مَؤُفِي الْحَوَاسِّ مِنَ الْمَوْقِفِ إِلَى النَّارِ بَعْدَ الْحِسَابِ، فَقَدْ أَخْبَرَ عَنْهُمْ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَنَّهُمْ يَقْرَؤُونَ وَيَتَكَلَّمُونَ.

﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾[5]: كَمَا أَكَلَتْ جُلُودَهُمْ وَلُحُومَهُمْ وَأَفْئِدَتَهَا فَسَكَنَ لَهَبُهَا، بُدِّلُوا غَيْرَهَا، فَرَجَعَتْ مُلْتَهِبَةً مُسْتَعِرَةً، كَأَنَّهُمْ لَمَّا كَذَّبُوا بِالْإِعَادَةِ بَعْدَ الْإِفْنَاءِ جَعَلَ اللَّهُ جَزَاءَهُمْ أَنْ سَلَّطَ النَّارَ عَلَى أَجْزَائِهِمْ تَأْكُلُهَا وَتُفْنِيهَا ثُمَّ يُعِيدُهَا، وَلَا يَزَالُونَ عَلَى الْإِفْنَاءِ وَالْإِعَادَةِ، لِيَزِيدَ ذَلِكَ فِي تَحَسُّرِهِمْ عَلَى تَكْذِيبِهِمُ الْبَعْثَ، وَلِأَنَّهُ أَدْخَلُ فِي الِانْتِقَامِ مِنَ الْجَاحِدِ، وَقَدْ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ﴾[6] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾[7].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى
أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لا رَيْبَ فِيهِ
فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلاَّ كُفُورًا﴾[8]

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[3] سورة الْقَمَرُ، الآية 48.
[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[5] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[6] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[7] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[8] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

فَإِنْ قُلْتَ: عَلَامَ عُطِفَ قَوْلُهُ: ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا﴾[1]؟

قُلْتُ: عَلَى قَوْلِهِ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾[2]، لِأَنَّ الْمَعْنَى: قَدْ عَلِمُوا بِدَلِيلِ الْعَقْلِ أَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى خَلْقِ أَمْثَالِهِمْ مِنَ الْإِنْسِ، لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا بِأَشَدَّ خَلْقًا مِنْهُنَّ، كَمَا قَالَ: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ﴾[3].

﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلا لا رَيْبَ فِيهِ﴾[4]: وَهُوَ الْمَوْتُ أَوِ الْقِيَامَةُ، فَأَبَوْا مَعَ وُضُوحِ الدَّلِيلِ إِلَّا جُحُودًا.

﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنْفَاقِ وَكَانَ الإِنْسَانُ قَتُورًا﴾[5]

﴿لَوْ﴾[6]: حَقُّهَا أَنْ تَدْخُلَ عَلَى الْأَفْعَالِ دُونَ الْأَسْمَاءِ، فَلَا بُدَّ مِنْ فِعْلٍ بَعْدَهَا فِي: ﴿لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ﴾[7]، وَتَقْدِيرُهُ: لَوْ تَمْلِكُونَ تَمْلِكُونَ، فَأَضْمَرَ تَمْلِكُ إِضْمَارًا عَلَى شَرِيطَةِ التَّفْسِيرِ، وَأُبْدِلَ مِنَ الضَّمِيرِ الْمُتَّصِلِ الَّذِي هُوَ الْوَاوُ ضَمِيرٌ مُنْفَصِلٌ، وَهُوَ: أَنْتُمْ، لِسُقُوطِ مَا يَتَّصِلُ بِهِ مِنَ اللَّفْظِ، فَأَنْتُمْ: فَاعِلُ الْفِعْلِ الْمُضْمَرِ، وَتَمْلِكُونَ: تَفْسِيرُهُ، وَهَذَا هُوَ الْوَجْهُ الَّذِي يَقْتَضِيهِ عِلْمُ الْإِعْرَابِ.

فَأَمَّا مَا يَقْتَضِيهِ عِلْمُ الْبَيَانِ، فَهُوَ: أَنَّ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى الِاخْتِصَاصِ، وَأَنَّ النَّاسَ هُمُ الْمُخْتَصُّونَ بِالشُّحِّ الْمُتَبَالِغِ، وَنَحْوُهُ قَوْلُ حَاتِمٍ:

لَوْ ذَاتُ سِوَارٍ لَطَمَتْنِي

وَقَوْلُ الْمُتَلَمِّسِ:

وَلَوْ غَيْرُ أَخْوَالِي أَرَادُوا نَقِيصَتِي. .....

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة النَّازِعَاتُ، الآية 27.

[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[5] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[6] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[7] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

وَذَلِكَ لِأَنَّ الْفِعْلَ الْأَوَّلَ لَمَّا سَقَطَ لِأَجْلِ الْمُفَسِّرِ، بَرَزَ الْكَلَامُ فِي صُورَةِ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ: رِزْقُهُ وَسَائِرُ نِعَمِهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَلَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْوَصْفُ بِالشُّحِّ الْغَايَةَ الَّتِي لَا يَبْلُغُهَا الْوَهْمُ، وَقِيلَ: هُوَ لِأَهْلِ مَكَّةَ الَّذِينَ اقْتَرَحُوا مَا اقْتَرَحُوا مِنَ الْيَنْبُوعِ وَالْأَنْهَارِ وَغَيْرِهَا، وَأَنَّهُمْ لَوْ مَلَكُوا خَزَائِنَ الْأَرْزَاقِ لَبَخِلُوا بِهَا.

﴿قَتُورًا﴾[1]: ضَيِّقًا بَخِيلًا.

فَإِنْ قُلْتَ: هَلْ يُقَدَّرُ: ﴿لِأَمْسَكْتُمْ﴾[2] مَفْعُولٌ؟

قُلْتُ: لَا، لِأَنَّ مَعْنَاهُ: لَبَخِلْتُمْ، مِنْ قَوْلِكَ لِلْبَخِيلِ: مُمْسِكٌ.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾[3]

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–: هِيَ الْعَصَا، وَالْيَدُ، وَالْجَرَادُ، وَالْقُمَّلُ، وَالضَّفَادِعُ، وَالدَّمُ، وَالْحَجَرُ، وَالْبَحْرُ، وَالطُّورُ الَّذِي نَتَقَهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ.

وَعَنِ الْحَسَنِ: الطُّوفَانُ، وَالسُّنُونَ، وَنَقْصُ الثَّمَرَاتِ: مَكَانَ الْحَجَرِ، وَالْبَحْرِ، وَالطُّورِ.

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَنَّهُ سَأَلَ مُحَمَّدَ بْنَ كَعْبٍ، فَذَكَرَ اللِّسَانَ وَالطَّمْسَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: كَيْفَ يَكُونُ الْفَقِيهُ إِلَّا هَكَذَا، أَخْرِجْ يَا غُلَامُ ذَلِكَ الْجِرَابَ، فَأَخْرَجَهُ فَنَفَضَهُ، فَإِذَا بَيْضٌ مَكْسُورٌ بِنِصْفَيْنِ، وَجَوْزٌ مَكْسُورٌ، وَفُومٌ وَحُمُصٌ وَعَدَسٌ، كُلُّهَا حِجَارَةٌ.

وَعَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ أَنَّ بَعْضَ الْيَهُودِ سَأَلَ النَّبِيَّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: "أَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى: أَنْ قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلَا تَسْحَرُوا، وَلَا تَأْكُلُوا الرِّبَا، وَلَا تَمْشُوا بِبَرِيءٍ إِلَى ذِي سُلْطَانٍ لِيَقْتُلَهُ، وَلَا تَقْذِفُوا مُحْصَنَةً، وَلَا تَفِرُّوا مِنَ الزَّحْفِ، وَأَنْتُمْ يَا يَهُودُ خَاصَّةً لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ".

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

﴿فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[1]: فَقُلْنَا لَهُ: سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَيْ: سَلْهُمْ مِنْ فِرْعَوْنَ، وَقُلْ لَهُ: أَرْسِلْ مَعِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَوْ سَلْهُمْ عَنْ إِيمَانِهِمْ وَعَنْ حَالِ دِينِهِمْ، أَوْ سَلْهُمْ أَنْ يُعَاضِدُوكَ وَتَكُونَ قُلُوبُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ مَعَكَ؛ وَتَدُلُّ عَلَيْهِ قِرَاءَةُ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "فَسَالَ بَنِي إِسْرَائِيلَ": عَلَى لَفْظِ الْمَاضِي بِغَيْرِ هَمْزٍ، وَهِيَ لُغَةُ قُرَيْشٍ.

وَقِيلَ: فَسَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَهُمْ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ، وَأَصْحَابُهُ عَنِ الْآيَاتِ، لِيَزْدَادُوا يَقِينًا وَطُمَأْنِينَةَ قَلْبٍ، لِأَنَّ الْأَدِلَّةَ إِذَا تَظَاهَرَتْ، كَانَ ذَلِكَ أَقْوَى وَأَثْبَتَ، كَقَوْلِ إِبْرَاهِيمَ: ﴿لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[2].

فَإِنْ قُلْتَ: بِمَ تَعَلَّقَ: ﴿إِذْ جَاءَهُمْ﴾[3]؟

قُلْتُ: أَمَّا عَلَى الْوَجْهِ الْأَوَّلِ، فَبِالْقَوْلِ الْمَحْذُوفِ، أَيْ: فَقُلْنَا لَهُمْ: سَلْهُمْ حِينَ جَاءَهُمْ، أَوْ بِسَأَلَ فِي الْقِرَاءَةِ الثَّانِيَةِ.

وَأَمَّا عَلَى الْأَخِيرِ: فَبِآتَيْنَا، أَوْ بِاضْمَارِ اذْكُرْ، أَوْ يُخْبِرُوكَ.

وَمَعْنَى: ﴿إِذْ جَاءَهُمْ﴾[4]: إِذْ جَاءَ آبَاءَهُمْ.

﴿مَسْحُورًا﴾[5]: سُحِرْتَ فَخُولِطَ عَقْلُكَ.

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ
يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا
وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ
فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾[6]

---

1 سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

2 سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

3 سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

4 سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

5 سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

6 سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾[1]: يَا فِرْعَوْنُ، ﴿مَا أَنْزَلَ هَؤُلاءِ﴾[2]: الْآيَاتِ إِلَّا اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ-، ﴿بَصَائِرَ﴾[3]: بَيِّنَاتٍ مَكْشُوفَاتٍ، وَلَكِنَّكَ مُعَانِدٌ مُكَابِرٌ، وَنَحْوُهُ: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[4].

وَقُرِئَ: "عُلِمْتَ" بِالضَّمِّ، عَلَى مَعْنَى: إِنِّي لَسْتُ بِمَسْحُورٍ كَمَا وَصَفْتَنِي، بَلْ أَنَا عَالِمٌ بِصِحَّةِ الْأَمْرِ، وَأَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ مُنْزِلُهَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ.

ثُمَّ قَارَعَ ظَنَّهُ بِظَنِّهِ، كَأَنَّهُ قَالَ: إِنْ ظَنَنْتَنِي مَسْحُورًا فَأَنَا أَظُنُّكَ ﴿مَثْبُورًا﴾[5]: هَالِكًا، وَظَنِّي أَصَحُّ مِنْ ظَنِّكَ، لِأَنَّ لَهُ أَمَارَةً ظَاهِرَةً، وَهِيَ إِنْكَارُكَ مَا عُرِفَتْ صِحَّتُهُ، وَمُكَابَرَتُكَ لِآيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ وُضُوحِهَا.

وَأَمَّا ظَنُّكَ فَكَذِبٌ بَحْتٌ، لِأَنَّ قَوْلَكَ مَعَ عِلْمِكَ بِصِحَّةِ أَمْرِي، إِنِّي لِأَظُنُّكَ مَسْحُورًا قَوْلُ كَذَّابٍ.

وَقَالَ الْفَرَّاءُ: ﴿مَثْبُورًا﴾[6]: مَصْرُوفًا عَنِ الْخَيْرِ مَطْبُوعًا عَلَى قَلْبِكَ، مِنْ قَوْلِهِمْ: مَا ثَبَرَكَ عَنْ هَذَا؟ أَيْ: مَا مَنَعَكَ وَصَرَفَكَ؟

وَقَرَأَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: "وَإِنْ إِخَالُكَ يَا فِرْعَوْنُ لَمَثْبُورًا": عَلَى "إِنْ" الْمُخَفَّفَةِ وَاللَّامِ الْفَارِقَةِ.

﴿فَأَرَادَ﴾[7]: فِرْعَوْنُ أَنْ يَسْتَخِفَّ مُوسَى وَقَوْمَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ وَيُخْرِجَهُمْ مِنْهَا، أَوْ يَنْفِيَهُمْ عَنْ ظَهْرِ الْأَرْضِ بِالْقَتْلِ وَالِاسْتِئْصَالِ، فَحَاقَ بِهِ مَكْرُهُ بِأَنِ اسْتَفَزَّهُ اللَّهُ بِإِغْرَاقِهِ مَعَ قِبْطِهِ.

﴿اسْكُنُوا الأَرْضَ﴾[8]: الَّتِي أَرَادَ فِرْعَوْنُ أَنْ يَسْتَفِزَّكُمْ مِنْهَا.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ﴾[9]، يَعْنِي: قِيَامَ السَّاعَةِ.

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة النَّمْلُ، الآية 14.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[4] سورة النَّمْلُ، الآية 14.

[5] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[6] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[7] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[8] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[9] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾[1]: جَمْعًا مُخْتَلِطِينَ إِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ، ثُمَّ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَيُمَيِّزُ بَيْنَ سُعَدَائِكُمْ وَأَشْقِيَائِكُمْ، وَاللَّفِيفُ: الْجَمَاعَاتُ مِنْ قَبَائِلَ شَتَّى.

﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[2]

﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾[3]: وَمَا أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ إِلَّا بِالْحِكْمَةِ الْمُقْتَضِيَةِ لِإِنْزَالِهِ وَمَا نَزَلَ إِلَّا مُلْتَبِسًا بِالْحَقِّ وَالْحِكْمَةِ لِاشْتِمَالِهِ عَلَى الْهِدَايَةِ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ، أَوْ مَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَّا بِالْحَقِّ مَحْفُوظًا بِالرَّصَدِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَمَا نَزَلَ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا مَحْفُوظًا بِهِمْ مِنْ تَخْلِيطِ الشَّيَاطِينِ.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾[4]: إِلَّا لِتُبَشِّرَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَتُنْذِرَهُمْ مِنَ النَّارِ، لَيْسَ إِلَيْكَ وَرَاءَ ذَلِكَ شَيْءٌ، مِنْ إِكْرَاهٍ عَلَى الدِّينِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ.

﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾[5]

﴿وَقُرْآنًا﴾[6]: مَنْصُوبٌ بِفِعْلٍ يُفَسِّرُهُ.

﴿فَرَقْنَاهُ﴾[7]، وَقَرَأَ أُبَيٌّ: "فَرَّقْنَاهُ" بِالتَّشْدِيدِ، أَيْ: جَعَلْنَا نُزُولَهُ مُفَرَّقًا مُنَجَّمًا.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– أَنَّهُ قَرَأَ مُشَدَّدًا وَقَالَ: لَمْ يَنْزِلْ فِي يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ، بَلْ كَانَ بَيْنَ أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ عِشْرُونَ سَنَةً، يَعْنِي: أَنَّ فَرَقَ بِالتَّخْفِيفِ يَدُلُّ عَلَى فَصْلٍ مُتَقَارِبٍ.

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[5] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[6] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[7] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

﴿عَلَى مُكْثٍ﴾[1]: بِالْفَتْحِ وَالضَّمِّ: عَلَى مَهَلٍ وَتُؤَدَةٍ وَتَثَبُّتٍ.

﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلا﴾[2]: عَلَى حَسَبِ الْحَوَادِثِ.

﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[3]

﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا﴾[4]: أَمْرٌ بِالْإِعْرَاضِ عَنْهُمْ وَاحْتِقَارِهِمْ وَالِازْدِرَاءِ بِشَأْنِهِمْ، وَأَلَّا يَكْتَرِثَ بِهِمْ وَبِإِيمَانِهِمْ وَبِامْتِنَاعِهِمْ عَنْهُ، وَأَنَّهُمْ إِنْ لَمْ يَدْخُلُوا فِي الْإِيمَانِ وَلَمْ يُصَدِّقُوا بِالْقُرْآنِ، وَهُمْ أَهْلُ جَاهِلِيَّةٍ وَشِرْكٍ، فَإِنَّ خَيْرًا مِنْهُمْ وَأَفْضَلَ –وَهُمُ الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ قَرَؤُوا الْكُتُبَ وَعَلِمُوا مَا الْوَحْيُ وَمَا الشَّرَائِعُ– قَدْ آمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ، وَثَبَتَ عِنْدَهُمْ أَنَّهُ النَّبِيُّ الْعَرَبِيُّ الْمَوْعُودُ فِي كُتُبِهِمْ.

فَإِذَا تُلِيَ عَلَيْهِمْ خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا اللَّهَ، تَعْظِيمًا لِأَمْرِهِ وَلِإِنْجَازِهِ مَا وَعَدَ فِي الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ، وَبَشَّرَ بِهِ مِنْ بَعْثَةِ مُحَمَّدٍ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَإِنْزَالِ الْقُرْآنِ عَلَيْهِ، وَهُوَ الْمُرَادُ بِالْوَعْدِ فِي قَوْلِهِ: (إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا)، أَيْ: يَزِيدُهُمُ الْقُرْآنُ لِينَ قَلْبٍ وَرُطُوبَةَ عَيْنٍ.

فَإِنْ قُلْتَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ﴾[5]: تَعْلِيلٌ لِمَاذَا؟

قُلْتُ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَعْلِيلًا لِقَوْلِهِ: ﴿آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا﴾[6]، وَأَنْ يَكُونَ تَعْلِيلًا لِقُلْ عَلَى سَبِيلِ التَّسْلِيَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَتَطْيِيبِ نَفْسِهِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: تَسَلَّ عَنْ إِيمَانِ الْجَهَلَةِ بِإِيمَانِ الْعُلَمَاءِ، وَعَلَى الْأَوَّلِ: إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِهِ لَقَدْ آمَنَ بِهِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكُمْ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى الْخُرُورِ لِلذَّقْنِ؟

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[5] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[6] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

قُلْتُ: السُّقُوطُ عَلَى الْوَجْهِ، وَإِنَّمَا ذُكِرَ الذَّقَنُ وَهُوَ مُجْتَمَعُ اللِّحْيَيْنِ، لِأَنَّ السَّاجِدَ أَوَّلُ: مَا يَلْقَى بِهِ الْأَرْضَ مِنْ وَجْهِهِ الذَّقَنُ.

فَإِنْ قُلْتَ: حَرْفُ الِاسْتِعْلَاءِ ظَاهِرُ الْمَعْنَى إِذَا قُلْتَ: خَرَّ عَلَى وَجْهِهِ وَعَلَى ذَقْنِهِ، فَمَا مَعْنَى اللَّامِ فِي خَرَّ لِذَقْنِهِ وَلِوَجْهِهِ؟

قَالَ:

.....فَخَرَّ صَرِيعًا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ

قُلْتُ: مَعْنَاهُ: جَعَلَ ذَقْنَهُ وَوَجْهَهُ لِلْخُرُورِ وَاخْتَصَّهُ بِهِ، لِأَنَّ اللَّامَ لِلِاخْتِصَاصِ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ كَرَّرَ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ؟

قُلْتُ: لِاخْتِلَافِ الْحَالَيْنِ وَهُمَا خُرُورُهُمْ فِي حَالِ كَوْنِهِمْ سَاجِدِينَ، وَخُرُورُهُمْ فِي حَالِ كَوْنِهِمْ بَاكِينَ.

﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾[1]

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– سَمِعَهُ أَبُو جَهْلٍ يَقُولُ: يَا اللَّهُ يَا رَحْمَنُ، فَقَالَ: إِنَّهُ يَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ إِلَهَيْنِ وَهُوَ يَدْعُو إِلَهًا آخَرَ، وَقِيلَ: إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ قَالُوا: إِنَّكَ لَتُقِلُّ ذِكْرَ الرَّحْمَنِ، وَقَدْ أَكْثَرَ اللَّهُ فِي التَّوْرَاةِ هَذَا الِاسْمَ فَنَزَلَتْ.

وَالدُّعَاءُ بِمَعْنَى: التَّسْمِيَةِ لَا بِمَعْنَى: النِّدَاءِ، وَهُوَ يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ، تَقُولُ: دَعَوْتُهُ زَيْدًا، ثُمَّ يُتْرَكُ أَحَدُهُمَا اسْتِغْنَاءً عَنْهُ، فَيُقَالُ: دَعَوْتُ زَيْدًا، وَاللَّهُ وَالرَّحْمَنُ، الْمُرَادُ بِهِمَا: الِاسْمُ، لَا الْمُسَمَّى، وَ"أَوْ" لِلتَّخْيِيرِ.

فَمَعْنَى: ﴿ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾[2]: سَمُّوا بِهَذَا الِاسْمِ أَوْ بِهَذَا، وَاذْكُرُوا إِمَّا هَذَا وَإِمَّا هَذَا، وَالتَّنْوِينُ فِي "أَيًّا": عِوَضٌ مِنَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ.

وَ﴿مَا﴾[3]: صِلَةٌ لِلْإِبْهَامِ الْمُؤَكِّدِ لِمَا فِي أَيٍّ، أَيْ: أَيَّ هَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ سَمَّيْتُمْ وَذَكَرْتُمْ.

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

﴿فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[1]: وَالضَّمِيرُ فِي ﴿فَلَهُ﴾[2]: لَيْسَ بِرَاجِعٍ إِلَى أَحَدِ الِاسْمَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ، وَلَكِنْ إِلَى مُسَمَّاهُمَا، وَهُوَ ذَاتُهُ -تَعَالَى-، لِأَنَّ التَّسْمِيَةَ لِلذَّاتِ لَا لِلاسْمِ.

وَالْمَعْنَى: أَيًّا مَا تَدْعُوا فَهُوَ حَسَنٌ، فَوَضَعَ مَوْضِعَهُ قَوْلَهُ: ﴿فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[3]، لِأَنَّهُ إِذَا حَسُنَتْ أَسْمَاؤُهُ كُلُّهَا حَسُنَ هَذَانِ الِاسْمَانِ: لِأَنَّهُمَا مِنْهَا.

وَمَعْنَى كَوْنِهِمَا أَحْسَنَ الْأَسْمَاءِ: أَنَّهَا مُسْتَقِلَّةٌ بِمَعَانِي التَّحْمِيدِ وَالتَّقْدِيسِ وَالتَّعْظِيمِ.

﴿بِصَلاتِكَ﴾[4]: بِقِرَاءَةِ صَلَاتِكَ عَلَى حَذْفِ الْمُضَافِ، لِأَنَّهُ لَا يَلْبَسُ، مِنْ قِبَلِ أَنَّ الْجَهْرَ، وَالْمُخَافَتَةَ: صِفَتَانِ تَعْتَقِبَانِ عَلَى الصَّوْتِ لَا غَيْرُ، وَالصَّلَاةُ أَفْعَالٌ وَأَذْكَارٌ.

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَرْفَعُ صَوْتَهُ بِقِرَاءَتِهِ، فَإِذَا سَمِعَهَا الْمُشْرِكُونَ لَغَوْا وَسَبُّوا، فَأُمِرَ بِأَنْ يَخْفِضَ مِنْ صَوْتِهِ.

وَالْمَعْنَى: وَلَا تَجْهَرْ حَتَّى تُسْمِعَ الْمُشْرِكِينَ.

﴿وَلا تُخَافِتْ﴾[5]: حَتَّى لَا تُسْمِعَ مِنْ خَلْفِكَ.

﴿وَابْتَغِ بَيْنَ﴾[6]: الْجَهْرِ وَالْمُخَافَتَةِ.

﴿سَبِيلًا﴾[7]: وَسَطًا.

وَرُوِيَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- كَانَ يُخْفِي صَوْتَهُ بِالْقِرَاءَةِ فِي صَلَاتِهِ، وَيَقُولُ: أُنَاجِي رَبِّي وَقَدْ عَلِمَ حَاجَتِي، وَكَانَ عُمَرُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- يَرْفَعُ صَوْتَهُ وَيَقُولُ: أَزْجُرُ الشَّيْطَانَ وَأُوقِظُ الْوَسْنَانَ، فَأَمَرَ أَبَا بَكْرٍ أَنْ يَرْفَعَ قَلِيلًا وَعُمَرَ أَنْ يَخْفِضَ قَلِيلًا.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ كُلِّهَا وَلَا تُخَافِتْ بِهَا كُلِّهَا، وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا بِأَنْ تَجْهَرَ بِصَلَاةِ اللَّيْلِ وَتُخَافِتَ بِصَلَاةِ النَّهَارِ.

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[5] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[6] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.
[7] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

وَقِيلَ: ﴿بِصَلَاتِكَ﴾[1]: بِدُعَائِكَ، وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ الْآيَةَ مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾[2].

وَابْتِغَاءُ السَّبِيلِ: مَثَلٌ لِانْتِحَاءِ الْوَجْهِ الْوَسَطِ فِي الْقِرَاءَةِ.

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾[3]

﴿وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ﴾[4]: نَاصِرٌ مِنَ الذُّلِّ وَمَانِعٌ لَهُ مِنْهُ لِاعْتِزَازِهِ بِهِ، أَوْ لَمْ يُوَالِ أَحَدًا مِنْ أَجْلِ مَذَلَّةٍ بِهِ لِيَدْفَعَهَا بِمُوَالَاتِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ لَاقَ وَصْفُهُ بِنَفْيِ الْوَلَدِ وَالشَّرِيكِ وَالذُّلِّ بِكَلِمَةِ التَّحْمِيدِ؟

قُلْتُ: لِأَنَّ مَنْ هَذَا وَصْفُهُ هُوَ الَّذِي يَقْدِرُ عَلَى إِيلَاءِ كُلِّ نِعْمَةٍ، فَهُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ جِنْسَ الْحَمْدِ، وَكَانَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِذَا أَفْصَحَ الْغُلَامُ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَلَّمَهُ هَذِهِ الْآيَةَ.

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَرَقَّ قَلْبُهُ عِنْدَ ذِكْرِ الْوَالِدَيْنِ كَانَ لَهُ قِنْطَارٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالْقِنْطَارُ أَلْفُ أُوقِيَّةٍ وَمِائَتَا أُوقِيَّةٍ"، رَزَقَنَا اللَّهُ بِفَضْلِهِ الْعَمِيمِ وَإِحْسَانِهِ الْجَسِيمِ.

---

[1] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[3] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

[4] سورة الْإِسْرَاءِ، الآية.

سورة الكهف

سُورَةُ الْكَهْفِ

مَكِّيَّةٌ [إِلَّا آيَةَ 38 وَمِنْ آيَةِ 83 إِلَى غَايَةِ آيَةِ 101 فَمَدَنِيَّةٌ]
وَآيَاتُهَا 110
[نَزَلَتْ بَعْدَ الْغَاشِيَةِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾[1]

لَقَّنَ اللَّهُ عِبَادَهُ وَفَقَّهَهُمْ كَيْفَ يُثْنُونَ عَلَيْهِ وَيَحْمَدُونَهُ عَلَى أَجْزَلِ نَعْمَائِهِ عَلَيْهِمْ، وَهِيَ نِعْمَةُ الْإِسْلَامِ، وَمَا أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ مُحَمَّدٍ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مِنَ الْكِتَابِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ نَجَاتِهِمْ وَفَوْزِهِمْ.

﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾[2]: وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ شَيْئًا مِنَ الْعِوَجِ قَطُّ، وَالْعِوَجُ فِي الْمَعَانِي: كَالْعَوَجِ فِي الْأَعْيَانِ.

وَالْمُرَادُ: نَفْيُ الِاخْتِلَافِ وَالتَّنَاقُضِ عَنْ مَعَانِيهِ، وَخُرُوجِ شَيْءٍ مِنْهُ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْإِصَابَةِ فِيهِ.

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.

فَإِنْ قُلْتَ: بِمَ انْتَصَبَ ﴿قَيِّمًا﴾[1]؟

قُلْتُ: الْأَحْسَنُ أَنْ يَنْتَصِبَ بِمُضْمَرٍ وَلَا يُجْعَلَ حَالًا مِنَ الْكِتَابِ، لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ﴾[2] مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿أَنْزَلَ﴾[3]، فَهُوَ دَاخِلٌ فِي حَيِّزِ الصِّلَةِ، فَجَاعِلُهُ حَالًا مِنَ الْكِتَابِ فَاصِلٌ بَيْنَ الْحَالِ وَذِي الْحَالِ بِبَعْضِ الصِّلَةِ، وَتَقْدِيرُهُ: وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا جَعَلَهُ قَيِّمًا، لِأَنَّهُ إِذَا نَفَى عَنْهُ الْعِوَجَ فَقَدْ أَثْبَتَ لَهُ الِاسْتِقَامَةَ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا فَائِدَةُ الْجَمْعِ بَيْنَ نَفْيِ الْعِوَجِ وَإِثْبَاتِ الِاسْتِقَامَةِ، وَفِي أَحَدِهِمَا غِنًى عَنِ الْآخَرِ؟

قُلْتُ: فَائِدَتُهُ: التَّأْكِيدُ، فَرُبَّ مُسْتَقِيمٍ مَشْهُودٍ لَهُ بِالِاسْتِقَامَةِ وَلَا يَخْلُو مِنْ أَدْنَى عِوَجٍ عِنْدَ السَّبْرِ وَالتَّصَفُّحِ.

وَقِيلَ: قَيِّمًا عَلَى سَائِرِ الْكُتُبِ: مُصَدِّقًا لَهَا، شَاهِدًا بِصِحَّتِهَا، وَقِيلَ: قَيِّمًا بِمَصَالِحِ الْعِبَادِ وَمَا لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْهُ مِنَ الشَّرَائِعِ.

وَقُرِئَ: "قِيَمًا"، "أَنْذَرَ" مُتَعَدٍّ إِلَى مَفْعُولَيْنِ، كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾[4]، فَاقْتَصَرَ عَلَى أَحَدِهِمَا.

وَأَصْلُهُ: ﴿لِيُنْذِرَ﴾[5]: الَّذِينَ كَفَرُوا، ﴿بَأْسًا شَدِيدًا﴾[6]: وَالْبَأْسُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾[7]، وَقَدْ بَؤُسَ الْعَذَابُ، وَبَؤُسَ الرَّجُلُ بَأْسًا وَبَآسَةً، ﴿مِنْ لَدُنْهُ﴾: صَادِرًا مِنْ عِنْدِهِ،

وَقُرِئَ: "مِنْ لَدْنِهِ": بِسُكُونِ الدَّالِ مَعَ إِشْمَامِ الضَّمَّةِ وَكَسْرِ النُّونِ.

"وَيُبَشِّرُ": بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّثْقِيلِ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ اقْتَصَرَ عَلَى أَحَدِ مَفْعُولَيْ أَنْذَرَ؟

قُلْتُ: قَدْ جَعَلَ الْمُنْذَرَ بِهِ هُوَ الْغَرَضَ الْمَسْبُوقَ إِلَيْهِ، فَوَجَبَ الِاقْتِصَارُ عَلَيْهِ.

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[4] سورة النَّبَأُ، الآية 40.

[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[6] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[7] سورة الْكَهْفِ، الآية.

وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ: تَكْرِيرُ الْإِنْذَارِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾[1]: مُتَعَلِّقًا بِالْمُنْذَرِينَ مِنْ غَيْرِ ذِكْرِ الْمُنْذِرِ بِهِ، كَمَا ذَكَرَ الْمُبَشَّرَ بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾[2]: اسْتِغْنَاءً بِتَقَدُّمِ ذِكْرِهِ، وَالْأَجْرُ الْحَسَنُ: الْجَنَّةُ.

﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾[3]، أَيْ: بِالْوَلَدِ أَوْ بِاتِّخَاذِهِ، يَعْنِي: أَنَّ قَوْلَهُمْ هَذَا لَمْ يَصْدُرْ عَنْ عِلْمٍ، وَلَكِنْ عَنْ جَهْلٍ مُفْرِطٍ وَتَقْلِيدٍ لِلْآبَاءِ، وَقَدِ اشْتَمَلَتْهُ آبَاؤُهُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ وَتَسْوِيلِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: اتِّخَاذُ اللَّهِ وَلَدًا فِي نَفْسِهِ مُحَالٌ، فَكَيْفَ قِيلَ: مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ؟

قُلْتُ: مَعْنَاهُ: مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ، لِأَنَّهُ لَيْسَ مِمَّا يُعْلَمُ لِاسْتِحَالَتِهِ، وَانْتِفَاءُ الْعِلْمِ بِالشَّيْءِ إِمَّا لِلْجَهْلِ بِالطَّرِيقِ الْمُوصِلِ إِلَيْهِ، وَإِمَّا لِأَنَّهُ فِي نَفْسِهِ مُحَالٌ لَا يَسْتَقِيمُ تَعَلُّقُ الْعِلْمِ بِهِ.

قُرِئَ: "كَبُرَتْ كَلِمَةً"، وَكَلِمَةً: بِالنَّصْبِ عَلَى التَّمْيِيزِ وَالرَّفْعِ عَلَى الْفَاعِلِيَّةِ، وَالنُّصْبُ أَقْوَى وَأَبْلَغُ، وَفِيهِ مَعْنَى التَّعَجُّبِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: مَا أَكْبَرَهَا كَلِمَةً.

وَ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾[4]: صِفَةٌ لِلْكَلِمَةِ تُفِيدُ اسْتِعْظَامًا لِاجْتِرَائِهِمْ عَلَى النُّطْقِ بِهَا وَإِخْرَاجِهَا مِنْ أَفْوَاهِهِمْ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِمَّا يُوَسْوِسُهُ الشَّيْطَانُ فِي قُلُوبِ النَّاسِ وَيُحَدِّثُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ لَا يَتَمَالَكُونَ أَنْ يَتَفَوَّهُوا بِهِ وَيُطْلِقُوا بِهِ أَلْسِنَتَهُمْ، بَلْ يَكْظِمُونَ عَلَيْهِ تَشَوُّرًا مِنْ إِظْهَارِهِ، فَكَيْفَ بِمِثْلِ هَذَا الْمُنْكَرِ؟!

وَقُرِئَ: "كَبْرَتَ" بِسُكُونِ الْبَاءِ مَعَ إِشْمَامِ الضَّمَّةِ.

فَإِنْ قُلْتَ: إِلَامَ يَرْجِعُ الضَّمِيرُ فِي ﴿كَبُرَتْ﴾[5]؟

قُلْتُ: إِلَى قَوْلِهِمْ: ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾[6]، وَسُمِّيَتْ كَلِمَةً كَمَا يُسَمُّونَ الْقَصِيدَةَ بِهَا.

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾[7]

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[6] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[7] سورة الْكَهْفِ، الآية.

شَبَّهَهُ وَإِيَّاهُمْ حِينَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ وَمَا تَدَاخَلَهُ مِنَ الْوَجْدِ وَالْأَسَفِ عَلَى تَوَلِّيهِمْ، بِرَجُلٍ فَارَقَهُ أَحِبَّتُهُ وَأَعِزَّتُهُ فَهُوَ يَتَسَاقَطُ حَسَرَاتٍ عَلَى آثَارِهِمْ وَيَبْخَعُ نَفْسَهُ وَجْدًا عَلَيْهِمْ وَتَلَهُّفًا عَلَى فِرَاقِهِمْ.

وَقُرِئَ: بَاخِعٌ نَفْسَكَ": عَلَى الْأَصْلِ، وَعَلَى الْإِضَافَةِ، أَيْ: قَاتِلُهَا وَمُهْلِكُهَا، وَهُوَ لِلِاسْتِقْبَالِ فِيمَنْ قَرَأَ: "إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا"، وَلِلْمُضِيِّ فِيمَنْ قَرَأَ: "أَنْ لَمْ يُؤْمِنُوا"، بِمَعْنَى: لِأَنْ لَمْ يُؤْمِنُوا.

﴿بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾[1]: بِالْقُرْآنِ، ﴿أَسَفًا﴾[2]: مَفْعُولٌ لَهُ، أَيْ: لِفَرْطِ الْحُزْنِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا، وَالْأَسَفُ: الْمُبَالَغَةُ فِي الْحُزْنِ وَالْغَضَبِ، يُقَالُ: رَجُلٌ أُسِفٌ وَأَسِيفٌ.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلا وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾[3]

﴿مَا عَلَى الأَرْضِ﴾[4]، يَعْنِي: مَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ زِينَةً لَهَا وَلِأَهْلِهَا مِنْ زَخَارِفِ الدُّنْيَا وَمَا يُسْتَحْسَنُ مِنْهَا.

﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلا﴾[5]: وَحُسْنُ الْعَمَلِ: الزُّهْدُ فِيهَا وَتَرْكُ الِاغْتِرَارِ بِهَا، ثُمَّ زَهَّدَ فِي الْمَيْلِ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا﴾[6]: مِنْ هَذِهِ الزِّينَةِ، ﴿صَعِيدًا جُرُزًا﴾[7]، يَعْنِي: مِثْلَ أَرْضٍ بَيْضَاءَ لَا نَبَاتَ فِيهَا، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ خَضْرَاءَ مُعْشِبَةً، فِي إِزَالَةِ بَهْجَتِهِ،

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[6] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[7] سورة الْكَهْفِ، الآية.

وَإِمَاطَةِ حُسْنِهِ، وَإِبْطَالِ مَا بِهِ كَانَ زِينَةً: مِنْ إِمَاتَةِ الْحَيَوَانِ، وَتَجْفِيفِ النَّبَاتِ وَالْأَشْجَارِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ ذَكَرَ مِنَ الْآيَاتِ الْكُلِّيَّةِ تَزْيِينَ الْأَرْضِ مِمَّا خَلَقَ فَوْقَهَا مِنَ الْأَجْنَاسِ الَّتِي لَا حَصْرَ لَهَا، وَإِزَالَةُ ذَلِكَ كُلِّهِ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾[1]، يَعْنِي: أَنَّ ذَلِكَ أَعْظَمُ مِنْ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ وَإِبْقَاءِ حَيَاتِهِمْ مُدَّةً طَوِيلَةً، وَالْكَهْفُ: الْغَارُ الْوَاسِعُ فِي الْجَبَلِ.

﴿وَالرَّقِيمُ﴾[2]: اسْمُ كَلْبِهِمْ.

قَالَ أُمَيَّةُ ابْنُ أَبِي الصَّلْتِ:

وَلَيْسَ بِهَا إِلَّا الرَّقِيمُ مُجَاوِرًا... وَصَيْدُهُمْ وَالْقَوْمُ فِي الْكَهْفِ هُمَّدُ

وَقِيلَ: هُوَ لَوْحٌ مِنْ رَصَاصٍ، رُقِّمَتْ فِيهِ أَسْمَاؤُهُمْ جُعِلَ عَلَى بَابِ الْكَهْفِ، وَقِيلَ: إِنَّ النَّاسَ رَقَّمُوا حَدِيثَهُمْ نَقْرًا فِي الْجَبَلِ، وَقِيلَ: هُوَ الْوَادِي الَّذِي فِيهِ الْكَهْفُ، وَقِيلَ: الْجَبَلُ، وَقِيلَ: قَرْيَتُهُمْ، وَقِيلَ: مَكَانُهُمْ بَيْنَ غَضْبَانَ وَأَيْلَةَ دُونَ فِلَسْطِينَ.

﴿كَانُواْ﴾[3]: آيَةً، ﴿عَجَبًا﴾[4]: مِنْ آيَاتِنَا وَصْفًا بِالْمَصْدَرِ، أَوْ عَلَى: ذَاتِ عَجَبٍ.

﴿مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾[5]، أَيْ: رَحْمَةً مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِكَ، وَهِيَ الْمَغْفِرَةُ وَالرِّزْقُ وَالْأَمْنُ مِنَ الْأَعْدَاءِ.

﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا﴾[6]: الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ مُفَارَقَةِ الْكُفَّارِ.

﴿رَشَدًا﴾[7]: حَتَّى نَكُونَ بِسَبَبِهِ رَاشِدِينَ مُهْتَدِينَ، أَوِ اجْعَلْ أَمْرَنَا رَشَدًا كُلَّهُ، كَقَوْلِكَ: رَأَيْتُ مِنْكَ أَسَدًا.

﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ﴾[8]، أَيْ: ضَرَبْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِنْ أَنْ تَسْمَعَ، يَعْنِي: أَنَمْنَاهُمْ إِنَامَةً ثَقِيلَةً لَا تُنَبِّهُهُمْ فِيهَا الْأَصْوَاتُ، كَمَا تَرَى الْمُسْتَثْقَلَ فِي نَوْمِهِ يُصَاحُ بِهِ فَلَا يَسْمَعُ وَلَا

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[6] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[7] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[8] سورة الْكَهْفِ، الآية.

يَسْتَنْبِهُ، فَحَذَفَ الْمَفْعُولَ الَّذِي هُوَ الْحِجَابُ، كَمَا يُقَالُ: بَنَى عَلَى امْرَأَتِهِ، يُرِيدُونَ: بَنَى عَلَيْهَا الْقُبَّةَ.

﴿سِنِينَ عَدَدًا﴾[1]: ذَوَاتِ عَدَدٍ، فَيُحْتَمَلُ أَنْ يُرِيدَ الْكَثْرَةَ وَأَنْ يُرِيدَ الْقِلَّةَ، لِأَنَّ الْكَثِيرَ قَلِيلٌ عِنْدَهُ، كَقَوْلِهِ: ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ﴾[2].

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: إِذَا قَلَّ فُهِمَ مِقْدَارُ عَدَدِهِ فَلَمْ يَحْتَجْ أَنْ يُعَدَّ، وَإِذَا كَثُرَ احْتَاجَ إِلَى أَنْ يُعَدَّ.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ: الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾[3]

"أَيْ": يَتَضَمَّنُ مَعْنَى الِاسْتِفْهَامِ، فَعَلَّقَ عَنْهُ "لِنَعْلَمَ": فَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ.

وَقُرِئَ "لِيَعْلَمَ"، وَهُوَ مُعَلَّقٌ عَنْهُ –أَيْضًا–، لِأَنَّ ارْتِفَاعَهُ بِالِابْتِدَاءِ لَا بِإِسْنَادِ "يَعْلَمُ" إِلَيْهِ، وَفَاعِلُ "يَعْلَمُ": مَضْمُونُ الْجُمْلَةِ، كَمَا أَنَّهُ مَفْعُولُ "نَعْلَمُ".

﴿أَيُّ الْحِزْبَيْنِ﴾[4]: الْمُخْتَلِفِينَ مِنْهُمْ فِي مُدَّةِ لُبْثِهِمْ، لِأَنَّهُمْ لَمَّا انْتَبَهُوا اخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾[5]، وَكَانَ الَّذِينَ قَالُوا: رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ: هُمُ الَّذِينَ عَلِمُوا أَنَّ لُبْثَهُمْ قَدْ تَطَاوَلَ أَوْ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ الْمُخْتَلِفَيْنِ مِنْ غَيْرِهِمْ.

وَ﴿أَحْصَى﴾[6]: فِعْلٌ مَاضٍ، أَيْ: أَيُّهُمْ ضَبَطَ.

﴿أَمَدًا﴾[7]: لِأَوْقَاتِ لُبْثِهِمْ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا تَقُولُ فِيمَنْ جَعَلَهُ مِنْ أَفْعَلِ التَّفْضِيلِ؟

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[2] سورة الْأَحْقَافُ، الآية 35.

[3] سورة الْكَهْفِ، الآية 14.

[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[6] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[7] سورة الْكَهْفِ، الآية.

قُلْتُ: لَيْسَ بِالْوَجْهِ السَّدِيدِ، وَذَلِكَ أَنَّ بِنَاءَهُ مِنْ غَيْرِ الثُّلَاثِيِّ الْمُجَرَّدِ لَيْسَ بِقِيَاسٍ، وَنَحْوَ: "أَعْدَى مِنَ الْجَرَبِ"، وَ"أَفْلَسُ مِن ابْنِ الْمُذَلَّقِ": شَاذٌّ، وَالْقِيَاسُ عَلَى الشَّاذِّ فِي غَيْرِ الْقُرْآنِ مُمْتَنِعٌ، فَكَيْفَ بِهِ؟

وَلِأَنَّ ﴿أَمَدًا﴾[1] لَا يَخْلُو: إِمَّا أَنْ يَنْتَصِبَ بِأَفْعَلَ، فَأَفْعَلُ لَا يَعْمَلُ، وَإِمَّا أَنْ يُنْصَبَ بِلَبِثُوا، فَلَا يَسُدُّ عَلَيْهِ الْمَعْنَى، فَإِنْ زَعَمْتَ أَنِّي أَنْصِبُهُ بِإِضْمَارِ فِعْلٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ أَحْصَى، كَمَا أُضْمِرَ فِي قَوْلِهِ:

.....وَأَضْرَبَ مِنَّا بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِسَا

عَلَى: نَضْرِبُ الْقَوَانِسَ، فَقَدْ أَبْعَدْتَ الْمُتَنَاوَلَ وَهُوَ قَرِيبٌ، حَيْثُ أَبَيْتَ أَنْ يَكُونَ أَحْصَى فِعْلًا، ثُمَّ رَجَعْتَ مُضْطَرًّا إِلَى تَقْدِيرِهِ وَإِضْمَارِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ جَعَلَ اللَّهُ –تَعَالَى– الْعِلْمَ بِإِحْصَائِهِمُ الْمُدَّةَ غَرَضًا فِي الضَّرْبِ عَلَى آذَانِهِمْ؟

قُلْتُ: اللَّهُ –عَزَّ وَجَلَّ– لَمْ يَزَلْ عَالِمًا بِذَلِكَ، وَإِنَّمَا أَرَادَ مَا تَعَلَّقَ بِهِ الْعِلْمُ مِنْ ظُهُورِ الْأَمْرِ لَهُمْ، لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا وَاعْتِبَارًا، وَيَكُونُ لُطْفًا لِمُؤْمِنِي زَمَانِهِمْ، وَآيَةً بَيِّنَةً لِكُفَّارِهِ.

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾[2]

﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾[3]: بِالتَّوْفِيقِ وَالتَّثْبِيتِ، ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾[4]: وَقَوَّيْنَاهَا بِالصَّبْرِ عَلَى هَجْرِ الْأَوْطَانِ وَالنَّعِيمِ، وَالْفِرَارِ بِالدِّينِ إِلَى بَعْضِ الْغِيرَانِ، وَجَسَّرْنَاهُمْ عَلَى الْقِيَامِ بِكَلِمَةِ الْحَقِّ وَالتَّظَاهُرِ بِالْإِسْلَامِ، ﴿إِذْ قَامُوا﴾[5]: بَيْنَ يَدَيِ الْجَبَّارِ وَهُوَ دِقْيَانُوسُ، مِنْ غَيْرِ مُبَالَاةٍ بِهِ

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.

حِينَ عَاتَبَهُمْ عَلَى تَرْكِ عِبَادَةِ الصَّنَمِ، (فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُ السَّمَاوَاتِ وَالأرض..... شَطَطًا): قَوْلًا ذَا شَطَطٍ، وَهُوَ الْإِفْرَاطُ فِي الظُّلْمِ وَالْإِبْعَادُ فِيهِ، مِنْ شَطَّ: إِذَا بَعِدَ، وَمِنْهُ: أَشَطَّ فِي السَّوْمِ وَفِي غَيْرِهِ.

﴿هَؤُلَاءِ﴾[1]: مُبْتَدَأٌ، وَ﴿قَوْمُنَا﴾[2]: عَطْفُ بَيَانٍ، ﴿وَاتَّخَذُوا﴾[3]: خَبَرٌ، وَهُوَ إِخْبَارٌ فِي مَعْنَى: إِنْكَارٍ.

﴿لَوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ﴾[4]: هَلَّا يَأْتُونَ عَلَى عِبَادَتِهِمْ، فَحَذَفَ الْمُضَافَ.

﴿بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾[5]: وَهُوَ تَبْكِيتٌ، لِأَنَّ الْإِتْيَانَ بِالسُّلْطَانِ عَلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مُحَالٌ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى فَسَادِ التَّقْلِيدِ، وَأَنَّهُ لَا بُدَّ فِي الدِّينِ مِنَ الْحُجَّةِ حَتَّى يَصِحَّ وَيَثْبُتَ.

﴿افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾[6]: بِنِسْبَةِ الشَّرِيكِ إِلَيْهِ.

﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾[7]

﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾[8]: خِطَابٌ مِنْ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، حِينَ صَمَّمَتْ عَزِيمَتُهُمْ عَلَى الْفِرَارِ بِدِينِهِمْ.

﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾[9]: نَصْبٌ، عَطْفٌ عَلَى الضَّمِيرِ، يَعْنِي: وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَاعْتَزَلْتُمْ مَعْبُودِيهِمْ.

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[6] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[7] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[8] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[9] سورة الْكَهْفِ، الآية.

﴿إِلاَّ اللَّهَ﴾[1]: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اسْتِثْنَاءً مُتَّصِلًا، عَلَى مَا رُوِيَ: أَنَّهُمْ كَانُوا يُقِرُّونَ بِالْخَالِقِ وَيُشْرِكُونَ مَعَهُ كَمَا أَهْلُ مَكَّةَ، وَأَنْ يَكُونَ مُنْقَطِعًا، وَقِيلَ: هُوَ كَلَامٌ مُعْتَرِضٌ إِخْبَارٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَنِ الْفِئَةِ أَنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوا غَيْرَ اللَّهِ.

﴿مِرْفَقًا﴾[2]: قُرِئَ بِفَتْحِ الْمِيمِ وَكَسْرِهَا، وَهُوَ مَا يَرْتَفِقُ بِهِ، أَيْ: يَنْتَفِعُ، إِمَّا أَنْ يَقُولُوا ذَلِكَ ثِقَةً بِفَضْلِ اللَّهِ وَقُوَّةً فِي رَجَائِهِمْ، لِتَوَكُّلِهِمْ عَلَيْهِ وَنُصُوعِ يَقِينِهِمْ، وَإِمَّا أَنْ يُخْبِرَهُمْ بِهِ نَبِيٌّ فِي عَصْرِهِمْ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ بَعْضُهُمْ نَبِيًّا.

﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾[3]

﴿تَزَاوَرُ﴾[4]، أَيْ: تَمَايَلُ، أَصْلُهُ: تَتَزَاوَرُ، فَخَفَّفَ بِإِدْغَامِ التَّاءِ فِي الزَّايِ أَوْ حَذْفِهَا، وَقَدْ قُرِئَ بِهِمَا.

وَقُرِئَ: "تَزْوَرُّ: وَ"تَزْوَارُّ": بِوَزْنِ تَحْمَرُّ وَتَحْمَارُّ، وَكُلُّهَا مِنَ الزُّورِ وَهُوَ الْمَيْلُ، وَمِنْهُ: زَارَهُ إِذَا مَالَ إِلَيْهِ، وَالزُّورُ: الْمَيْلُ عَنِ الصِّدْقِ.

﴿ذَاتَ الْيَمِينِ﴾[5]: جِهَةَ الْيَمِينِ وَحَقِيقَتُهَا الْجِهَةُ الْمُسَمَّاةُ بِالْيَمِينِ.

﴿تَقْرِضُهُمْ﴾: تَقْطَعُهُمْ لَا تَقْرَبُهُمْ مِنْ مَعْنَى الْقَطِيعَةِ وَالصَّرْمِ.

قَالَ ذُو الرُّمَّةِ:

إِلَى ظُعُنٍ يَقْرِضْنَ أَقْوَازَ مُشْرِفٍ... شَمَالًا وَعَنْ أَيْمَانِهِنَّ الْفَوَارِسُ

﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾[6]: وَهُمْ فِي مُتَّسَعٍ مِنَ الْكَهْفِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ فِي ظِلِّ نَهَارِهِمْ كُلِّهِ لَا تُصِيبُهُمُ الشَّمْسُ فِي طُلُوعِهَا وَلَا غُرُوبِهَا، مَعَ أَنَّهُمْ فِي مَكَانٍ وَاسِعٍ مُنْفَتِحٍ مُعَرَّضٍ لِإِصَابَةِ الشَّمْسِ لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ يَحْجُبُهَا عَنْهُمْ.

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[6] سورة الْكَهْفِ، الآية.

وَقِيلَ: فِي مُتَفَسَّحٍ مِنْ غَارِهِمْ يَنَالُهُمْ فِيهِ رَوْحُ الْهَوَاءِ وَبَرْدُ النَّسِيمِ وَلَا يُحِسُّونَ كَرْبَ الْغَارِ.

﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾[1]، أَيْ: مَا صَنَعَهُ اللَّهُ بِهِمْ –مِن ازْوِرَارِ الشَّمْسِ وَقَرْضِهَا طَالِعَةً وَغَارِبَةً– آيَةٌ مِنْ آيَاتِهِ، يَعْنِي: أَنَّ مَا كَانَ فِي ذَلِكَ السَّمْتِ تُصِيبُهُ الشَّمْسُ وَلَا تُصِيبُهُمْ، اخْتِصَاصًا لَهُمْ بِالْكَرَامَةِ.

وَقِيلَ: بَابُ الْكَهْفِ شَمَالِيٌّ مُسْتَقْبِلٌ لِبَنَاتِ نَعْشٍ، فَهُمْ فِي مَقْنَأَةٍ أَبَدًا.

وَمَعْنَى: ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾[2]: أَنَّ شَأْنَهُمْ وَحَدِيثَهُمْ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ.

﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾[3]: ثَنَاءٌ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ جَاهَدُوا فِي اللَّهِ وَأَسْلَمُوا لَهُ وُجُوهَهُمْ، فَلَطَفَ بِهِمْ وَأَعَانَهُمْ، وَأَرْشَدَهُمْ إِلَى نَيْلِ تِلْكَ الْكَرَامَةِ السَّنِيَّةِ وَالِاخْتِصَاصِ بِالْآيَةِ الْعَظِيمَةِ، وَأَنَّ كُلَّ مَنْ سَلَكَ طَرِيقَةَ الْمُهْتَدِينَ الرَّاشِدِينَ فَهُوَ الَّذِي أَصَابَ الْفَلَاحَ، وَاهْتَدَى إِلَى السَّعَادَةِ، وَمَنْ تَعَرَّضَ لِلْخِذْلَانِ، فَلَنْ يَجِدَ مَنْ يَلِيهِ وَيُرْشِدُهُ بَعْدَ خِذْلَانِ اللَّهِ.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾[4]

﴿وَتَحْسَبُهُمْ﴾[5]: بِكَسْرِ السِّينِ وَفَتْحِهَا: خِطَابٌ لِكُلِّ أَحَدٍ وَالْأَيْقَاظُ: جَمْعُ يَقِظٍ، كَأَنْكَادٍ فِي نَكِدٍ.

قِيلَ: عُيُونُهُمْ مُفَتَّحَةٌ وَهُمْ نِيَامٌ، فَيَحْسَبُهُمُ النَّاظِرُ لِذَلِكَ أَيْقَاظًا، وَقِيلَ: لِكَثْرَةِ تَقَلُّبِهِمْ، وَقِيلَ: لَهُمْ تَقْلِبَتَانِ فِي السَّنَةِ، وَقِيلَ: تَقْلِبَةٌ وَاحِدَةٌ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ.

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.

وَقُرِئَ: "وَيُقَلِّبُهُمْ" بِالْيَاءِ، وَالضَّمِيرُ لِلَّهِ –تَعَالَى–، وَقُرِئَ: "وَتَقَلُّبَهُمْ" عَلَى الْمَصْدَرِ مَنْصُوبًا، وَانْتِصَابُهُ بِفِعْلٍ مُضْمَرٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا﴾[1]، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَتَرَى وَتُشَاهِدُ تَقَلُّبَهُمْ.

وَقَرَأَ جَعْفَرٌ الصَّادِقُ: "وَكَالِبُهُمْ"، أَيْ: وَصَاحِبُ كَلْبِهِمْ.

﴿بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾[2]: حِكَايَةُ حَالٍ مَاضِيَةٍ، لِأَنَّ اسْمَ الْفَاعِلِ لَا يَعْمَلُ إِذَا كَانَ فِي مَعْنَى الْمُضِيِّ، وَإِضَافَتُهُ إِذَا أُضِيفَ حَقِيقِيَّةٌ مُعَرِّفَةٌ، كَغُلَامِ زَيْدٍ، إِلَّا إِذَا نَوَيْتَ حِكَايَةَ الْحَالِ الْمَاضِيَةِ، وَالْوَصِيدُ: الْفِنَاءُ، وَقِيلَ: الْعَتَبَةُ، وَقِيلَ: الْبَابُ.

وَأَنْشَدَ:

بِأَرْضٍ فَضَاءٍ لا يُسَدُّ وَصِيدُهَـــا عَلَيَّ وَمَعْرُوفِي بِهَا غَيْرُ مُنْكَرِ

وَقُرِئَ: "وَلَمُلِّئْتَ": بِتَشْدِيدِ اللَّامِ لِلْمُبَالَغَةِ، وَقُرِئَ: بِتَخْفِيفِ الْهَمْزَةِ وَقَلْبِهَا يَاءً.

وَ﴿رُعْبًا﴾[3]: بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّثْقِيلِ، وَهُوَ الْخَوْفُ الَّذِي يُرْعِبُ الصَّدْرَ أَيْ: يَمْلَؤُهُ، وَذَلِكَ لِمَا أَلْبَسَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْهَيْبَةِ.

وَقِيلَ: لِطُولِ أَظْفَارِهِمْ وَشُعُورِهِمْ وَعِظَمِ أَجْرَامِهِمْ، وَقِيلَ: لِوَحْشَةِ مَكَانِهِمْ.

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ أَنَّهُ غَزَا الرُّومَ فَمَرَّ بِالْكَهْفِ، فَقَالَ: لَوْ كُشِفَ لَنَا عَنْ هَؤُلَاءِ فَنَظَرْنَا إِلَيْهِمْ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: لَيْسَ لَكَ ذَلِكَ، قَدْ مَنَعَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ، فَقَالَ: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾[4]، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: لَا أَنْتَهِي حَتَّى أَعْلَمَ عِلْمَهُمْ، فَبَعَثَ نَاسًا، وَقَالَ لَهُمْ: اذْهَبُوا فَانْظُرُوا، فَفَعَلُوا، فَلَمَّا دَخَلُوا الْكَهْفَ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رِيحًا فَأَحْرَقَتْهُمْ.

وَقُرِئَ: "لَوُ اطَّلَعْتَ" بِضَمِّ الْوَاوِ.

﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.

طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾

﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ﴾[1]: وَكَمَا أَنَمْنَاهُمْ تِلْكَ النَّوْمَةَ كَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ، ادِّكَارًا بِقُدْرَتِهِ عَلَى الْإِنَامَةِ وَالْبَعْثِ جَمِيعًا لِيَسْأَلَ بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَيَعْرِفُوا حَالَهُمْ وَمَا صَنَعَ اللَّهُ بِهِمْ، فَيَعْتَبِرُوا، وَيَسْتَدِلُّوا عَلَى عِظَمِ قُدْرَةِ اللَّهِ –تَعَالَى– وَيَزْدَادُوا يَقِينًا، وَيَشْكُرُوا مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ وَكَرَّمُوا بِهِ.

﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾[2]: جَوَابٌ مَبْنِيٌّ عَلَى غَالِبِ الظَّنِّ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ الِاجْتِهَادِ وَالْقَوْلِ بِالظَّنِّ الْغَالِبِ، وَأَنَّهُ لَا يَكُونُ كَذِبًا وَإِنْ جَازَ أَنْ يَكُونَ خَطَأً.

﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾[3]: إِنْكَارٌ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْضِهِمْ، وَأَنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ بِمُدَّةِ لُبْثِهِمْ، كَأَنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ عَلِمُوا بِالْأَدِلَّةِ أَوْ بِإِلْهَامٍ مِنَ اللَّهِ أَنَّ الْمُدَّةَ مُتَطَاوِلَةٌ، وَأَنَّ مِقْدَارَهَا مُبْهَمٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ، وَرُوِيَ أَنَّهُمْ دَخَلُوا الْكَهْفَ غُدْوَةً وَكَانَ انْتِبَاهُهُمْ بَعْدَ الزَّوَالِ، فَظَنُّوا أَنَّهُمْ فِي يَوْمِهِمْ، فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَى طُولِ أَظْفَارِهِمْ وَأَشْعَارِهِمْ قَالُوا ذَلِكَ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ وَصَلُوا قَوْلَهُمْ: ﴿فَابْعَثُوا﴾[4] بِتَذَاكُرِ حَدِيثِ الْمُدَّةِ؟

قُلْتُ: كَأَنَّهُمْ قَالُوا: رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِذَلِكَ، لَا طَرِيقَ لَكُمْ إِلَى عِلْمِهِ، فَخُذُوا فِي شَيْءٍ آخَرَ مِمَّا يُهِمُّكُمْ، وَالْوَرِقُ: الْفِضَّةُ، مَضْرُوبَةً كَانَتْ أَوْ غَيْرَ مَضْرُوبَةٍ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: أَنَّ عَرْفَجَةَ أُصِيبَ أَنْفُهُ يَوْمَ الْكِلَابِ فَاتَّخَذَ أَنْفًا مِنْ وَرِقٍ فَأَنْتَنَ، فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنْ يَتَّخِذَ أَنْفًا مِنْ ذَهَبٍ.

وَقُرِئَ: "بَوَرْقِكُمْ": بِسُكُونِ الرَّاءِ وَالْوَاوُ مَفْتُوحَةٌ أَوْ مَكْسُورَةٌ.

وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ: "بِوَرِقِكُمْ" بِكَسْرِ الرَّاءِ وَإِدْغَامِ الْقَافِ فِي الْكَافِ.

وَعَنِ ابْنِ مُحَيْصِنٍ أَنَّهُ كَسَرَ الْوَاوَ وَأَسْكَنَ الرَّاءَ وَأَدْغَمَ، وَهَذَا غَيْرُ جَائِزٍ، لِالْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ لَا عَلَى حَدِّهِ، وَقِيلَ: الْمَدِينَةُ طَرْسُوسُ، قَالُوا: وَتَزَوُّدُهُمْ مَا كَانَ مَعَهُمْ مِنَ الْوَرِقِ

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.

عِنْدَ فِرَارِهِمْ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ حَمْلَ النَّفَقَةِ وَمَا يُصْلِحُ الْمُسَافِرَ هُوَ رَأْيُ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَى اللَّهِ، دُونَ الْمُتَّكِلِينَ عَلَى الِاتِّفَاقَاتِ وَعَلَى مَا فِي أَوْعِيَةِ الْقَوْمِ مِنَ النَّفَقَاتِ.

وَمِنْهُ قَوْلُ عَائِشَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا– لِمَنْ سَأَلَهَا عَنْ مُحْرِمٍ يَشُدُّ عَلَيْهِ هِمْيَانَهُ: أَوْثِقْ عَلَيْكَ نَفَقَتَكَ.

وَمَا حُكِيَ عَنْ بَعْضِ صَعَالِيكِ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُ كَانَ شَدِيدَ الْحَنِينِ إِلَى أَنْ يُرْزَقَ حَجَّ بَيْتِ اللَّهِ، وَتُعُولِمَ مِنْهُ ذَلِكَ، فَكَانَتْ مَيَاسِيرُ أَهْلِ بَلَدِهِ كُلَّمَا عَزَمَ مِنْهُمْ فَوْجٌ عَلَى حَجٍّ أَتَوْهُ فَبَذَلُوا لَهُ أَنْ يَحُجُّوا بِهِ وَأَلَحُّوا عَلَيْهِ، فَيَعْتَذِرُ إِلَيْهِمْ وَيَحْمَدُ إِلَيْهِمْ بَذْلَهُمْ، فَإِذَا انْفَضُّوا عَنْهُ قَالَ لِمَنْ عِنْدُهُ: مَا لِهَذَا السَّفَرِ إِلَّا شَيْآنِ: شَدُّ الْهِمْيَانِ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَى الرَّحْمَنِ، أَيُّهَا، أَيْ: أَهْلُهَا، فَحَذَفَ الْأَهْلَ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾[1].

﴿أَزْكَى طَعَامًا﴾[2]: أَحَلُّ وَأَطْيَبُ وَأَكْثَرُ وَأَرْخَصُ.

﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾[3]: وَلِيَتَكَلَّفِ اللُّطْفَ وَالنِّيقَةَ فِيمَا يُبَاشِرُهُ مِنْ أَمْرِ الْمُبَايَعَةِ حَتَّى لَا يُغْبَنَ، أَوْ فِي أَمْرِ التَّخَفِّي حَتَّى لَا يُعْرَفَ.

﴿وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾[4]، يَعْنِي: وَلَا يَفْعَلَنَّ مَا يُؤَدِّي مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ مِنْهُ إِلَى الشُّعُورِ بِنَا، فَسَمَّى ذَلِكَ إِشْعَارًا مِنْهُ بِهِمْ، لِأَنَّهُ سَبَبٌ فِيهِ.

الضَّمِيرُ فِي ﴿إِنَّهُمْ﴾[5]: رَاجِعٌ إِلَى الْأَهْلِ الْمُقَدَّرِ فِي: ﴿أَيُّهَا﴾[6].

﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾[7]: يَقْتُلُوكُمْ أَخْبَثَ الْقِتْلَةِ وَهِيَ الرَّجْمُ، وَكَانَتْ عَادَتَهُمْ، ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ﴾[8]: أَوْ يُدْخِلُوكُمْ، ﴿فِي مِلَّتِهِمْ﴾[9]: بِالْإِكْرَاهِ الْعَنِيفِ وَيُصَيِّرُوكُمْ إِلَيْهَا، وَالْعَوْدُ فِي مَعْنَى الصَّيْرُورَةِ أَكْثَرُ شَيْءٍ فِي كَلَامِهِمْ، يَقُولُونَ: مَا عُدْتُ أَفْعَلُ كَذَا، يُرِيدُونَ ابْتِدَاءَ الْفِعْلِ.

---

[1] سورة يُوسُفُ، الآية 82.

[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[6] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[7] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[8] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[9] سورة الْكَهْفِ، الآية.

﴿وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾[1]: إِذْ دَخَلْتُمْ فِي دِينِهِمْ.

﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾[2]

﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾[3]: وَكَمَا أَنَمْنَاهُمْ وَبَعَثْنَاهُمْ، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمَةِ أَطْلَعْنَا عَلَيْهِمْ، لِيَعْلَمَ الَّذِينَ أَطْلَعْنَاهُمْ عَلَى حَالِهِمْ.

﴿أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾[4]: وَهُوَ الْبَعْثُ، لِأَنَّ حَالَهُمْ فِي نَوْمَتِهِمْ وَانْتِبَاهَتِهِمْ بَعْدَهَا كَحَالِ مَنْ يَمُوتُ ثُمَّ يُبْعَثُ.

وَ﴿إِذْ يَتَنَازَعُونَ﴾[5]: مُتَعَلِّقٌ بِأَعْثَرْنَا، أَيْ: أَعْثَرْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ حِينَ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَ دِينِهِمْ وَيَخْتَلِفُونَ فِي حَقِيقَةِ الْبَعْثِ، فَكَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ: تُبْعَثُ الْأَرْوَاحُ دُونَ الْأَجْسَادِ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: تُبْعَثُ الْأَجْسَادُ مَعَ الْأَرْوَاحِ، لِيَرْتَفِعَ الْخِلَافُ، وَلِيَتَبَيَّنَ أَنَّ الْأَجْسَادَ تُبْعَثُ حَيَّةً حَسَّاسَةً فِيهَا أَرْوَاحُهَا كَمَا كَانَتْ قَبْلَ الْمَوْتِ.

﴿فَقَالُواْ﴾[6]: حِينَ تَوَفَّى اللَّهُ أَصْحَابَ الْكَهْفِ: ﴿ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا﴾[7]، أَيْ: عَلَى بَابِ كَهْفِهِمْ، لِئَلَّا يَتَطَرَّقَ إِلَيْهِمُ النَّاسُ ضَنًّا بِتُرْبَتِهِمْ وَمُحَافَظَةً عَلَيْهَا، كَمَا حُفِظَتْ تُرْبَةُ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِالْحَظِيرَةِ.

﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ﴾[8]: مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمَلِكِهِمْ وَكَانُوا أَوْلَى بِهِمْ وَبِالْبِنَاءِ عَلَيْهِمْ، ﴿لَنَتَّخِذَنَّ﴾[9]: عَلَى بَابِ الْكَهْفِ، ﴿مَسْجِدًا﴾[10]: يُصَلِّي فِيهِ الْمُسْلِمُونَ وَيَتَبَرَّكُونَ

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[6] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[7] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[8] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[9] سورة الْكَهْفِ، الآية.

بِمَكَانِهِمْ.

وَقِيلَ: ﴿إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾[1]، أَيْ: يَتَذَاكَرُ النَّاسُ بَيْنَهُمْ أَمْرَ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، وَيَتَكَلَّمُونَ فِي قِصَّتِهِمْ وَمَا أَظْهَرَ اللَّهُ مِنَ الْآيَةِ فِيهِمْ، أَوْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ تَدْبِيرَ أَمْرِهِمْ حِينَ تُوُفُّوا، كَيْفَ يُخْفُونَ مَكَانَهُمْ؟ وَكَيْفَ يَسُدُّونَ الطَّرِيقَ إِلَيْهِمْ؟ فَقَالُوا: ابْنُوا عَلَى بَابِ كَهْفِهِمْ بُنْيَانًا.

رُوِيَ أَنَّ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ عَظُمَتْ فِيهِمُ الْخَطَايَا وَطَغَتْ مُلُوكُهُمْ حَتَّى عَبَدُوا الْأَصْنَامَ وَأَكْرَهُوا عَلَى عِبَادَتِهَا، وَمِمَّنْ شَدَّدَ فِي ذَلِكَ دِقْيَانُوسُ، فَأَرَادَ فَتِيَّةً مِنْ أَشْرَافِ قَوْمِهِ عَلَى الشِّرْكِ وَتَوَعَّدَهُمْ بِالْقَتْلِ، فَأَبَوْا إِلَّا الثَّبَاتَ عَلَى الْإِيمَانِ وَالتَّصَلُّبَ فِيهِ، ثُمَّ هَرَبُوا إِلَى الْكَهْفِ وَمَرُّوا بِكَلْبٍ فَتَبِعَهُمْ فَطَرَدُوهُ، فَأَنْطَقَهُ اللَّهُ، فَقَالَ: مَا تُرِيدُونَ مِنِّي، أَنَا أُحِبُّ أَحِبَّاءَ اللَّهِ، فَنَامُوا وَأَنَا أَحْرُسُكُمْ.

وَقِيلَ: مَرُّوا بِرَاعٍ مَعَهُ كَلْبٌ فَتَبِعَهُمْ عَلَى دِينِهِمْ، وَدَخَلُوا الْكَهْفَ، فَكَانُوا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فِيهِ، ثُمَّ ضَرَبَ اللَّهُ عَلَى آذَانِهِمْ، وَقَبْلَ أَنْ يَبْعَثَهُمُ اللَّهُ مَلَكَ مَدِينَتَهُمْ رَجُلٌ صَالِحٌ مُؤْمِنٌ، وَقَدِ اخْتَلَفَ أَهْلُ مَمْلَكَتِهِ فِي الْبَعْثِ مُعْتَرِفِينَ وَجَاحِدِينَ، فَدَخَلَ الْمَلِكُ بَيْتَهُ وَأَغْلَقَ بَابَهُ وَلَبِسَ مَسْحًا وَجَلَسَ عَلَى رَمَادٍ، وَسَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُمُ الْحَقَّ، فَأَلْقَى اللَّهُ فِي نَفْسِ رَجُلٍ مِنْ رِعْيَانِهِمْ فَهَدَمَ مَا سُدَّ بِهِ فَمُ الْكَهْفِ لِيَتَّخِذَهُ حَظِيرَةً لِغَنَمِهِ.

وَلَمَّا دَخَلَ الْمَدِينَةَ مَنْ بَعَثُوهُ لِابْتِيَاعِ الطَّعَامِ وَأَخْرَجَ الْوَرِقَ وَكَانَ مِنْ ضَرْبِ دِقْيَانُوسَ: اتَّهَمُوهُ بِأَنَّهُ وَجَدَ كَنْزًا، فَذَهَبُوا بِهِ إِلَى الْمَلِكِ فَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ، فَانْطَلَقَ الْمَلِكُ وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ مَعَهُ وَأَبْصَرُوهُمْ، وَحَمِدُوا اللَّهَ عَلَى الْآيَةِ الدَّالَّةِ عَلَى الْبَعْثِ، ثُمَّ قَالَتِ الْفِتْيَةُ لِلْمَلِكِ: نَسْتَوْدِعُكَ اللَّهَ وَنُعِيذُكَ بِهِ مِنْ شَرِّ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَتَوَفَّى اللَّهُ أَنْفُسَهُمْ، فَأَلْقَى الْمَلِكُ عَلَيْهِمْ ثِيَابَهُ، وَأَمَرَ فَجُعِلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ تَابُوتٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَرَآهُمْ فِي الْمَنَامِ كَارِهِينَ لِلذَّهَبِ، فَجَعَلَهَا مِنَ السَّاجِ، وَبَنَى عَلَى بَابِ الْكَهْفِ مَسْجِدًا.

﴿رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾[2]: مِنْ كَلَامِ الْمُتَنَازِعِينَ، كَأَنَّهُمْ تَذَاكَرُوا أَمْرَهُمْ وَتَنَاقَلُوا الْكَلَامَ فِي أَنْسَابِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ وَمُدَّةِ لُبْثِهِمْ، فَلَمَّا لَمْ يَهْتَدُوا إِلَى حَقِيقَةِ ذَلِكَ قَالُوا: رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ، أَوْ

---

10 سورة الْكَهْفِ، الآية.

1 سورة الْكَهْفِ، الآية.

2 سورة الْكَهْفِ، الآية.

هُوَ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ رَدٌّ لِقَوْلِ الْخَائِضِينَ فِي حَدِيثِهِمْ مِنْ أُولَئِكَ الْمُتَنَازِعِينَ، أَوْ مِنَ الَّذِينَ تَنَازَعُوا فِيهِمْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ.

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلا قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾[1]

﴿سَيَقُولُونَ﴾[2]: الضَّمِيرُ: لِمَنْ خَاضَ فِي قِصَّتِهِمْ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُؤْمِنِينَ، سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَنْهُمْ فَأَخَّرَ الْجَوَابَ إِلَى أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ فِيهِمْ، فَنَزَلَتْ إِخْبَارًا بِمَا سَيَجْرِي بَيْنَهُمْ مِنِ اخْتِلَافِهِمْ فِي عَدَدِهِمْ، وَأَنَّ الْمُصِيبَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: أَنَا مِنْ أُولَئِكَ الْقَلِيلِ.

وَرُوِيَ أَنَّ السَّيِّدَ وَالْعَاقِبَ وَأَصْحَابَهُمَا مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ كَانُوا عِنْدَ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَجَرَى ذِكْرُ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، فَقَالَ السَّيِّدُ، وَكَانَ يَعْقُوبِيًّا: كَانُوا ثَلَاثَةً رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ، وَقَالَ الْعَاقِبُ وَكَانَ نُسْطُورِيًّا: كَانُوا خَمْسَةً سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ، وَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: كَانُوا سَبْعَةً وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ، فَحَقَّقَ اللَّهُ قَوْلَ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّمَا عَرَفُوا ذَلِكَ بِإِخْبَارِ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَنْ لِسَانِ جِبْرِيلَ –عَلَيْهِ السَّلَامُ–.

وَعَنْ عَلِيٍّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: هُمْ سَبْعَةُ نَفَرٍ أَسْمَاؤُهُمْ: يَمْلِيخَا، وَمَكْشِلِيتَيَا، وَمَشْلِينِيَا: هَؤُلَاءِ أَصْحَابُ يَمِينِ الْمَلِكِ، وَكَانَ عَنْ يَسَارِهِ: مَرْنُوشُ، وَدَبْرَنُوشَ، وَشَادِنُوشَ، وَكَانَ يَسْتَشِيرُ هَؤُلَاءِ السِّتَّةَ فِي أَمْرِهِ، وَالسَّابِعُ: الرَّاعِي الَّذِي وَافَقَهُمْ حِينَ هَرَبُوا مِنْ مَلِكِهِمْ دِقْيَانُوسَ، وَاسْمُ مَدِينَتِهِمْ: أَفَسُوسُ، وَاسْمُ كَلْبِهِمْ: قَطِمِيٌّ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ جَاءَ بِسِينِ الِاسْتِقْبَالِ فِي الْأَوَّلِ دُونَ الْآخَرَيْنِ؟

قُلْتُ: فِيهِ وَجْهَانِ: أَنْ تُدْخِلَ الْآخَرَيْنِ فِي حُكْمِ السِّينِ، كَمَا تَقُولُ: قَدْ أُكْرِمَ وَأُنْعِمَ، تُرِيدُ: مَعْنَى التَّوَقُّعِ فِي الْفِعْلَيْنِ جَمِيعًا، وَأَنْ تُرِيدَ بِيَفْعَلُ مَعْنَى الِاسْتِقْبَالِ الَّذِي هُوَ صَالِحٌ

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.

لَهُ، ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾[1]: رَمْيًا بِالْخَبَرِ الْخَفِيِّ وَإِتْيَانًا بِهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ﴾[2]، أَيْ: يَأْتُونَ بِهِ، أَوْ وُضِعَ الرَّجْمُ مَوْضِعَ الظَّنِّ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: ظَنًّا بِالْغَيْبِ، لِأَنَّهُمْ أَكْثَرُوا أَنْ يَقُولُوا رَجَمَ بِالظَّنِّ مَكَانَ قَوْلِهِمْ ظَنَّ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ فَرْقٌ بَيْنَ الْعِبَارَتَيْنِ.

أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ زُهَيْرٍ:

.....وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمُرَجَّمِ

أَيْ: الْمَظْنُونُ.

وَقُرِئَ: ﴿ثَلَاثٌ رَابِعُهُمْ﴾[3] بِإِدْغَامِ الثَّاءِ فِي تَاءِ التَّأْنِيثِ، وَ﴿ثَلَاثَةٌ﴾[4]: خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، أَيْ: هُمْ ثَلَاثَةٌ، وَكَذَلِكَ: ﴿خَمْسَةٌ﴾[5]، و﴿سَبْعَةٌ﴾[6].

وَ﴿رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾[7]: جُمْلَةٌ مِنْ مُبْتَدَأٍ وَخَبَرٍ وَاقِعَةٌ صِفَةً لِثَلَاثَةٍ، وَكَذَلِكَ: ﴿سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾[8]، ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾[9].

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا هَذِهِ الْوَاوُ الدَّاخِلَةُ عَلَى الْجُمْلَةِ الثَّالِثَةِ، وَلِمَ دَخَلَتْ عَلَيْهَا دُونَ الْأَوَّلَيْنِ؟

قُلْتُ: هِيَ الْوَاوُ الَّتِي تَدْخُلُ عَلَى الْجُمْلَةِ الْوَاقِعَةِ صِفَةً لِلنَّكِرَةِ، كَمَا تَدْخُلُ عَلَى الْوَاقِعَةِ حَالًا عَنِ الْمَعْرِفَةِ فِي نَحْوِ قَوْلِكَ: جَاءَنِي رَجُلٌ وَمَعَهُ آخَرُ، وَمَرَرْتُ بِزَيْدٍ وَفِي يَدِهِ سَيْفٌ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾[10]، وَفَائِدَتُهَا: تَأْكِيدُ لُصُوقِ الصِّفَةِ بِالْمَوْصُوفِ، وَالدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّ اتِّصَافَهُ بِهَا أَمْرٌ ثَابِتٌ مُسْتَقِرٌّ، وَهَذِهِ الْوَاوُ هِيَ الَّتِي آذَنَتْ بِأَنَّ الَّذِينَ قَالُوا: سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ، قَالُوهُ عَنْ ثَبَاتِ عِلْمٍ، وَطُمَأْنِينَةِ نَفْسٍ، وَلَمْ يَرْجُمُوا بِالظَّنِّ كَمَا غَيْرُهُمْ، وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ أَنَّ اللَّهَ –سُبْحَانَهُ– أَتْبَعَ

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[2] سورة سَبَأٌ، الآية 53.

[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[6] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[7] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[8] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[9] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[10] سورة الْحِجْرُ، الآية 44.

الْقَوْلَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ قَوْلَهُ: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾[1]، وَأَتْبَعَ الْقَوْلَ الثَّالِثَ قَوْلَهُ: ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلا قَلِيلٌ﴾[2].

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: حِينَ وَقَعَتِ الْوَاوُ انْقَطَعَتِ الْعِدَّةُ، أَيْ: لَمْ يَبْقَ بَعْدَهَا عِدَّةُ عَادٍّ يُلْتَفَتُ إِلَيْهَا، وَثَبَتَ أَنَّهُمْ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ عَلَى الْقَطْعِ وَالْبَتَاتِ.

وَقِيلَ: إِلَّا قَلِيلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ.

وَالضَّمِيرُ فِي ﴿سَيَقُولُونَ﴾[3]: عَلَى هَذَا لِأَهْلِ الْكِتَابِ خَاصَّةً، أَيْ: سَيَقُولُ أَهْلُ الْكِتَابِ فِيهِمْ كَذَا وَكَذَا، وَلَا عِلْمَ بِذَلِكَ إِلَّا فِي قَلِيلٍ مِنْهُمْ، وَأَكْثَرُهُمْ عَلَى ظَنٍّ وَتَخْمِينٍ، ﴿فَلا تُمَارِ فِيهِمْ﴾[4]: فَلَا تُجَادِلْ أَهْلَ الْكِتَابِ فِي شَأْنِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ إِلَّا جِدَالًا ظَاهِرًا غَيْرَ مُتَعَمِّقٍ فِيهِ، وَهُوَ أَنْ تَقُصَّ عَلَيْهِمْ مَا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْكَ فَحَسْبُ، وَلَا تَزِيدَ، مِنْ غَيْرِ تَجْهِيلٍ لَهُمْ وَلَا تَعْنِيفٍ بِهِمْ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ، كَمَا قَالَ: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[5].

﴿وَلا تَسْتَفْتِ﴾[6]: وَلَا تَسْأَلْ أَحَدًا مِنْهُمْ عَنْ قِصَّتِهِمْ سُؤَالَ مُتَعَنِّتٍ لَهُ، حَتَّى يَقُولَ شَيْئًا فَتَرُدَّهُ عَلَيْهِ وَتُزَيِّفُ مَا عِنْدَهُ، لِأَنَّ ذَلِكَ خِلَافُ مَا وُصِّيتَ بِهِ مِنَ الْمُدَارَاةِ وَالْمُجَامَلَةِ، وَلَا سُؤَالَ مُسْتَرْشِدٍ، لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَرْشَدَكَ بِأَنْ أَوْحَى إِلَيْكَ قِصَّتَهُمْ.

﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾[7]

﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ﴾[8]: وَلَا تَقُولَنَّ لِأَجْلِ شَيْءٍ تَعْزِمُ عَلَيْهِ.

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[5] سورة النَّحْلُ، الآية 125.

[6] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[7] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[8] سورة الْكَهْفِ، الآية.

﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ﴾[1]: الشَّيْءَ، ﴿غَدًا﴾[2]، أَيْ: فِيمَا يُسْتَقْبَلُ مِنَ الزَّمَانِ، وَلَمْ يُرِدِ الْغَدَ خَاصَّةً.

﴿إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾[3]: مُتَعَلِّقٌ بِالنَّهْيِ لَا بِقَوْلِهِ: إِنِّي فَاعِلٌ، لِأَنَّهُ لَوْ قَالَ: إِنِّي فَاعِلٌ كَذَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ، كَانَ مَعْنَاهُ: إِلَّا أَنْ تَعْتَرِضَ مَشِيئَةُ اللَّهِ دُونَ فِعْلِهِ، وَذَلِكَ مِمَّا لَا مَدْخَلَ فِيهِ لِلنَّهْيِ، وَتَعَلُّقُهُ بِالنَّهْيِ عَلَى وَجْهَيْنِ:

– أَحَدُهُمَا: وَلَا تَقُولَنَّ ذَلِكَ الْقَوْلَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ أَنْ تَقُولَهُ، بِأَنْ يَأْذَنَ لَكَ فِيهِ.

– وَالثَّانِي: وَلَا تَقُولَنَّهُ إِلَّا بِأَنْ يَشَاءَ اللَّهُ، أَيْ: إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ، وَهُوَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، يَعْنِي: إِلَّا مُلْتَبِسًا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ قَائِلًا: إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَفِيهِ وَجْهٌ ثَالِثٌ، وَهُوَ: أَنْ يَكُونَ "إِنْ شَاءَ اللَّهُ" فِي مَعْنَى: كَلِمَةِ تَأْبِيدٍ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَلَا تَقُولَنَّهُ أَبَدًا، وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾[4]، لِأَنَّ عَوْدَهُمْ فِي مِلَّتِهِمْ مِمَّا لَنْ يَشَاءَهُ اللَّهُ، وَهَذَا نَهْيُ تَأْدِيبٍ مِنَ اللَّهِ لِنَبِيِّهِ حِينَ قَالَتِ الْيَهُودُ لِقُرَيْشٍ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، وَعَنْ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، وَذِي الْقَرْنَيْنِ، فَسَأَلُوهُ فَقَالَ: ائْتُونِي غَدًا أُخْبِرْكُمْ وَلَمْ يَسْتَثْنِ، فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ حَتَّى شَقَّ عَلَيْهِ وَكَذَّبَتْهُ قُرَيْشٌ.

﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ﴾[5]، أَيْ: مَشِيئَةَ رَبِّكَ وَقُلْ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ، إِذَا فَرَطَ مِنْكَ نِسْيَانٌ لِذَلِكَ، وَالْمَعْنَى: إِذَا نَسِيتَ كَلِمَةَ الِاسْتِثْنَاءِ ثُمَّ تَنَبَّهْتَ عَلَيْهَا فَتَدَارَكْهَا بِالذِّكْرِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: وَلَوْ بَعْدَ سَنَةٍ مَا لَمْ تَحْنَثْ.

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: وَلَوْ بَعْدَ يَوْمٍ أَوْ أُسْبُوعٍ أَوْ شَهْرٍ أَوْ سَنَةٍ.

وَعَنْ طَاوُسَ: هُوَ عَلَى ثُنَيَاهُ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ، وَعَنِ الْحَسَنِ نَحْوُهُ.

وَعَنْ عَطَاءٍ: يُسْتَثْنَى عَلَى مِقْدَارِ حَلْبِ نَاقَةٍ غَزِيرَةٍ، وَعِنْدَ عَامَّةِ الْفُقَهَاءِ أَنَّهُ لَا أَثَرَ لَهُ فِي الْأَحْكَامِ مَا لَمْ يَكُنْ مَوْصُولًا.

وَيُحْكَى أَنَّهُ بَلَغَ الْمَنْصُورَ أَنَّ أَبَا حَنِيفَةَ خَالَفَ ابْنَ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– فِي الِاسْتِثْنَاءِ الْمُنْفَصِلِ، فَاسْتَحْضَرَهُ لِيُنْكِرَ عَلَيْهِ، فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: هَذَا يَرْجِعُ عَلَيْكَ، إِنَّكَ

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[4] سورة الْكَهْفِ ، الآية.

[5] سورة الْأَعْرَاف، الآية 89.

لَتَأْخُذُ الْبَيْعَةَ بِالْأَيْمَانِ، أَفَتَرْضَى أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ عِنْدِكَ فَيَسْتَثْنُوا فَيَخْرُجُوا عَلَيْكَ؟ فَاسْتَحْسَنَ كَلَامَهُ وَرَضِيَ عَنْهُ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: وَاذْكُرْ رَبَّكَ بِالتَّسْبِيحِ وَالِاسْتِغْفَارِ إِذَا نَسِيتَ كَلِمَةَ الِاسْتِثْنَاءِ، تَشْدِيدًا فِي الْبَعْثِ عَلَى الِاهْتِمَامِ بِهَا.

وَقِيلَ: وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا تَرَكْتَ بَعْضَ مَا أَمَرَكَ بِهِ.

وَقِيلَ: وَاذْكُرْهُ إِذَا اعْتَرَاكَ النِّسْيَانُ لِيُذَكِّرَكَ الْمَنْسِيَّ، وَقَدْ حُمِلَ عَلَى أَدَاءِ الصَّلَاةِ الْمَنْسِيَّةِ عِنْدَ ذِكْرِهَا.

وَ﴿هَذَا﴾[1]: إِشَارَةٌ إِلَى نَبَإِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، وَمَعْنَاهُ: لَعَلَّ اللَّهَ يُؤْتِينِي مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْحُجَجِ عَلَى أَنِّي نَبِيٌّ صَادِقٌ مَا هُوَ أَعْظَمُ فِي الدَّلَالَةِ وَأَقْرَبُ رَشَدًا مِنْ نَبَإِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ، حَيْثُ آتَاهُ مِنْ قَصَصِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْإِخْبَارِ بِالْغُيُوبِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَدَلُّ.

وَالظَّاهِرُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: إِذَا نَسِيتَ شَيْئًا فَاذْكُرْ رَبَّكَ، وَذِكْرُ رَبِّكَ عِنْدَ نِسْيَانِهِ أَنْ تَقُولَ: عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي لِشَيْءٍ آخَرَ بَدَلَ هَذَا الْمَنْسِيِّ أَقْرَبَ مِنْهُ.

﴿رَشَدًا﴾[2]: وَأَدْنَى خَيْرًا وَمَنْفَعَةً، وَلَعَلَّ النِّسْيَانَ كَانَ خِيرَةً، كَقَوْلِهِ: ﴿أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾[3].

﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾[4]

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[2]

[3] سورة الْبَقَرَةُ، الآية **106**.

[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.

﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ﴾[1]، يُرِيدُ: لُبْثَهُمْ فِيهِ أَحْيَاءً مَضْرُوبًا عَلَى آذَانِهِمْ هَذِهِ الْمُدَّةَ، وَهُوَ بَيَانٌ لِمَا أَجْمَلَ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾[2].

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾[3]: أَنَّهُ أَعْلَمُ مِنَ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِمْ بِمُدَّةِ لُبْثِهِمْ، وَالْحَقُّ مَا أَخْبَرَكَ اللَّهُ بِهِ.

وَعَنْ قَتَادَةَ: أَنَّهُ حِكَايَةٌ لِكَلَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ﴾[4]: رَدٌّ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ فِي حَرْفِ عَبْدِ اللَّهِ: وَقَالُوا لَبِثُوا، وَسِنِينَ: عَطْفُ بَيَانٍ لِثَلَاثِمِائَةٍ.

وَقُرِئَ: "ثَلَاثِمَائَةِ سِنِينَ": بِالْإِضَافَةِ، عَلَى وَضْعِ الْجَمْعِ مَوْضِعَ الْوَاحِدِ فِي التَّمْيِيزِ، كَقَوْلِهِ: ﴿بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالا﴾[5]، وَفِي قِرَاءَةِ أُبَيٍّ: "ثَلَاثِمَائَةِ سَنَةٍ".

﴿تِسْعًا﴾[6]: تِسْعُ سِنِينَ، لِأَنَّ مَا قَبْلَهُ يَدُلُّ عَلَيْهِ.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ: "تَسْعًا" بِالْفَتْحِ، ثُمَّ ذَكَرَ اخْتِصَاصَهُ بِمَا غَابَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَفِيَ فِيهَا مِنْ أَحْوَالِ أَهْلِهَا وَمِنْ غَيْرِهَا، وَأَنَّهُ هُوَ وَحْدَهُ الْعَالِمُ بِهِ، وَجَاءَ بِمَا دَلَّ عَلَى التَّعَجُّبِ مِنْ إِدْرَاكِهِ الْمَسْمُوعَاتِ وَالْمُبْصَرَاتِ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ أَمْرَهُ فِي الْإِدْرَاكِ خَارِجٌ عَنْ حَدِّ مَا عَلَيْهِ إِدْرَاكُ السَّامِعِينَ وَالْمُبْصِرِينَ، لِأَنَّهُ يُدْرِكُ أَلْطَفَ الْأَشْيَاءِ وَأَصْغَرَهَا كَمَا يُدْرِكُ أَكْبَرَهَا حَجْمًا وَأَكْثَفَهَا جِرْمًا، وَيُدْرِكُ الْبَوَاطِنَ كَمَا يُدْرِكُ الظَّوَاهِرَ.

﴿مَا لَهُمْ﴾[7]: الضَّمِيرُ: لِأَهْلِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ.

﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾[8]: مِنْ مُتَوَلٍّ لِأُمُورِهِمْ.

﴿وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ﴾[9]: فِي قَضَائِهِ.

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[4] سورة الْكَهْفُ، الآية **103**.

[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[6] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[7] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[8] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[9] سورة الْكَهْفِ، الآية.

﴿أَحَدًا﴾[1]: مِنْهُمْ، وَقَرَأَ الْحَسَنُ: "وَلَا تُشْرِكْ" بِالتَّاءِ وَالْجَزْمِ عَلَى النَّهْيِ.

﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾[2]

كَانُوا يَقُولُونَ لَهُ: ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ، فَقِيلَ لَهُ: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾[3]: مِنَ الْقُرْآنِ وَلَا تَسْمَعْ لِمَا يَهْذُونَ بِهِ مِنْ طَلَبِ التَّبْدِيلِ، فَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ رَبِّكَ، أَيْ: لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى تَبْدِيلِهَا وَتَغْيِيرِهَا.

وَإِنَّمَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ هُوَ وَحْدَهُ، ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةً﴾[4]، ﴿وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾[5]: مُلْتَجَأً تَعْدِلُ إِلَيْهِ إِنْ هَمَمْتَ بِذَلِكَ.

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[6]

وَقَالَ قَوْمٌ مِنْ رُؤَسَاءِ الْكَفَرَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: نَحِّ هَؤُلَاءِ الْمَوَالِيَ الَّذِينَ كَأَنَّ رِيحُهُمْ رِيحُ الضَّأْنِ، وَهُمْ: صُهَيْبٌ وَعَمَّارٌ وَخَبَّابٌ وَغَيْرُهُمْ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى نُجَالِسَكَ، كَمَا قَالَ قَوْمُ نُوحٍ: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ﴾[7]، فَنَزَلَتْ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾[8]: وَاحْبِسْهَا مَعَهُمْ وَثَبِّتْهَا.

قَالَ أَبُو ذُؤَيْبٍ:

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[4] سورة النَّحْلُ، الآية 101.

[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[6] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[7] سورة الشُّعَرَاء، الآية 11.

[8] سورة الْكَهْفِ، الآية.

فَصَبَرْتُ عَارِفَةً لِذَلِكَ حُـــــرَّةً تَرْسُو إِذَا نَفْسُ الْجَبَانِ تَطَلَّعُ

﴿بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾[1]: دَائِبَيْنِ عَلَى الدُّعَاءِ فِي كُلِّ وَقْتٍ.

وَقِيلَ: الْمُرَادُ: صَلَاةُ الْفَجْرِ وَالْعَصْرِ.

وَقُرِئَ: "بِالْغُدْوَةِ"، وَ﴿بِالْغَدَاةِ﴾[2]: أَجْوَدُ، لِأَنَّ غُدْوَةَ عَلَمٌ فِي أَكْثَرِ الِاسْتِعْمَالِ، وَإِدْخَالُ اللَّامِ عَلَى تَأْوِيلِ التَّنْكِيرِ، كَمَا قَالَ:

..... وَالزَّيْدُ زَيْدُ الْمَعَارِكِ

وَنَحْوُهُ قَلِيلٌ فِي كَلَامِهِمْ، يُقَالُ: عَدَاهُ إِذَا جَاوَزَهُ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ، عَدَا طَوْرَهُ، وَجَاءَنِي الْقَوْمُ عَدَا زَيْدًا، وَإِنَّمَا عُدِّيَ بِعَنْ، لِتَضْمِينِ عَدَا مَعْنَى نَبَا وَعَلَا، فِي قَوْلِكَ: نَبَتْ عَنْهُ عَيْنُهُ وَعَلَتْ عَنْهُ عَيْنُهُ: إِذَا اقْتَحَمَتْهُ وَلَمْ تَعْلَقْ بِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: أَيُّ غَرَضٍ فِي هَذَا التَّضْمِينِ؟ وَهَلَّا قِيلَ: وَلَا تَعْدُهُمْ عَيْنَاكَ، أَوْ لَا تَعْلُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ؟

قُلْتُ: الْغَرَضُ فِيهِ: إِعْطَاءُ مَجْمُوعِ مَعْنَيَيْنِ، وَذَلِكَ أَقْوَى مِنْ إِعْطَاءِ مَعْنًى فَذٍّ.

أَلَا تَرَى كَيْفَ رَجَعَ الْمَعْنَى إِلَى قَوْلِكَ: وَلَا تَقْتَحِمْهُمْ عَيْنَاكَ مُجَاوِزَتَيْنِ إِلَى غَيْرِهِمْ؟!

وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾[3]، أَيْ: وَلَا تَضُمُّوهَا إِلَيْهَا آكِلِينَ لَهَا.

وَقُرِئَ: "وَلَا تَعْدُ عَيْنَيْكَ"، "وَلَا تُعْدِ عَيْنَيْكَ": مِنْ أَعْدَاهُ نَقْلًا بِالْهَمْزَةِ وَتَثْقِيلِ الْحَشْوِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ:

فَعُدْ عَمَّا تَرَى إِذْ لَا ارْتِجَاعَ لَهُ. ....

لِأَنَّ مَعْنَاهُ: فَعُدْ هَمَّكَ عَمَّا تَرَى، نَهَى رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنْ يُزْدَرَى بِفُقَرَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنْ تَنْبُوَ عَيْنُهُ عَنْ رَثَاثَةِ زِيِّهِمْ طُمُوحًا إِلَى زِيِّ الْأَغْنِيَاءِ وَحُسْنِ شَارَتِهِمْ.

﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[4]: فِي مَوْضِعِ الْحَالِ.

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[3] سورة النِّسَاء، الآية 22.

[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.

﴿مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ﴾[1]: مَنْ جَعَلْنَا قَلْبَهُ غَافِلًا عَنِ الذِّكْرِ بِالْخِذْلَانِ، أَوْ وَجَدْنَاهُ غَافِلًا عَنْهُ، كَقَوْلِكَ: أَجْبَنْتُهُ وَأَفْحَمْتُهُ وَأَبْخَلْتُهُ، إِذَا وَجَدْتَهُ كَذَلِكَ، أَوْ مِنْ أَغْفَلَ إِبِلَهُ إِذَا تَرَكَهَا بِغَيْرِ سِمَةٍ، أَيْ: لَمْ نَسِمْهُ بِالذِّكْرِ وَلَمْ نَجْعَلْهُمْ مِنَ الَّذِينَ كَتَبْنَا فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ.

وَقَدْ أَبْطَلَ اللَّهُ تَوَهُّمَ الْمُجْبِرَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾[2].

وَقُرِئَ: "أَغْفَلَنَا قَلْبُهُ" بِإِسْنَادِ الْفِعْلِ إِلَى الْقَلْبِ عَلَى مَعْنَى: حَسِبَنَا قَلْبُهُ غَافِلِينَ، مِنْ أَغْفَلْتُهُ إِذَا وَجَدْتُهُ غَافِلًا.

﴿فُرُطًا﴾[3]: مُتَقَدِّمًا لِلْحَقِّ وَالصَّوَابِ، نَابِذًا لَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ مِنْ قَوْلِهِمْ: "فَرَسٌ فَرَطٌ": مُتَقَدِّمٌ لِلْخَيْلِ.

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾[4]

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[5]: الْحَقُّ خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ.

وَالْمَعْنَى: جَاءَ الْحَقُّ وَزَاحَتِ الْعِلَلُ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا اخْتِيَارُكُمْ لِأَنْفُسِكُمْ مَا شِئْتُمْ مِنَ الْأَخْذِ فِي طَرِيقِ النَّجَاةِ أَوْ فِي طَرِيقِ الْهَلَاكِ، وَجِيءَ بِلَفْظِ الْأَمْرِ وَالتَّخْيِيرِ، لِأَنَّهُ لَمَّا مُكِّنَ مِنِ اخْتِيَارِ أَيِّهِمَا شَاءَ، فَكَأَنَّهُ مُخَيَّرٌ مَأْمُورٌ بِأَنْ يَتَخَيَّرَ مَا شَاءَ مِنَ النَّجْدَيْنِ، شَبَّهَ مَا يُحِيطُ بِهِمْ مِنَ النَّارِ بِالسُّرَادِقِ، وَهُوَ الْحُجْرَةُ الَّتِي تَكُونُ حَوْلَ الْفُسْطَاطِ، وَبَيْتٌ مُسَرْدَقٌ: ذُو سُرَادِقٍ.

وَقِيلَ: هُوَ دُخَانٌ يُحِيطُ بِالْكُفَّارِ قَبْلَ دُخُولِهِمُ النَّارَ.

وَقِيلَ: حَائِطٌ مِنْ نَارٍ يُطِيفُ بِهِمْ.

﴿يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾[6]، كَقَوْلِهِ:

.....فَأَعْتَبُوا بِالصَّيْلَمِ

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[6] سورة الْكَهْفِ، الآية.

وَفِيهِ تَهَكُّمٌ، وَالْمُهْلُ: مَا أُذِيبَ مِنْ جَوَاهِرِ الْأَرْضِ، وَقِيلَ: دُرْدِيُّ الزَّيْتِ، ﴿يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾[1]: إِذَا قُدِّمَ لِيُشْرَبَ انْشَوَى الْوَجْهُ مِنْ حَرَارَتِهِ.

عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "هُوَ كَعَكَرِ الزَّيْتِ، فَإِذَا قُرِّبَ إِلَيْهِ سَقَطَتْ فَرْوَةُ وَجْهِهِ"، ﴿بِئْسَ الشَّرَابُ﴾[2]: ذَلِكَ، ﴿وَسَاءَتْ﴾[3]: النَّارُ، ﴿مُرْتَفَقًا﴾[4]: مُتَّكَأً مِنَ الْمَرْفِقِ، وَهَذَا لِمُشَاكَلَةِ قَوْلِهِ: ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾[5]، وَإِلَّا فَلَا ارْتِفَاقَ لِأَهْلِ النَّارِ وَلَا اتِّكَاءَ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ قَوْلِهِ:

إِنِّي أَرِقْتُ فَبِتُّ اللَّيْلَ مُرْتَفِقَـــا كَأَنَّ عَيْنِيَّ فِيهَا الصَّابُ مَذْبُوحُ

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلا أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾[6]

﴿أُولَئِكَ﴾[7]: خَبَرُ إِنَّ، وَ﴿إِنَّا لا نُضِيعُ﴾[8]: اعْتِرَاضٌ، وَلَكَ أَنْ تَجْعَلَ: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾[9] وَ﴿أولئك﴾[10]: خَبَرَيْنِ مَعًا، أَوْ تَجْعَلَ: ﴿أُولَئِكَ﴾[11]: كَلَامًا مُسْتَأْنَفًا بَيَانًا لِلْأَجْرِ الْمُبْهَمِ.

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[6] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[7] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[8] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[9] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[10] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[11] سورة الْكَهْفِ، الآية.

فَإِنْ قُلْتَ: إِذَا جَعَلْتَ: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾[1] خَبَرًا، فَأَيْنَ الضَّمِيرُ الرَّاجِعُ مِنْهُ إِلَى الْمُبْتَدَأِ؟

قُلْتُ: ﴿مَنْ أَحْسَنَ عَمَلا﴾[2]، وَ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾[3]: يَنْتَظِمُهُمَا مَعْنًى وَاحِدٌ، فَقَامَ: ﴿مَنْ أَحْسَنُ﴾[4]: مَقَامَ الضَّمِيرِ، أَوْ أَرَدْتَ: مَنْ أَحْسَنُ عَمَلًا مِنْهُمْ؛ فَكَانَ كَقَوْلِكَ: السَّمْنُ مَنَوَانِ بِدِرْهَمٍ، ﴿مِنْ﴾[5] الْأُولَى لِلِابْتِدَاءِ، وَالثَّانِيَةُ: لِلتَّبْيِينِ، وَتَنْكِيرُ: ﴿أَسَاوِرَ﴾[6]، لِإِبْهَامِ أَمْرِهَا فِي الْحُسْنِ، وَجَمَعَ بَيْنَ السُّنْدُسِ: وَهُوَ مَا رَقَّ مِنَ الدَّيْبَاجِ، وَبَيْنَ الْإِسْتَبْرَقِ: وَهُوَ الْغَلِيظُ مِنْهُ، جَمْعًا بَيْنَ النَّوْعَيْنِ وَخَصَّ الِاتِّكَاءَ، لِأَنَّهُ هَيْئَةُ الْمُنَعَّمِينَ وَالْمُلُوكِ عَلَى أَسِرَّتِهِمْ.

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾[7]

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلا رَجُلَيْنِ﴾[8]، أَيْ: وَمَثِّلْ حَالَ الْكَافِرِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ، بِحَالِ رَجُلَيْنِ وَكَانَا أَخَوَيْنِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ:

– أَحَدُهُمَا: كَافِرٌ اسْمُهُ: قِطْرُوسُ.

– وَالْآخَرُ: مُؤْمِنٌ اسْمُهُ: يَهُوذَا.

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[6] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[7] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[8] سورة الْكَهْفِ، الآية.

وَقِيلَ: هُمَا الْمَذْكُورَانِ فِي سُورَةِ ﴿وَالصَّافَّاتِ﴾[1]، فِي قَوْلِهِ: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾[2]، وَرِثَا مِنْ أَبِيهِمَا ثَمَانِيَةَ آلَافِ دِينَارٍ، فَتَشَاطَرَاهَا، فَاشْتَرَى الْكَافِرُ أَرْضًا بِأَلْفٍ، فَقَالَ الْمُؤْمِنُ: اللَّهُمَّ إِنَّ أَخِي اشْتَرَى أَرْضًا بِأَلْفِ دِينَارٍ، وَأَنَا أَشْتَرِي مِنْكَ أَرْضًا فِي الْجَنَّةِ بِأَلْفٍ، فَتَصَدَّقْ بِهِ، ثُمَّ بَنَى أَخُوهُ دَارًا بِأَلْفٍ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ، إِنِّي أَشْتَرِي مِنْكَ دَارًا فِي الْجَنَّةِ بِأَلْفٍ فَتَصَدَّقَ بِهِ، ثُمَّ تَزَوَّجَ أَخُوهُ امْرَأَةً بِأَلْفٍ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ، إِنِّي جَعَلْتُ أَلْفًا صَدَاقًا لِلْحُورِ، ثُمَّ اشْتَرَى أَخُوهُ خَدَمًا وَمَتَاعًا بِأَلْفٍ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الْوِلْدَانَ الْمُخَلَّدِينَ بِأَلْفٍ، فَتَصَدَّقَ بِهِ، ثُمَّ أَصَابَتْهُ حَاجَةٌ، فَجَلَسَ لِأَخِيهِ عَلَى طَرِيقِهِ، فَمَرَّ بِهِ فِي حَشَمِهِ، فَتَعَرَّضَ لَهُ، فَطَرَدَهُ وَوَبَّخَهُ عَلَى التَّصَدُّقِ بِمَالِهِ.

وَقِيلَ: هُمَا مَثَلٌ لِأَخَوَيْنِ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ: مُؤْمِنٌ وَهُوَ: أَبُو سَلَمَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِّ، وَكَانَ زَوْجَ أُمِّ سَلَمَةَ قَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَكَافِرٌ وَهُوَ: الْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِّ.

﴿جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ﴾[3]: بُسْتَانَيْنِ مِنْ كُرُومٍ.

﴿وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ﴾[4]: وَجَعَلْنَا النَّخْلَ مُحِيطًا بِالْجَنَّتَيْنِ، وَهَذَا مِمَّا يُؤْثِرُهُ الدَّهَاقِينُ فِي كُرُومِهِمْ: أَنْ يَجْعَلُوهَا مُؤَزَّرَةً بِالْأَشْجَارِ الْمُثْمِرَةِ، يُقَالُ: حَفُّوهُ، إِذَا أَطَافُوا بِهِ، وَحَفَفْتُهُ بِهِمْ، أَيْ: جَعَلْتُهُمْ حَافِّينَ حَوْلَهُ، وَهُوَ مُتَعَدٍّ إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ، فَتَزِيدُهُ الْبَاءُ مَفْعُولًا ثَانِيًا، كَقَوْلِكَ: غَشِيَهُ، وَغَشِيتُهُ بِهِ.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾[5]: جَعَلْنَاهَا أَرْضًا جَامِعَةً لِلْأَقْوَاتِ وَالْفَوَاكِهِ، وَوَصَفَ الْعِمَارَةَ بِأَنَّهَا مُتَوَاصِلَةٌ مُتَشَابِكَةٌ لَمْ يَتَوَسَّطْهَا مَا يَقْطَعُهَا وَيَفْصِلُ بَيْنَهَا، مَعَ الشَّكْلِ الْحَسَنِ وَالتَّرْتِيبِ الْأَنِيقِ، وَنَعْتِهِمَا بِوَفَاءِ الثِّمَارِ وَتَمَامِ الْأَكْلِ مِنْ غَيْرِ نَقْصٍ، ثُمَّ بِمَاءٍ وَهُوَ أَصْلُ الْخَيْرِ وَمَادَّتُهُ مِنْ أَمْرِ الشُّرْبِ فَجَعَلَهُ أَفْضَلَ مَا يُسْقَى بِهِ، وَهُوَ السَّيْحُ بِالنَّهْرِ الْجَارِي فِيهَا، وَالْأُكُلُ: الثَّمَرُ.

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.

وَقُرِئَ: بِضَمِّ الْكَافِ، ﴿وَلَمْ تَظْلِمْ﴾[1]: وَلَمْ تَنْقُصْ، وَآتَتْ: حُمِلَ عَلَى اللَّفْظِ، لِأَنَّ ﴿كِلْتَا﴾[2] لَفْظُهُ لَفْظٌ مُفْرَدٌ، وَلَوْ قِيلَ: آتَتَا عَلَى الْمَعْنَى، لَجَازَ.

وَقُرِئَ: "وَفَجَّرْنَا"، عَلَى التَّخْفِيفِ. وَقَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ: "كُلُّ الْجَنَّتَيْنِ آتَى أُكُلَهُ" بِرَدِّ الضَّمِيرِ عَلَى كُلٍّ.

﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ﴾[3]، أَيْ: أَنْوَاعٌ مِنَ الْمَالِ، مِنْ ثَمَرَ مَالُهُ إِذَا كَثُرَ.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ: الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ، أَيْ: كَانَتْ لَهُ إِلَى الْجَنَّتَيْنِ الْمَوْصُوفَتَيْنِ الْأَمْوَالُ الدَّثِرَةُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَغَيْرِهِمَا، وَكَانَ وَافِرَ الْيَسَارِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، مُتَمَكِّنًا مِنْ عِمَارَةِ الْأَرْضِ كَيْفَ شَاءَ.

﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾[4]، يَعْنِي: أَنْصَارًا وَحَشَمًا.

وَقِيلَ: أَوْلَادًا ذُكُورًا، لِأَنَّهُمْ يَنْفِرُونَ مَعَهُ دُونَ الْإِنَاثِ، يُحَاوِرُهُ: يُرَاجِعُهُ الْكَلَامَ، مِنْ حَارَ يَحُورُ إِذَا رَجَعَ، وَسَأَلْتُهُ فَمَا أَحَارَ كَلِمَةً.

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾[5]

يَعْنِي: قَطْرُوسَ أَخَذَ بِيَدِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ يَطُوفُ بِهِ فِي الْجَنَّتَيْنِ وَيُرِيهِ مَا فِيهِمَا وَيُعْجِبُهُ مِنْهُمَا وَيُفَاخِرُهُ بِمَا مَلَكَ مِنَ الْمَالِ دُونَهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَلِمَ أَفْرَدَ الْجَنَّةَ بَعْدَ التَّثْنِيَةِ؟

قُلْتُ: مَعْنَاهُ: وَدَخَلَ مَا هُوَ جَنَّتَهُ مَا لَهُ جَنَّةٌ غَيْرُهَا، يَعْنِي: أَنَّهُ لَا نَصِيبَ لَهُ فِي الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُؤْمِنُونَ، فَمَا مَلَّكَهُ فِي الدُّنْيَا هُوَ جَنَّتُهُ لَا غَيْرُ، وَلَمْ يَقْصِدِ الْجَنَّتَيْنِ وَلَا وَاحِدَةً مِنْهُمَا.

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.

﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾[1]: وَهُوَ مُعْجَبٌ بِمَا أُوتِيَ مُفْتَخِرٌ بِهِ كَافِرٌ لِنِعْمَةِ رَبِّهِ، مُعَرِّضٌ بِذَلِكَ نَفْسَهُ لِسُخْطِ اللَّهِ، وَهُوَ أَفْحَشُ الظُّلْمِ، إِخْبَارُهُ عَنْ نَفْسِهِ بِالشَّكِّ فِي بَيْدُودَةِ جَنَّتِهِ، لِطُولِ أَمَلِهِ وَاسْتِيلَاءِ الْحِرْصِ عَلَيْهِ، وَتَمَادِي غَفْلَتِهِ، وَاغْتِرَارِهِ بِالْمُهْلَةِ، وَإِطْرَاحِهِ النَّظَرَ فِي عَوَاقِبِ أَمْثَالِهِ، وَتَرَى أَكْثَرَ الْأَغْنِيَاءِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَإِنْ لَمْ يُطْلِقُوا بِنَحْوِ هَذَا أَلْسِنَتَهُمْ، فَإِنَّ أَلْسِنَةَ أَحْوَالِهِمْ نَاطِقَةٌ بِهِ مُنَادِيَةٌ عَلَيْهِ: ﴿وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي﴾[2]: إِقْسَامٌ مِنْهُ عَلَى أَنَّهُ إِنْ رُدَّ إِلَى رَبِّهِ عَلَى سَبِيلِ الْفَرْضِ وَالتَّقْدِيرِ وَكَمَا يَزْعُمُ صَاحِبُهُ، لَيَجِدَنَّ فِي الْآخِرَةِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِهِ فِي الدُّنْيَا، تَطَمُّعًا وَتَمَنِّيًا عَلَى اللَّهِ، وَادِّعَاءً لِكَرَامَتِهِ عَلَيْهِ وَمَكَانَتِهِ عِنْدَهُ، وَأَنَّهُ مَا أَوْلَاهُ الْجَنَّتَيْنِ إِلَّا لِاسْتِحْقَاقِهِ وَاسْتِهْلَالِهِ، وَأَنَّ مَعَهُ هَذَا الِاسْتِحْقَاقَ أَيْنَمَا تَوَجَّهَ، كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى﴾[3]، ﴿لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾[4].

وَقُرِئَ: "خَيْرًا مِنْهُمَا" رَدًّا عَلَى الْجَنَّتَيْنِ.

﴿مُنْقَلَبًا﴾[5]: مَرْجِعًا وَعَاقِبَةً، وَانْتِصَابُهُ عَلَى التَّمْيِيزِ، أَيْ: مُنْقَلَبُ تِلْكَ خَيْرٌ مِنْ مُنْقَلَبِ هَذِهِ، لِأَنَّهَا فَانِيَةٌ وَتِلْكَ بَاقِيَةٌ.

﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾[6]

﴿خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ﴾[7]، أَيْ: خَلَقَ أَصْلَكَ، لِأَنَّ خَلْقَ أَصْلِهِ سَبَبٌ فِي خَلْقِهِ، فَكَانَ خَلْقُهُ خَلْقًا لَهُ.

﴿سَوَّاكَ﴾[8]: عَدَلَكَ وَكَمَّلَكَ إِنْسَانًا ذَكَرًا بَالِغًا مَبْلَغَ الرِّجَالِ، جَعَلَهُ كَافِرًا بِاللَّهِ جَاحِدًا لِأَنْعُمِهِ لِشَكِّهِ فِي الْبَعْثِ، كَمَا يَكُونُ الْمُكَذِّبُ بِالرَّسُولِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– كَافِرًا.

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[3] سورة فُصِّلَتْ، الآية 50.
[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[6] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[7] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[8] سورة الْكَهْفِ، الآية.

﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾[1]

﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾[2]: أَصْلُهُ: لَكِنْ أَنَا، فَحُذِفَتِ الْهَمْزَةُ وَأُلْقِيَتْ حَرَكَتُهَا عَلَى نُونِ لَكِنْ، فَتَلَاقَتِ النُّونَانِ فَكَانَ الْإِدْغَامُ، وَنَحْوُهُ قَوْلُ الْقَائِلِ:

وَتَرْمِينَنِي بِالطَّرْفِ أَيْ أَنْتَ مُذْنِبٌ... وَتَقْلِينَنِي لَكِنَّ إِيَّاكِ لا أَقْلِي

أَيْ: لَكِنْ أَنَا لَا أَقْلِيكِ، وَهُوَ ضَمِيرُ الشَّأْنِ، وَالشَّأْنُ اللَّهُ رَبِّي، وَالْجُمْلَةُ خَبَرُ أَنَا، وَالرَّاجِعُ مِنْهَا إِلَيْهِ: يَاءُ الضَّمِيرِ.

وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ بِإِثْبَاتِ أَلِفِ أَنَا فِي الْوَصْلِ وَالْوَقْفِ جَمِيعًا، وَحَسَّنَ ذَلِكَ وُقُوعُ الْأَلِفِ عِوَضًا مِنْ حَذْفِ الْهَمْزَةِ، وَغَيْرُهُ لَا يُثْبِتُهَا إِلَّا فِي الْوَقْفِ.

وَعَنْ أَبِي عَمْرٍو أَنَّهُ وَقَفَ بِالْهَاءِ: لَكِنَّهُ.

وَقُرِئَ: "لَكِنْ هُوَ اللَّهُ رَبِّي": بِسُكُونِ النُّونِ وَطَرْحِ أَنَا.

وَقَرَأَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ "لَكِنْ أَنَا": عَلَى الْأَصْلِ، وَفِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ: لَكِنْ أَنَا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبِّي.

فَإِنْ قُلْتَ: هُوَ اسْتِدْرَاكٌ لِمَاذَا؟

قُلْتُ: لِقَوْلِهِ: ﴿أَكَفَرْتَ﴾[3]، قَالَ لِأَخِيهِ: أَنْتَ كَافِرٌ بِاللَّهِ، لَكِنِّي مُؤْمِنٌ مُوَحِّدٌ، كَمَا تَقُولُ: زَيْدٌ غَائِبٌ، لَكِنَّ عَمْرًا حَاضِرٌ.

﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالا وَوَلَدًا فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾[4]

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.

﴿مَا شَاءَ اللَّهُ﴾[1]: يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ ﴿مَا﴾[2]: مَوْصُولَةً مَرْفُوعَةَ الْمَحَلِّ عَلَى أَنَّهَا خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: الْأَمْرُ مَا شَاءَ اللَّهُ، أَوْ شَرْطِيَّةً مَنْصُوبَةَ الْمَوْضِعِ وَالْجَزَاءُ مَحْذُوفٌ، بِمَعْنَى: أَيَّ شَيْءٍ شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَنَظِيرُهَا فِي حَذْفِ الْجَوَابِ ﴿لَوْ﴾[3] فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾[4].

وَالْمَعْنَى: هَلَّا قُلْتَ عِنْدَ دُخُولِهَا وَالنَّظَرِ إِلَى مَا رَزَقَكَ اللَّهُ مِنْهَا: الْأَمْرُ مَا شَاءَ اللَّهُ، اعْتِرَافًا بِأَنَّهَا وَكُلَّ خَيْرٍ فِيهَا إِنَّمَا حَصَلَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ، وَأَنَّ أَمْرَهَا بِيَدِهِ: إِنْ شَاءَ تَرَكَهَا عَامِرَةً، وَإِنْ شَاءَ خَرَّبَهَا؟!

وَقُلْتَ: ﴿لا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ﴾[5]، إِقْرَارًا بِأَنَّ مَا قَوِيتَ بِهِ عَلَى عِمَارَتِهَا وَتَدْبِيرِ أَمْرِهَا إِنَّمَا هُوَ بِمَعُونَتِهِ وَتَأْيِيدِهِ، إِذْ لَا يَقْوَى أَحَدٌ فِي بَدَنِهِ وَلَا فِي مِلْكِ يَدِهِ إِلَّا بِاللَّهِ –تَعَالَى–.

وَعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّهُ كَانَ يُثْلِمُ حَائِطَهُ أَيَّامَ الرَّطْبِ، فَيُدْخِلُ مَنْ شَاءَ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَهُ رَدَّدَ هَذِهِ الْآيَةَ حَتَّى يَخْرُجَ.

مَنْ قَرَأَ "أَقَلَّ": بِالنَّصْبِ، فَقَدْ جَعَلَ أَنَا فَصْلًا، وَمَنْ رَفَعَ جَعَلَهُ مُبْتَدَأً وَأَقَلُّ خَبَرُهُ، وَالْجُمْلَةُ مَفْعُولًا ثَانِيًا لِتَرَنِي.

وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَوَلَدًا﴾[6]، نُصْرَةٌ لِمَنْ فَسَّرَ النَّفَرَ بِالْأَوْلَادِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾[7].

وَالْمَعْنَى: إِنْ تَرَنِي أَفْقَرَ مِنْكَ فَأَنَا أَتَوَقَّعُ مِنْ صُنْعِ اللَّهِ أَنْ يَقْلِبَ مَا بِي وَمَا بِكَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْغِنَى، فَيَرْزُقَنِي لِإِيمَانِي جَنَّةً، ﴿خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ﴾[8]: وَيَسْلُبُكَ لِكُفْرِكَ نِعْمَتَهُ وَيُخَرِّبُ بُسْتَانَكَ، وَالْحُسْبَانُ: مَصْدَرٌ كَالْغُفْرَانِ وَالْبُطْلَانِ، بِمَعْنَى: الْحِسَابِ، أَيْ: مِقْدَارًا قَدَّرَهُ اللَّهُ وَحَسَبَهُ، وَهُوَ الْحُكْمُ بِتَخْرِيبِهَا.

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: عَذَابُ حُسْبَانٍ، وَذَلِكَ الْحُسْبَانُ حِسَابُ مَا كَسَبَتْ يَدَاكَ.

وَقِيلَ: حُسْبَانًا مَرَامِيَ الْوَاحِدَةُ حُسْبَانَةٌ، وَهِيَ الصَّوَاعِقُ.

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[6] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[7] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[8] سورة الْكَهْفِ، الآية.

﴿صَعِيدًا زَلَقًا﴾[1]: أَرْضًا بَيْضَاءَ يُزْلَقُ عَلَيْهَا لِمَلَاسَتِهَا زَلَقًا، وَ﴿غَوْرًا﴾[2]: كِلَاهُمَا وَصْفٌ بِالْمَصْدَرِ.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا﴾[3]

﴿وَأُحِيطَ﴾[4]: بِهِ عِبَارَةٌ عَنْ إِهْلَاكِهِ، وَأَصْلُهُ مِنْ أَحَاطَ بِهِ الْعَدُوُّ، لِأَنَّهُ إِذَا أَحَاطَ بِهِ، فَقَدْ مَلَّكَهُ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتُعْمِلَ فِي كُلِّ إِهْلَاكٍ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿إِلاَّ أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾[5]، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُمْ: أَتَى عَلَيْهِ، إِذَا أَهْلَكَهُ، مِنْ أَتَى عَلَيْهِمُ الْعَدُوُّ: إِذَا جَاءَهُمْ مُسْتَعْلِيًا عَلَيْهِمْ، وَتَقْلِيبُ الْكَفَّيْنِ: كِنَايَةٌ عَنِ النَّدَمِ وَالتَّحَسُّرِ، لِأَنَّ النَّادِمَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ ظَهْرًا لِبَطْنٍ، كَمَا كَنَّى عَنْ ذَلِكَ بَعْضُ الْكَفِّ وَالسُّقُوطُ فِي الْيَدِ، وَلِأَنَّهُ فِي مَعْنَى النَّدَمِ عَدَّى تَعْدِيَتَهُ بِعَلَى، كَأَنَّهُ قِيلَ: "فَأَصْبَحَ يَنْدَمُ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا"، أَيْ: أَنْفَقَ فِي عِمَارَتِهَا.

﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾[6]، يَعْنِي: أَنَّ كُرُومَهَا الْمُعَرَّشَةَ سَقَطَتْ عُرُوشُهَا عَلَى الْأَرْضِ، وَسَقَطَتْ فَوْقَهَا الْكُرُومُ.

قِيلَ: أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهَا نَارًا فَأَكَلَتْهَا.

﴿لَيْتَنِي﴾[7]: تَذَكَّرَ مَوْعِظَةَ أَخِيهِ، فَعَلِمَ أَنَّهُ أَتَى مِنْ جِهَةِ شِرْكِهِ وَطُغْيَانِهِ، فَتَمَنَّى لَوْ لَمْ يَكُنْ مُشْرِكًا حَتَّى لَا يُهْلِكَ اللَّهُ بُسْتَانَهُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَوْبَةً مِنَ الشِّرْكِ، وَنَدَمًا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ، وَدُخُولًا فِي الْإِيمَانِ.

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[5] سورة يُوسُفُ، الآية 66.
[6] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[7] سورة الْكَهْفِ، الآية.

وَقُرِئَ: "وَلَمْ يَكُنْ" بِالْيَاءِ وَالتَّاءِ، وَحُمِلَ يَنْصُرُونَهُ": عَلَى الْمَعْنَى دُونَ اللَّفْظِ، كَقَوْلِهِ: ﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ﴾[1].

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[2]؟

قُلْتُ: مَعْنَاهُ: يَقْدِرُونَ عَلَى نُصْرَتِهِ مِنْ دُونِ اللَّهِ، أَيْ: هُوَ وَحْدَهُ الْقَادِرُ عَلَى نُصْرَتِهِ، لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ غَيْرُهُ أَنْ يَنْصُرَهُ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَنْصُرْهُ لِصَارِفٍ وَهُوَ اسْتِيجَابُهُ أَنْ يُخْذَلَ.

﴿وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا﴾[3]: وَمَا كَانَ مُمْتَنِعًا بِقُوَّتِهِ عَنِ انْتِقَامِ اللَّهِ.

﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾[4]

﴿الْوَلَايَةُ﴾[5]: بِالْفَتْحِ النُّصْرَةُ وَالتَّوَلِّي، وَبِالْكَسْرِ: السُّلْطَانُ وَالْمُلْكُ، وَقَدْ قُرِئَ بِهِمَا.

وَالْمَعْنَى: هُنَالِكَ، أَيْ: فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ وَتِلْكَ الْحَالِ النُّصْرَةُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، لَا يَمْلِكُهَا غَيْرُهُ، وَلَا يَسْتَطِيعُهَا أَحَدٌ سِوَاهُ، تَقْرِيرًا لِقَوْلِهِ: ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[6]، أَوْ: هُنَالِكَ السُّلْطَانُ وَالْمُلْكُ لِلَّهِ لَا يُغْلَبُ وَلَا يُمْتَنَعُ مِنْهُ، أَوْ فِي مِثْلِ تِلْكَ الْحَالِ الشَّدِيدَةِ يَتَوَلَّى اللَّهُ وَيُؤْمِنُ بِهِ كُلُّ مُضْطَرٍّ.

يَعْنِي أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾[7]: كَلِمَةٌ أُلْجِئَ إِلَيْهَا فَقَالَهَا جَزَعًا مِمَّا دَهَاهُ مِنْ شُؤْمِ كُفْرِهِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَقُلْهَا.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ يَنْصُرُ فِيهَا أَوْلِيَاءَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْكَفَرَةِ وَيَنْتَقِمُ لَهُمْ، وَيَشْفِي صُدُورَهُمْ مِنْ أَعْدَائِهِمْ، يَعْنِي: أَنَّهُ نَصَرَ فِيمَا فَعَلَ بِالْكَافِرِ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ،

---

[1] سورة آلُ عِمْرَانَ، الآية **13**.

[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[6] سورة الْكَهْفُ، الآية **43**.

[7] سورة الْكَهْفِ، الآية.

وَصَدَقَ قَوْلُهُ: ﴿فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ﴾[1]، وَيُعَضِّدُهُ قَوْلُهُ: ﴿خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾[2]، أَيْ: لِأَوْلِيَائِهِ.

وَقِيلَ: ﴿هُنَالِكَ﴾[3]: إِشَارَةٌ إِلَى الْآخِرَةِ، أَيْ: فِي تِلْكَ الدَّارِ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾[4].

وَقُرِئَ: ﴿الْحَقُّ﴾[5]: بِالرَّفْعِ وَالْجَرِّ صِفَةً لِلْوَلَايَةُ وَاللَّهِ.

وَقَرَأَ عَمْرُو بْنُ عَبِيدٍ بِالنَّصْبِ عَلَى التَّأْكِيدِ، كَقَوْلِكَ: هَذَا عَبْدُ اللَّهِ الْحَقَّ لَا الْبَاطِلَ، وَهِيَ قِرَاءَةٌ حَسَنَةٌ فَصِيحَةٌ، وَكَانَ عَمْرُو بْنُ عَبِيدٍ مِنْ أَفْصَحِ النَّاسِ وَأَنْصَحِهِمْ.

وَقُرِئَ: "عُقُبًا": بِضَمِّ الْقَافِ وَسُكُونِهَا، وَعُقْبَى عَلَى فُعْلَى، وَكُلُّهَا بِمَعْنَى الْعَاقِبَةِ.

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾[6]

﴿فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾[7]: فَالْتَفَّ بِسَبَبِهِ وَتَكَاثَفَ حَتَّى خَالَطَ بَعْضُهُ بَعْضًا.

وَقِيلَ: نَجَعَ فِي النَّبَاتِ الْمَاءَ فَاخْتَلَطَ بِهِ حَتَّى رَوَى وَرَفَّ رَفِيفًا، وَكَانَ حَقُّ اللَّفْظِ عَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ: فَاخْتَلَطَ بِنَبَاتِ الْأَرْضِ.

وَوَجْهُ صِحَّتِهِ: أَنَّ كُلَّ مُخْتَلِطَيْنِ مَوْصُوفٌ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِصِفَةِ صَاحِبِهِ، وَالْهَشِيمُ: مَا تَهَشَّمَ وَتَحَطَّمَ، الْوَاحِدَةُ هَشِيمَةٌ.

وَقُرِئَ: "تَذْرُوهُ الرِّيحُ".

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[6] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[7] سورة الْكَهْفِ، الآية.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: "تُذْرِيهِ الرِّيَاحُ"، مِنْ أَذْرَى: شَبَّهَ حَالَ الدُّنْيَا فِي نَضْرَتِهَا وَبَهْجَتِهَا وَمَا يَتَعَقَّبُهَا مِنَ الْهَلَاكِ وَالْفَنَاءِ، بِحَالِ النَّبَاتِ يَكُونُ أَخْضَرَ وَارِفًا، ثُمَّ يَهِيجُ، فَتُطَيِّرُهُ الرِّيَاحُ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾[1]: مِنَ الْإِنْشَاءِ وَالْإِفْنَاءِ: ﴿مُقْتَدِرًا﴾[2].

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[3]

﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾[4]: أَعْمَالُ الْخَيْرِ الَّتِي تَبْقَى ثَمَرَتُهَا لِلْإِنْسَانِ، وَتَفْنَى عَنْهُ كُلُّ مَا تَطْمَحُ إِلَيْهِ نَفْسُهُ مِنْ حُظُوظِ الدُّنْيَا.

وَقِيلَ: هِيَ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ.

وَقِيلَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ.

وَعَنْ قَتَادَةَ: كُلُّ مَا أُرِيدَ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ.

﴿خَيْرٌ﴾[5]، ﴿ثَوَابًا﴾[6]، أَيْ: مَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنَ الثَّوَابِ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنَ الْأَمَلِ، لِأَنَّ صَاحِبَهَا يَأْمُلُ فِي الدُّنْيَا ثَوَابَ اللَّهِ، وَيُصِيبُهُ فِي الْآخِرَةِ.

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾[7]

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[6] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[7] سورة الْكَهْفِ، الآية.

قُرِئَ: "تُسَيَّرُ": مِنْ سُيِّرَتْ.

وَ﴿نُسَيِّرُ﴾[1] مِنْ سَيَّرْنَا، وَ"تَسِيرُ" مِنْ سَارَتْ، أَيْ: تَسِيرُ فِي الْجَوِّ، أَوْ يَذْهَبُ بِهَا، بِأَنْ تُجْعَلَ هَبَاءً مُنْبَثًّا.

وَقُرِئَ: "وَتُرَى الْأَرْضُ" عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ.

﴿بَارِزَةً﴾[2]: لَيْسَ عَلَيْهَا مَا يَسْتُرُهَا مِمَّا كَانَ عَلَيْهَا، ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾[3]: وَجَمَعْنَاهُمْ إِلَى الْمَوْقِفِ.

وَقُرِئَ: "فَلَمْ نُغَادِرْ" بِالنُّونِ وَالْيَاءِ، يُقَالُ: غَادَرَهُ وَأَغْدَرَهُ: إِذَا تَرَكَهُ، وَمِنْهُ الْغَدْرُ: تَرْكُ الْوَفَاءِ، وَالْغَدِيرُ: مَا غَادَرَهُ السَّيْلُ، وَشُبِّهَتْ حَالُهُمْ بِحَالِ الْجُنْدِ الْمَعْرُوضِينَ عَلَى السُّلْطَانِ.

﴿صَفًّا﴾[4]: مُصْطَفِّينَ ظَاهِرِينَ، يُرَى جَمَاعَتُهُمْ كَمَا يُرَى كُلُّ وَاحِدٍ لَا يَحْجُبُ أَحَدٌ أَحَدًا.

﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾[5]، أَيْ: قُلْنَا لَهُمْ: لَقَدْ جِئْتُمُونَا، وَهَذَا الْمُضْمَرُ هُوَ عَامِلُ النَّصْبِ فِي يَوْمَ نُسَيِّرُ، وَيَجُوزُ أَنْ يُنْصَبَ بِإِضْمَارِ اذْكُرْ.

وَالْمَعْنَى: لَقَدْ بَعَثْنَاكُمْ كَمَا أَنْشَأْنَاكُمْ ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[6].

وَقِيلَ: جِئْتُمُونَا عُرَاةً لَا شَيْءَ مَعَكُمْ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلًا، كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى﴾[7].

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ جِيءَ بِحَشَرْنَاهُمْ مَاضِيًا بَعْدَ نُسَيِّرُ وَتَرَى؟

قُلْتُ: لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ حَشْرَهُمْ قَبْلَ التَّسْيِيرِ وَقَبْلَ الْبُرُوزِ، لِيُعَايِنُوا تِلْكَ الْأَهْوَالَ الْعِظَامَ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَحَشَرْنَاهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ.

﴿مَوْعِدًا﴾[8]: وَقْتًا لِإِنْجَازِ مَا وُعِدْتُمْ عَلَى أَلْسِنَةِ الْأَنْبِيَاءِ مِنَ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ.

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[6] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[7] سورة الْأَنْعَامُ، الآية 94.

[8] سورة الْكَهْفِ، الآية.

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابُ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[1]

﴿الْكِتَابُ﴾[2]: لِلْجِنْسِ وَهُوَ صُحُفُ الْأَعْمَالِ.

﴿يَا وَيْلَتَنَا﴾[3]: يُنَادُونَ هَلَكَتَهُمُ الَّتِي هَلِكُوهَا خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ الْهَلَكَاتِ، ﴿صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً﴾[4]: هِنَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً، وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنِ الْإِحَاطَةِ، يَعْنِي: لَا يَتْرُكُ شَيْئًا مِنَ الْمَعَاصِي إِلَّا أَحْصَاهُ، أَيْ: أَحْصَاهَا كُلَّهَا، كَمَا تَقُولُ: مَا أَعْطَانِي قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا، لِأَنَّ الْأَشْيَاءَ إِمَّا صِغَارٌ وَإِمَّا كِبَارٌ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ: وَإِمَّا كَانَ عِنْدَهُمْ صَغَائِرُ وَكَبَائِرُ.

وَقِيلَ: لَمْ يَجْتَنِبُوا الْكَبَائِرَ فَكُتِبَتْ عَلَيْهِمُ الصَّغَائِرُ وَهِيَ الْمُنَاقَشَةُ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: الصَّغِيرَةُ: التَّبَسُّمُ، وَالْكَبِيرَةُ: الْقَهْقَهَةُ.

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: الصَّغِيرَةُ: الْمَسِيسُ، وَالْكَبِيرَةُ: الزِّنَا.

وَعَنِ الْفُضَيْلِ: كَانَ إِذَا قَرَأَهَا قَالَ: ضَجُّوا وَاللَّهِ مِنَ الصَّغَائِرِ قَبْلَ الْكَبَائِرِ.

﴿إِلاَّ أَحْصَاهَا﴾[5]: إِلَّا ضَبَطَهَا وَحَصَرَهَا.

﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾[6]: فِي الصُّحُفِ: عَتِيدًا، أَوْ جَزَاءَ مَا عَمِلُوا.

﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[7]: فَيَكْتُبَ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَعْمَلْ، أَوْ يَزِيدَ فِي عِقَابِ الْمُسْتَحِقِّ، أَوْ يُعَذِّبَهُ بِغَيْرِ جُرْمٍ، كَمَا يَزْعُمُ مَنْ ظَلَّمَ اللَّهَ فِي تَعْذِيبِ أَطْفَالِ الْمُشْرِكِينَ بِذُنُوبِ آبَائِهِمْ.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلا مَا

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[6] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[7] سورة الْكَهْفِ، الآية.

أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[1]

(كَانوا): كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ، جَارٍ مَجْرَى التَّقْلِيلِ بَعْدَ اسْتِثْنَاءِ إِبْلِيسَ مِنَ السَّاجِدِينَ، كَأَنَّ قَائِلًا قَالَ: مَا لَهُ لَمْ يَسْجُدْ؟ فَقِيلَ: كَانَ مِنَ الْجِنِّ.

﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾[2]: وَالْفَاءُ لِلتَّسْبِيبِ أَيْضًا جَعَلَ كَوْنَهُ مِنَ الْجِنِّ سَبَبًا فِي فِسْقِهِ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مَلَكًا كَسَائِرِ مَنْ سَجَدَ لِآدَمَ لَمْ يَفْسُقْ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ، لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ مَعْصُومُونَ الْبَتَّةَ، لَا يَجُوزُ عَلَيْهِمْ مَا يَجُوزُ عَلَى الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، كَمَا قَالَ: ﴿لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[3].

وَهَذَا الْكَلَامُ الْمُعْتَرِضُ تَعَمُّدٌ مِنَ اللَّهِ –تَعَالَى– لِصِيَانَةِ الْمَلَائِكَةِ عَنْ وُقُوعِ شُبْهَةٍ فِي عِصْمَتِهِمْ، فَمَا أَبْعَدَ الْبَوْنَ بَيْنَ مَا تَعَمَّدَهُ اللَّهُ، وَبَيْنَ قَوْلِ مَنْ ضَادَّهُ وَزَعَمَ أَنَّهُ كَانَ مَلَكًا وَرَئِيسًا عَلَى الْمَلَائِكَةِ، فَعَصَى، فَلُعِنَ وَمُسِخَ شَيْطَانًا، ثُمَّ وَزَّكَهُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَمَعْنَى: (فِسْقٌ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ): خَرَجَ عَمَّا أَمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ مِنَ السُّجُودِ.

قَالَ:

فَوَاسِقًا عَنْ قَصْدِهَا جَوَائِرَا

أَوْ صَارَ فَاسِقًا كَافِرًا بِسَبَبِ أَمْرِ رَبِّهِ الَّذِي هُوَ قَوْلُهُ: ﴿اسْجُدُوا لآدَمَ﴾[4]، ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ﴾[5]: الْهَمْزَةُ: لِلْإِنْكَارِ وَالتَّعْجِيبِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: أَعَقِيبَ مَا وُجِدَ مِنْهُ تَتَّخِذُونَهُ، ﴿وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾[6]: وَتَسْتَبْدِلُونَهُمْ بِي، بِئْسَ الْبَدَلُ مِنَ اللَّهِ إِبْلِيسُ لِمَنِ اسْتَبْدَلَهُ، فَأَطَاعَهُ بَدَلَ طَاعَتِهِ، ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ﴾[7].

وَقُرِئَ: "مَا أَشْهَدْنَاهُمْ"، يَعْنِي: أَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمُوهُمْ شُرَكَاءَ لِي فِي الْعِبَادَةِ، وَإِنَّمَا كَانُوا يَكُونُونَ شُرَكَاءَ فِيهَا لَوْ كَانُوا شُرَكَاءَ فِي الْإِلَهِيَّةِ، فَنَفَى مُشَارَكَتَهُمْ فِي الْإِلَهِيَّةِ بِقَوْلِهِ: ﴿مَا

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[3] سورة الْأَنْبِيَاءُ، الآية 27.

[4] سورة الْبَقَرَة، الآية 34.

[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[6] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[7] سورة الْكَهْفِ، الآية.

﴿أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[1]: لِأَعْتَضِدَ بِهِمْ فِي خَلْقِهَا، ﴿وَلا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ﴾[2]، أَيْ: وَلَا أَشْهَدْتُ بَعْضَهُمْ خَلْقَ بَعْضٍ كَقَوْلِهِ: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾[3].

﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ﴾[4]، بِمَعْنَى: وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَهُمْ، ﴿عَضُدًا﴾[5]، أَيْ: أَعْوَانًا، فَوَضَعَ الْمُضِلِّينَ مَوْضِعَ الضَّمِيرِ ذَمًّا لَهُمْ بِالْإِضْلَالِ، فَإِذَا لَمْ يَكُونُوا عَضُدًا لِي فِي الْخَلْقِ، فَمَا لَكُمْ تَتَّخِذُونَهُمْ شُرَكَاءَ لِي فِي الْعِبَادَةِ؟

وَقُرِئَ: "وَمَا كُنْتَ" بِالْفَتْحِ: الْخِطَابُ لِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

وَالْمَعْنَى: وَمَا صَحَّ لَكَ الِاعْتِضَادُ بِهِمْ، وَمَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْتَزَّ بِهِمْ.

وَقَرَأَ عَلِيٌّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: "وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذًا الْمُضِلِّينَ" بِالتَّنْوِينِ عَلَى الْأَصْلِ.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ: "عُضْدًا" بِسُكُونِ الضَّادِ، وَنَقْلِ ضَمَّتِهَا إِلَى الْعَيْنِ.

وَقُرِئَ: "عَضْدًا" بِالْفَتْحِ وَسُكُونِ الضَّادِ، وَ"عُضُدًا" بِضَمَّتَيْنِ، وَ"عَضَدًا": بِفَتْحَتَيْنِ: جَمْعُ عَاضِدٍ، كَخَادِمٍ وَخَدَمٍ، وَرَاصِدٍ وَرَصَدٍ، وَمِنْ عَضَّدَهُ: إِذَا قَوَّاهُ وَأَعَانَهُ.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾[6]

﴿يَقُولُ﴾[7]: بِالْيَاءِ وَالنُّونِ، وَإِضَافَةُ الشُّرَكَاءِ إِلَيْهِ عَلَى زَعْمِهِمْ: تَوْبِيخًا لَهُمْ وَأَرَادَ الْجِنَّ، وَالْمَوْبِقُ: الْمَهْلِكُ، مِنْ وَبَقَ يَبِقُ وُبُوقًا، وَوَبِقَ يَوْبَقُ وَبَقًا: إِذَا هَلَكَ، وَأَوْبَقَهُ غَيْرُهُ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرًا كَالْمَوْرِدِ وَالْمَوْعِدِ، يَعْنِي: وَجَعَلَنَا بَيْنَهُمْ وَادِيًا مِنْ أَوْدِيَةِ جَهَنَّمَ هُوَ مَكَانُ الْهَلَاكِ وَالْعَذَابِ الشَّدِيدِ مُشْتَرَكًا يَهْلَكُونَ فِيهِ جَمِيعًا.

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[3] سورة النِّسَاء، الآية 29.

[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[6] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[7] سورة الْكَهْفِ، الآية.

وَعَنِ الْحَسَنِ: ﴿مَوْبِقًا﴾[1]: عَدَاوَةً، وَالْمَعْنَى: عَدَاوَةً هِيَ فِي شِدَّتِهَا هَلَاكٌ، كَقَوْلِهِ: لَا يَكُنْ حُبُّكَ كَلَفًا، وَلَا بُغْضُكَ تَلَفًا، وَقَالَ الْفَرَّاءُ: الْبَيْنُ: الْوَصْلُ، أَيْ: وَجَعَلْنَا تَوَاصُلَهُمْ فِي الدُّنْيَا هَلَاكًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ: الْمَلَائِكَةَ، وَعُزَيْرًا، وَعِيسَى، وَمَرْيَمَ، وَبِالْمَوْبِقِ: الْبَرْزَخُ الْبَعِيدُ، أَيْ: وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ أَمَدًا بَعِيدًا تَهْلَكُ فِيهِ الْأَشْوَاطُ لِفَرْطِ بُعْدِهِ، لِأَنَّهُمْ فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ، وَهُمْ فِي أَعْلَى الْجِنَانِ.

﴿فَظَنُّوا﴾[2]: فَأَيْقَنُوا، ﴿مُوَاقِعُوهَا﴾[3]: مُخَالِطُوهَا وَاقِعُونَ فِيهَا، "مَصْرِفًا": مَعْدِلًا.

قَالَ:

أَزُهَيْرُ هَلْ عَنْ شَيْبَةٍ مِنْ مَصْرِفِ.....

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[4]

﴿أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلا﴾[5]: أَكْثَرَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَتَأَتَّى مِنْهَا الْجَدَلُ إِنْ فَصَّلْتَهَا وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ، خُصُومَةً وَمُمَارَاةً بِالْبَاطِلِ، وَانْتِصَابُ ﴿جَدَلًا﴾[6] عَلَى التَّمْيِيزِ، يَعْنِي: أَنَّ جَدَلَ الْإِنْسَانِ أَكْثَرُ مِنْ جَدَلِ كُلِّ شَيْءٍ، وَنَحْوُهُ: ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾.[7]

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾[8]

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[6] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[7] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[8] سورة الْكَهْفِ، الآية.

﴿أَنْ﴾[1]: الْأُولَى: نَصْبٌ، وَالثَّانِيَةُ: رَفْعٌ، وَقَبْلَهَا مُضَافٌ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ﴾[2]: الْإِيمَانَ وَالِاسْتِغْفَارَ، ﴿إِلَّا﴾[3]: انْتِظَارُ.

﴿أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾[4]: وَهِيَ الْإِهْلَاكُ، ﴿أَوْ﴾[5]: انْتِظَارُ أَنْ ﴿يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ﴾[6]، يَعْنِي: عَذَابَ الْآخِرَةِ، ﴿قُبُلًا﴾[7]: عِيَانًا.

وَقُرِئَ: "قِبَلًا": أَنْوَاعًا: جَمْعُ قَبِيلٍ، وَ"قَبَلًا": بِفَتْحَتَيْنِ: مُسْتَقْبَلًا.

﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا﴾[8]

﴿لِيُدْحِضُوا﴾[9]: لِيُزِيلُوا وَيُبْطِلُوا، مِنْ إِدْحَاضِ الْقَدَمِ وَهُوَ إِزْلَاقُهَا وَإِزَالَتُهَا عَنْ مَوْطِئِهَا.

﴿وَمَا أُنْذِرُوا﴾[10]: يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ ﴿مَا﴾[11]: مَوْصُولَةً، وَيَكُونَ الرَّاجِعُ مِنَ الصِّلَةِ مَحْذُوفًا، أَيْ: وَمَا أُنْذِرُوهُ مِنَ الْعَذَابِ، أَوْ مَصْدَرِيَّةً بِمَعْنَى: وَإِنْذَارَهُمْ.

وَقُرِئَ: "هُزْأً": بِالسُّكُونِ، أَيْ: اتَّخَذُوهَا مَوْضِعَ اسْتِهْزَاءٍ، وَجِدَالُهُمْ: قَوْلُهُمْ لِلرُّسُلِ: ﴿مَا أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأنزَلَ مَلَائِكَةً﴾[12]، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[6] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[7] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[8] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[9] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[10] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[11] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[12] سورة الْمُؤْمِنُونَ، الآية 24.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾[1]

﴿بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾[2]: بِالْقُرْآنِ، وَلِذَلِكَ رَجَعَ إِلَيْهَا الضَّمِيرُ مُذَكَّرًا فِي قَوْلِهِ: ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾[3]، ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾[4]: فَلَمْ يَتَذَكَّرْ حِينَ ذُكِّرَ وَلَمْ يَتَدَبَّرْ.

﴿وَنَسِيَ﴾[5]: عَاقِبَةَ، ﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾[6]: مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، غَيْرَ مُفَكِّرٍ فِيهَا وَلَا نَاظِرٍ فِي أَنَّ الْمُسِيءَ وَالْمُحْسِنَ لَا بُدَّ لَهُمَا مِنْ جَزَاءٍ، ثُمَّ عَلَّلَ إِعْرَاضَهُمْ وَنِسْيَانَهُمْ بِأَنَّهُمْ مَطْبُوعٌ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَجَمَعَ بَعْدَ الْإِفْرَادِ حَمْلًا عَلَى لَفْظِ مَنْ، وَمَعْنَاهُ: ﴿فَلَنْ يَهْتَدُوا﴾[7]: فَلَا يَكُونُ مِنْهُمُ اهْتِدَاءٌ الْبَتَّةَ، كَأَنَّهُ مُحَالٌ مِنْهُمْ لِشِدَّةِ تَصْمِيمِهِمْ، ﴿أَبَدًا﴾[8]: مُدَّةَ التَّكْلِيفِ كُلَّهَا.

وَ﴿إِذًا﴾[9]: جَزَاءٌ وَجَوَابٌ، فَدَلَّ عَلَى انْتِفَاءِ اهْتِدَائِهِمْ لِدَعْوَةِ الرَّسُولِ، بِمَعْنَى: أَنَّهُمْ جَعَلُوا مَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ سَبَبَ وُجُودِ الِاهْتِدَاءِ سَبَبًا فِي انْتِفَائِهِ، وَعَلَى أَنَّهُ جَوَابٌ لِلرَّسُولِ عَلَى تَقْدِيرِ قَوْلِهِ: مَا لِي لَا أَدْعُوهُمْ حِرْصًا عَلَى إِسْلَامِهِمْ؟ فَقِيلَ: ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا﴾[10].

﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا﴾[11]

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[6] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[7] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[8] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[9] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[10] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[11] سورة الْكَهْفِ، الآية.

﴿الْغَفُورُ﴾[1]: الْبَلِيغُ الْمَغْفِرَةِ، ﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾[2]: الْمَوْصُوفُ بِالرَّحْمَةِ، ثُمَّ اسْتَشْهَدَ عَلَى ذَلِكَ بِتَرْكِ مُؤَاخَذَةِ أَهْلِ مَكَّةَ عَاجِلًا مِنْ غَيْرِ إِمْهَالٍ مَعَ إِفْرَاطِهِمْ فِي عَدَاوَةِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ﴾[3]: وَهُوَ يَوْمُ بَدْرٍ.

﴿لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلا﴾[4]: مَنْجًى وَلَا مَلْجَأً، يُقَالُ: "وَأَلَ" إِذَا نَجَا، وَ "وَأَلَ إِلَيْهِ": إِذَا لَجَأَ إِلَيْهِ.

﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾[5]

﴿وَتِلْكَ الْقُرَى﴾[6]، يُرِيدُ: قُرَى الْأَوَّلِينَ مِنْ ثَمُودَ وَقَوْمِ لُوطٍ وَغَيْرِهِمْ: أَشَارَ لَهُمْ إِلَيْهَا لِيَعْتَبِرُوا.

﴿تِلْكَ﴾[7]: مُبْتَدَأٌ، وَ﴿الْقُرَى﴾[8]: صِفَةٌ: لِأَنَّ أَسْمَاءَ الْإِشَارَةِ تُوصَفُ بِأَسْمَاءِ الْأَجْنَاسِ، وَ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾[9]: خَبَرٌ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿تِلْكَ الْقُرَى﴾[10]: نَصْبًا بِإِضْمَارِ أَهْلَكْنَا عَلَى شَرِيطَةِ التَّفْسِيرِ.

وَالْمَعْنَى: وَتِلْكَ أَصْحَابُ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ.

---

1 سورة الْكَهْفِ، الآية.
2 سورة الْكَهْفِ، الآية.
3 سورة الْكَهْفِ، الآية.
4 سورة الْكَهْفِ، الآية.
5 سورة الْكَهْفِ، الآية.
6 سورة الْكَهْفِ، الآية.
7 سورة الْكَهْفِ، الآية.
8 سورة الْكَهْفِ، الآية.
9 سورة الْكَهْفِ، الآية.
10 سورة الْكَهْفِ، الآية.

﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾[1]: مِثْلَ ظُلْمِ أَهْلِ مَكَّةَ.

﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾[2]: وَضَرَبْنَا لِإِهْلَاكِهِمْ وَقْتًا مَعْلُومًا لَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهُ كَمَا ضَرَبْنَا لِأَهْلِ مَكَّةَ يَوْمَ بَدْرٍ وَالْمُهْلِكُ الْإِهْلَاكُ وَوَقْتُهُ.

وَقُرِئَ: "لِمَهْلِكِهِمْ" بِفَتْحِ الْمِيمِ، وَاللَّامُ مَفْتُوحَةٌ أَوْ مَكْسُورَةٌ، أَيْ: لِهَلَاكِهِمْ أَوْ وَقْتِ هَلَاكِهِمْ.

وَالْمَوْعِدُ: وَقْتٌ، أَوْ مَصْدَرٌ.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾[3]

﴿لِفَتَاهُ﴾[4]: لِعَبْدِهِ، وَفِي الْحَدِيثِ: لِيَقُلْ أَحَدُكُمْ فَتَايَ وَفَتَاتِي، وَلَا يَقُلْ: عَبْدِي وَأَمَتِي.

وَقِيلَ: هُوَ يُوشَعُ بْنُ نُونَ، وَإِنَّمَا قِيلَ: فَتَاهُ، لِأَنَّهُ كَانَ يَخْدِمُهُ وَيَتْبَعُهُ.

وَقِيلَ: كَانَ يَأْخُذُ مِنْهُ الْعِلْمَ.

فَإِنْ قُلْتَ: ﴿لا أَبْرَحُ﴾[5] إِنْ كَانَ بِمَعْنَى: لَا أَزُولُ -مِنْ بَرِحَ الْمَكَانَ-، فَقَدْ دَلَّ عَلَى الْإِقَامَةِ لَا عَلَى السَّفَرِ، وَإِنْ كَانَ بِمَعْنَى: لَا أَزَالُ، فَلَا بُدَّ مِنَ الْخَبَرِ.

قُلْتُ: هُوَ بِمَعْنَى: لَا أَزَالُ، وَقَدْ حُذِفَ الْخَبَرُ، لِأَنَّ الْحَالَ وَالْكَلَامَ مَعًا يَدُلَّانِ عَلَيْهِ، أَمَّا الْحَالُ فَلِأَنَّهَا كَانَتْ حَالَ سَفَرٍ.

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.

وَأَمَّا الْكَلَامُ، فَلِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾[1] غَايَةٌ مَضْرُوبَةٌ وَتَسْتَدْعِي مَا هِيَ غَايَةٌ لَهُ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: لَا أَبْرَحُ أَسِيرُ حَتَّى أَبْلَغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ.

وَوَجْهٌ آخَرُ: وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: لَا يَبْرَحُ مَسِيرِي حَتَّى أَبْلَغَ عَلَى أَنَّ حَتَّى أَبْلَغَ هُوَ الْخَبَرُ، فَلَمَّا حُذِفَ الْمُضَافُ أُقِيمَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ مَقَامَهُ وَهُوَ ضَمِيرُ الْمُتَكَلِّمِ، فَانْقَلَبَ الْفِعْلُ عَنْ لَفْظِ الْغَائِبِ إِلَى لَفْظِ الْمُتَكَلِّمِ، وَهُوَ وَجْهٌ لَطِيفٌ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: لَا أَبْرَحُ مَا أَنَا عَلَيْهِ، بِمَعْنَى: أَلْزَمُ الْمَسِيرَ وَالطَّلَبَ وَلَا أَتْرُكُهُ وَلَا أُفَارِقُهُ حَتَّى أَبْلُغَ، كَمَا تَقُولُ: لَا أَبْرَحُ الْمَكَانَ، وَمَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ: الْمَكَانُ الَّذِي وُعِدَ فِيهِ مُوسَى لِقَاءَ الْخَضِرِ –عَلَيْهِمَا السَّلَامُ–، وَهُوَ مُلْتَقَى بَحْرَيْ فَارِسَ وَالرُّومِ مِمَّا يَلِي الْمَشْرِقَ.

وَقِيلَ: طَنْجَةُ.

وَقِيلَ: أَفْرِيقِيَّةُ، وَمِنْ بِدَعِ التَّفَاسِيرِ: أَنَّ الْبَحْرَيْنِ مُوسَى وَالْخَضِرُ، لِأَنَّهُمَا كَانَا بَحْرَيْنِ فِي الْعِلْمِ.

وَقُرِئَ: "مَجْمِعَ" بِكَسْرِ الْمِيمِ، وَهِيَ فِي الشُّذُوذِ مِنْ يَفْعَلُ، كَالْمَشْرِقِ وَالْمَطْلِعِ مِنْ يَفْعُلُ، ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾[2]: أَوْ أَسِيرَ زَمَانًا طَوِيلًا، وَالْحِقْبُ ثَمَانُونَ سَنَةً.

وَرُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا ظَهَرَ مُوسَى عَلَى مِصْرَ مَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَاسْتَقَرُّوا بِهَا بَعْدَ هَلَاكِ الْقِبْطِ، أَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يُذَكِّرَ قَوْمَهُ النِّعْمَةَ، فَقَامَ فِيهِمْ خَطِيبًا فَذَكَرَ نِعْمَةَ اللَّهِ، وَقَالَ: إِنَّهُ اصْطَفَى نَبِيَّكُمْ وَكَلَّمَهُ، فَقَالُوا لَهُ: قَدْ عَلِمْنَا هَذَا، فَأَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ قَالَ: أَنَا، فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ حِينَ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَى اللَّهِ، فَأَوْحَى إِلَيْهِ: بَلْ أَعْلَمُ مِنْكَ عَبْدٌ لِي عِنْدَ مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ، وَهُوَ الْخَضِرُ، وَكَانَ الْخُضِرُ فِي أَيَّامِ أَفْرِيدُونَ قَبْلَ مُوسَى –عَلَيْهِ السَّلَامُ–، وَكَانَ عَلَى مُقَدِّمَةِ ذِي الْقَرْنَيْنِ الْأَكْبَرِ، وَبَقِيَ إِلَى أَيَّامِ مُوسَى.

وَقِيلَ: إِنَّ مُوسَى سَأَلَ رَبَّهُ: أَيُّ عِبَادِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الَّذِي يَذْكُرُنِي وَلَا يَنْسَانِي، قَالَ: فَأَيُّ عِبَادِكَ أَقْضَى؟ قَالَ: الَّذِي يَقْضِي بِالْحَقِّ وَلَا يَتَّبِعُ الْهَوَى، قَالَ: فَأَيُّ عِبَادِكَ أَعْلَمُ؟ قَالَ: الَّذِي يَبْتَغِي عِلْمَ النَّاسِ إِلَى عِلْمِهِ، عَسَى أَنْ يُصِيبَ كَلِمَةً تَدُلُّهُ عَلَى هُدًى، أَوْ تَرُدُّهُ عَنْ رَدًى، فَقَالَ: إِنْ كَانَ فِي عِبَادِكَ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنِّي فَادْلُلْنِي عَلَيْهِ، قَالَ: أَعْلَمُ مِنْكَ الْخَضِرُ، قَالَ: أَيْنَ أَطْلُبُهُ؟ قَالَ: عَلَى السَّاحِلِ عِنْدَ الصَّخْرَةِ، قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ لِي بِهِ؟ قَالَ: تَأْخُذُ

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.

حُوتًا فِي مَكْتَلٍ، فَحَيْثُ فَقَدْتَهُ فَهُوَ هُنَاكَ، فَقَالَ لِفَتَاهُ: إِذَا فَقَدْتَ الْحُوتَ فَأَخْبِرْنِي، فَذَهَبَا يَمْشِيَانِ، فَرَقَدَ مُوسَى، فَاضْطَرَبَ الْحُوتُ وَوَقَعَ فِي الْبَحْرِ، فَلَمَّا جَاءَ وَقْتُ الْغَدَاءِ طَلَبَ مُوسَى الْحُوتَ، فَأَخْبَرَهُ فَتَاهُ بِوُقُوعِهِ فِي الْبَحْرِ، فَأَتَيَا الصَّخْرَةَ، فَإِذَا رَجُلٌ مُسَجًّى بِثَوْبِهِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى، فَقَالَ: وَأَنَّى بِأَرْضِنَا السَّلَامُ، فَعَرَّفَهُ نَفْسَهُ، فَقَالَ: يَا مُوسَى، أَنَا عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَنِيهِ اللَّهُ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَكَهُ اللَّهُ لَا أَعْلَمُهُ أَنَا.

فَلَمَّا رَكِبَا السَّفِينَةَ جَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِهَا فَنَقَرَ فِي الْمَاءِ، فَقَالَ الْخَضِرُ: مَا يَنْقُصُ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ مِقْدَارَ مَا أَخَذَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنَ الْبَحْرِ.

﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾[1]، أَيْ: نَسِيَا تَفَقُّدَ أَمْرِهِ وَمَا يَكُونُ مِنْهُ مِمَّا جُعِلَ أَمَارَةً عَلَى الظَّفَرِ بِالطِّلْبَةِ.

وَقِيلَ: نَسِيَ يُوشِعُ أَنْ يُقَدِّمَهُ، وَنَسِيَ مُوسَى أَنْ يَأْمُرَهُ فِيهِ بِشَيْءٍ.

وَقِيلَ: كَانَ الْحُوتُ سَمَكَةً مَمْلُوحَةً.

وَقِيلَ: إِنَّ يُوشَعَ حَمَلَ الْحُوتَ وَالْخُبْزَ فِي الْمَكْتَلِ، فَنَزَلَا لَيْلَةً عَلَى شَاطِئِ عَيْنٍ تُسَمَّى عَيْنَ الْحَيَاةِ، وَنَامَ مُوسَى، فَلَمَّا أَصَابَ السَّمَكَةَ بَرْدُ الْمَاءِ وَرُوحُهُ عَاشَتْ.

وَرُوِيَ: أَنَّهُمَا أَكَلَا مِنْهَا، وَقِيلَ: تَوَضَّأَ يُوشَعُ مِنْ تِلْكَ الْعَيْنِ فَانْتَضَحَ الْمَاءُ عَلَى الْحُوتِ فَعَاشَ وَوَقَعَ فِي الْمَاءِ.

﴿سَرَبًا﴾[2]: أَمْسَكَ اللَّهُ جَرْيَةَ الْمَاءِ عَلَى الْحُوتِ، فَصَارَ عَلَيْهِ مِثْلَ الطَّاقِ، وَحَصَلَ مِنْهُ فِي مِثْلِ السَّرَبِ مُعْجِزَةً لِمُوسَى أَوْ لِلْخَضِرِ.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾[3]: الْمَوْعِدَ، وَهُوَ: الصَّخْرَةُ، لِنِسْيَانِ مُوسَى تَفَقُّدَ أَمْرِ الْحُوتِ وَمَا كَانَ مِنْهُ، وَنِسْيَانُ يُوشَعُ أَنْ يَذْكُرَ لِمُوسَى مَا رَأَى مِنْ حَيَاتِهِ وَوُقُوعِهِ فِي الْبَحْرِ.

وَقِيلَ: سَارَا بَعْدَ مُجَاوَزَةِ الصَّخْرَةِ اللَّيْلَةَ وَالْغَدَ إِلَى الظُّهْرِ، وَأُلْقِيَ عَلَى مُوسَى النَّصَبُ وَالْجُوعُ حِينَ جَاوَزَ الْمَوْعِدَ، وَلَمْ يَنْصَبْ وَلَا جَاعَ قَبْلَ ذَلِكَ، فَتَذَكَّرَ الْحُوتَ وَطَلَبَهُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿مِنْ سَفَرِنَا هَذَا﴾[4]: إِشَارَةٌ إِلَى مَسِيرِهِمَا وَرَاءَ الصَّخْرَةِ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ نَسِيَ يُوشَعُ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ لَا يُنْسَى، لِكَوْنِهِ أَمَارَةً لَهُمَا عَلَى الطِّلْبَةِ الَّتِي تَنَاهَضَا مِنْ أَجْلِهَا لِكَوْنِهِ مُعْجِزَتَيْنِ ثِنْتَيْنِ: وَهُمَا: حَيَاةُ السَّمَكَةِ الْمَمْلُوحَةِ الْمَأْكُولِ مِنْهَا

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.

–وَقِيلَ: مَا كَانَتْ إِلَّا شِقَّ سَمَكَةٍ– وَقِيَاءُ الْمَاءِ وَانْتِصَابُهُ مِثْلَ الطَّاقِ وَنُفُوذُهَا فِي مِثْلِ السَّرَبِ مِنْهُ؟ ثُمَّ كَيْفَ اسْتَمَرَّ بِهِ النِّسْيَانُ حَتَّى خَلَّفَا الْمَوْعِدَ وَسَارَا مَسِيرَةَ لَيْلَةٍ إِلَى ظُهْرِ الْغَدَشِ، وَحَتَّى طَلَبَ مُوسَى –عَلَيْهِ السَّلَامُ– الْحُوتَ؟

قُلْتُ: قَدْ شَغَلَهُ الشَّيْطَانُ بِوَسَاوِسِهِ فَذَهَبَ بِفِكْرِهِ كُلَّ مَذْهَبٍ، حَتَّى اعْتَرَاهُ النِّسْيَانُ وَانْضَمَّ إِلَى ذَلِكَ أَنَّهُ ضَرِيَ بِمُشَاهَدَةِ أَمْثَالِهِ عِنْدَ مُوسَى –عَلَيْهِ السَّلَامُ– مِنَ الْعَجَائِبِ، وَاسْتَأْنَسَ بِإِخْوَانِهِ، فَأَعَانَ الْإِلْفُ عَلَى قِلَّةِ الِاهْتِمَامِ، ﴿أَرَأَيْتَ﴾[1]: بِمَعْنَى: أَخْبِرْنِي.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا وَجْهُ الْتِئَامِ هَذَا الْكَلَامِ، فَإِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ ﴿أَرَأَيْتَ﴾[2]، وَ﴿إِذْ أَوَيْنَا﴾[3]، وَ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾[4] لَا مُتَعَلَّقَ لَهُ؟

قُلْتُ: لَمَّا طَلَبَ مُوسَى –عَلَيْهِ السَّلَامُ– الْحُوتَ، ذَكَرَ يُوشَعُ مَا رَأَى مِنْهُ، وَمَا اعْتَرَاهُ مِنْ نِسْيَانِهِ إِلَى تِلْكَ الْغَايَةِ، فَدُهِشَ وَطَفِقَ يَسْأَلُ مُوسَى –عَلَيْهِ السَّلَامُ– عَنْ سَبَبِ ذَلِكَ، كَأَنَّهُ قَالَ: أَرَأَيْتَ مَا دَهَانِي إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ؟ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ، فَحُذِفَ ذَلِكَ.

وَقِيلَ: هِيَ الصَّخْرَةُ الَّتِي دُونَ نَهْرِ الزَّيْتِ.

وَ﴿أَنْ أَذْكُرَهُ﴾[5]: بَدَلٌ مِنَ الْهَاءِ فِي ﴿أَنْسَانِيهُ﴾[6]، أَيْ: وَمَا أَنْسَانِي ذِكْرَهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ.

وَفِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ: "أَنْ أُذَكِّرَكَهُ".

وَ﴿عَجَبًا﴾[7]: ثَانِي مَفْعُولَيِ اتَّخَذَ، مِثْلُ: ﴿سَرَبًا﴾[8]، يَعْنِي: وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ سَبِيلًا عَجَبًا، وَهُوَ كَوْنُهُ شَبِيهَ السَّرَبِ، أَوْ قَالَ: عَجَبًا فِي آخِرِ كَلَامِهِ، تَعَجُّبًا مِنْ حَالِهِ فِي رُؤْيَةِ تِلْكَ الْعَجِيبَةِ وَنِسْيَانِهِ لَهَا أَوْ مِمَّا رَأَى مِنَ الْمُعْجِزَتَيْنِ.

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[6] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[7] سورة، الآية.

[8] سورة، الآية.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾[1]: اعْتِرَاضٌ بَيْنَ الْمَعْطُوفِ وَالْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ.

وَقِيلَ: إِنَّ ﴿عَجَبًا﴾[2]: حِكَايَةٌ لِتَعَجُّبِ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وَلَيْسَ بِذَاكَ.

"ذَلِكَ": إِشَارَةٌ إِلَى اتِّخَاذِهِ سَبِيلًا، أَيْ: ذَلِكَ الَّذِي كُنَّا نَطْلُبُ، لِأَنَّهُ أَمَارَةُ الظَّفَرِ بِالطِّلْبَةِ مِنْ لِقَاءِ الْخَضِرِ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-.

وَقُرِئَ: "نَبْغِ": بِغَيْرِ يَاءٍ فِي الْوَصْلِ، وَإِثْبَاتُهَا أَحْسَنُ، وَهِيَ قِرَاءَةُ أَبِي عَمْرٍو.

وَأَمَّا الْوَقْفُ، فَالْأَكْثَرُ فِيهِ طَرْحُ الْيَاءِ اتِّبَاعًا لِخَطِّ الْمُصْحَفِ.

﴿فَارْتَدَّا﴾[3]: فَرَجَعَا فِي أَدْرَاجِهِمَا.

﴿قَصَصًا﴾[4]: يَقُصَّانِ قَصَصًا، أَيْ: يَتْبَعَانِ آثَارَهُمَا اتِّبَاعًا، أَوْ فَارْتَدَّا مُقْتَصَّيْنِ.

﴿رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾[5]: هِيَ الْوَحْيُ وَالنُّبُوَّةُ.

﴿مِنْ لَدُنَّا﴾[6]: مِمَّا يَخْتَصُّ بِنَا مِنَ الْعِلْمِ، وَهُوَ الْإِخْبَارُ عَنِ الْغُيُوبِ.

﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[7]

﴿رُشْدًا﴾[8]: قُرِئَ بِفَتْحَتَيْنِ، وَبِضَمَّةٍ وَسُكُونٍ، أَيْ: عِلْمًا ذَا رَشَدٍ، أَرْشُدُ بِهِ فِي دِينِي.

فَإِنْ قُلْتَ: أَمَا دَلَّتْ حَاجَتُهُ إِلَى التَّعَلُّمِ مِنْ آخَرَ فِي عَهْدِهِ أَنَّهُ كَمَا قِيلَ مُوسَى بْنُ مِيشَا، لَا مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ، لِأَنَّ النَّبِيَّ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ أَعْلَمَ أَهْلِ زَمَانِهِ وَإِمَامَهُمُ الْمَرْجُوعَ إِلَيْهِ فِي أَبْوَابِ الدِّينِ؟

---

[1] سورة، الآية.

[2] سورة، الآية.

[3] سورة، الآية.

[4] سورة، الآية.

[5] سورة، الآية.

[6] سورة، الآية.

[7] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[8] سورة الْكَهْفِ، الآية.

قُلْتُ: لَا غَضَاضَةَ بِالنَّبِيِّ فِي أَخْذِ الْعِلْمِ مِنْ نَبِيٍّ مِثْلِهِ، وَإِنَّمَا بُغِّضَ مِنْهُ أَنْ يَأْخُذَهُ مِمَّنْ دُونَهُ.

وَعَنْ سَعِيدِ ابْنِ جُبَيْرٍ أَنَّهُ قَالَ لِابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ نَوْفًا ابْنَ امْرَأَةِ كَعْبٍ يَزْعُمُ أَنَّ الْخَضِرَ لَيْسَ بِصَاحِبِ مُوسَى، وَأَنَّ مُوسَى هُوَ مُوسَى بْنُ مِيشَا، فَقَالَ: كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ.

﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾[1]

نَفْيُ اسْتِطَاعَةِ الصَّبْرِ عَلَى وَجْهِ التَّأْكِيدِ، كَأَنَّهُمَا مِمَّا لَا يَصِحُّ وَلَا يَسْتَقِيمُ، وَعَلَّلَ ذَلِكَ بِأَنَّهُ يَتَوَلَّى أُمُورًا هِيَ فِي ظَاهِرِهَا مَنَاكِيرُ، وَالرَّجُلُ الصَّالِحُ –فَكَيْفَ إِذَا كَانَ نَبِيًّا؟!– لَا يَتَمَالَكُ أَنْ يَشْمَئِزَّ وَيَمْتَعِضَ وَيَجْزَعَ إِذَا رَأَى ذَلِكَ وَيَأْخُذَ فِي الْإِنْكَارِ.

وَ﴿خُبْرًا﴾[2]: تَمْيِيزٌ، أَيْ: لَمْ يُحِطْ بِهِ خَبَرُكَ، بِمَعْنَى: لَمْ تُخْبَرْهُ، فَنَصْبُهُ نَصْبُ الْمَصْدَرِ.

﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾[3]

﴿وَلَا أَعْصِي﴾[4]: فِي مَحَلِّ النَّصْبِ عَطْفًا عَلَى ﴿صَابِرًا﴾[5]، أَيْ: سَتَجِدُنِي صَابِرًا وَغَيْرَ عَاصٍ، أَوْ لَا فِي مَحَلِّ، عَطْفًا عَلَى سَتَجِدُنِي، رَجَا مُوسَى –عَلَيْهِ السَّلَامُ– لِحِرْصِهِ عَلَى الْعِلْمِ وَازْدِيَادِهِ، أَنْ يَسْتَطِيعَ مَعَهُ صَبْرًا بَعْدَ إِفْصَاحِ الْخَضِرِ عَنْ حَقِيقَةِ الْأَمْرِ، فَوَعَدَهُ بِالصَّبْرِ مُعَلَّقًا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ، عِلْمًا مِنْهُ بِشِدَّةِ الْأَمْرِ وَصُعُوبَتِهِ، وَإِنَّ الْحَمِيَّةَ الَّتِي تَأْخُذُ الْمُصْلِحَ عِنْدَ مُشَاهَدَةِ الْفَسَادِ شَيْءٌ لَا يُطَاقُ.

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.

هَذَا مَعَ عِلْمِهِ أَنَّ النَّبِيَّ الْمَعْصُومَ الَّذِي أَمَرَهُ اللَّهُ بِالْمُسَافَرَةِ إِلَيْهِ وَاتِّبَاعِهِ وَاقْتِبَاسِهِ الْعِلْمَ مِنْهُ، بَرِئَ مِنْ أَنْ يُبَاشِرَ مَا فِيهِ غَمِيزَةٌ فِي الدِّينِ، وَأَنَّهُ لَا بُدَّ لِمَا يَسْتَسْمِجُ ظَاهِرَهُ مِنْ بَاطِنٍ حَسَنٍ جَمِيلٍ، فَكَيْفَ إِذَا لَمْ يَعْلَمْ.

﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾[1]

قُرِئَ: "فَلَا تَسْأَلَنِّي": بِالنُّونِ الثَّقِيلَةِ، يَعْنِي: فَمِنْ شَرْطِ اتِّبَاعِكَ لِي أَنَّكَ إِذَا رَأَيْتَ مِنِّي شَيْئًا –وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ صَحِيحٌ إِلَّا أَنَّهُ غَبِيَ عَلَيْكَ وَجْهُ صِحَّتِهِ فَحَمِيتَ وَأَنْكَرْتَ فِي نَفْسِكَ– أَلَّا تُفَاتِحَنِي بِالسُّؤَالِ، وَلَا تُرَاجِعَنِي فِيهِ، حَتَّى أَكُونَ أَنَا الْفَاتِحَ عَلَيْكَ، وَهَذَا مِنْ آدَابِ الْمُتَعَلِّمِ مَعَ الْعَالِمِ، وَالْمَتْبُوعِ مَعَ التَّابِعِ.

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾[2]

﴿فَانْطَلَقَا﴾[3]: عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ يَطْلُبَانِ السَّفِينَةَ، فَلَمَّا رَكِبَا قَالَ أَهْلُهَا: هُمَا مِنَ اللُّصُوصِ، وَأَمَرُوهُمَا بِالْخُرُوجِ، فَقَالَ صَاحِبُ السَّفِينَةِ: أَرَى وُجُوهَ الْأَنْبِيَاءِ.

وَقِيلَ: عَرَفُوا الْخَضِرَ فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ، فَلَمَّا لَجَّجُوا أَخَذَ الْخَضِرُ الْفَأْسَ فَخَرَقَ السَّفِينَةَ بِأَنْ قَلَعَ لَوْحَيْنِ مِنْ أَلْوَاحِهَا مِمَّا يَلِي الْمَاءَ، فَجَعَلَ مُوسَى يَسُدُّ الْخَرْقَ بِثِيَابِهِ وَيَقُولُ: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾[4].

وَقُرِئَ: "لِتُغَرِّقَ" بِالتَّشْدِيدِ وَ"لِيَغْرَقَ أَهْلُهَا": مِنْ غَرِقَ، وَأَهْلُهَا مَرْفُوعٌ.

﴿جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾[5]: أَتَيْتَ شَيْئًا عَظِيمًا، مِنْ أَمِرَ الْأَمْرُ: إِذَا عَظُمَ.

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.

قَالَ:

دَاهِيَةً دَهْيَاءَ إِدًّا إِمْـــــــرَا

﴿قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾[1]

﴿بِمَا نَسِيتُ﴾[2]: بِالَّذِي نَسِيتُهُ، أَوْ بِشَيْءٍ نَسِيتُهُ، أَوْ بِنِسْيَانِي: أَرَادَ أَنَّهُ نَسِيَ وَصِيَّتَهُ وَلَا مُؤَاخَذَةَ عَلَى النَّاسِي، أَوْ أَخْرَجَ الْكَلَامَ فِي مَعْرِضِ النَّهْيِ عَنِ الْمُؤَاخَذَةِ بِالنِّسْيَانِ، يُوهِمُهُ أَنْ قَدْ نَسِيَ لِيَبْسُطَ عُذْرَهُ فِي الْإِنْكَارِ، وَهُوَ مَنْ مَعَارِيضِ الْكَلَامِ الَّتِي يُتَّقَى بِهَا الْكَذِبُ، مَعَ التَّوَصُّلِ إِلَى الْغَرَضِ، كَقَوْلِ إِبْرَاهِيمَ: هَذِهِ أُخْتِي، وَإِنِّي سَقِيمٌ، أَوْ أَرَادَ بِالنِّسْيَانِ: التَّرْكَ، أَيْ: لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا تَرَكْتُ مِنْ وَصِيَّتِكَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، يُقَالُ: رَهَقَهُ إِذَا غَشِيَهُ، وَأَرْهَقَهُ إِيَّاهُ، أَيْ: وَلَا تَغْشَنِي.

﴿عُسْرًا﴾[3]: مِنْ أَمْرِي، وَهُوَ اتِّبَاعُهُ إِيَّاهُ، يَعْنِي: وَلَا تُعَسِّرْ عَلَيَّ مُتَابَعَتَكَ، وَيَسِّرْهَا عَلَيَّ بِالْإِغْضَاءِ وَتَرْكِ الْمُنَاقَشَةِ.

وَقُرِئَ: "عُسُرًا" بِضَمَّتَيْنِ.

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾[4]

﴿فَقَتَلَهُ﴾[5]: قِيلَ: كَانَ قَتْلُهُ فَتْلَ عُنُقِهِ.

وَقِيلَ: ضَرَبَ بِرَأْسِهِ الْحَائِطَ.

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[2] سورة الْكَهْفِ ، الآية.

[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: أَضْجَعَهُ ثُمَّ ذَبَحَهُ بِالسِّكِّينِ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ قِيلَ: ﴿حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾[1] بِغَيْرِ فَاءٍ؟ وَ﴿حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ﴾[2]: بِالْفَاءِ؟

قُلْتُ: جَعَلَ خَرْقَهَا جَزَاءً لِلشَّرْطِ، وَجَعَلَ قَتْلَهُ مِنْ جُمْلَةِ الشَّرْطِ مَعْطُوفًا عَلَيْهِ، وَالْجَزَاءُ: ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ﴾[3].

فَإِنْ قُلْتَ: فَلِمَ خُولِفَ بَيْنَهُمَا؟

قُلْتُ: لِأَنَّ خَرْقَ السَّفِينَةِ لَمْ يَتَعَقَّبِ الرُّكُوبَ، وَقَدْ تَعَقَّبَ الْقَتْلُ لِقَاءَ الْغُلَامِ.

وَقُرِئَ: "زَاكِيَةً" وَ﴿زَكِيَّةً﴾[4]، وَهِيَ الطَّاهِرَةُ مِنَ الذُّنُوبِ، إِمَّا لِأَنَّهَا ظَاهِرَةٌ عِنْدَهُ، لِأَنَّهُ لَمْ يَرَهَا قَدْ أَذْنَبَتْ، وَإِمَّا لِأَنَّهَا صَغِيرَةٌ لَمْ تَبْلُغِ الْحِنْثَ.

﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾[5]، يَعْنِي: لَمْ تَقْتُلْ نَفْسًا فَيُقْتَصَّ مِنْهَا.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ نَجْدَةَ الْحَرُورِيَّ كَتَبَ إِلَيْهِ: كَيْفَ جَازَ قَتْلُهُ، وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَنْ قَتْلِ الْوِلْدَانِ؟ فَكَتَبَ إِلَيْهِ: إِنْ عَلِمْتَ مِنْ حَالِ الْوِلْدَانِ مَا عَلِمَهُ عَالِمُ مُوسَى فَلَكَ أَنْ تَقْتُلَ ﴿نُكْرًا﴾[6].

وَقُرِئَ: بِضَمَّتَيْنِ، وَهُوَ الْمُنْكَرُ.

وَقِيلَ: النُّكْرُ أَقَلُّ مِنَ الْإِمْرِ، لِأَنَّ قَتْلَ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ أَهْوَنُ مِنْ إِغْرَاقِ أَهْلِ السَّفِينَةِ.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: جِئْتَ شَيْئًا أَنْكَرَ مِنَ الْأَوَّلِ، لِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ خَرْقًا يُمْكِنُ تَدَارُكُهُ بِالسَّدِّ، وَهَذَا لَا سَبِيلَ إِلَى تَدَارُكِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى زِيَادَةِ "لَكَ"؟

قُلْتُ: زِيَادَةُ الْمُكَافَحَةِ بِالْعِتَابِ عَلَى رَفْضِ الْوَصِيَّةِ، وَالْوَسْمُ بِقِلَّةِ الصَّبْرِ عِنْدَ الْكَرَّةِ الثَّانِيَةِ.

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[6] سورة الْكَهْفِ، الآية.

﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾[1]

﴿بَعْدَهَا﴾[2]: بَعْدَ هَذِهِ الْكَرَّةِ أَوِ الْمَسْأَلَةِ.

﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾[3]: فَلَا تُقَارِبْنِي، وَإِنْ طَلَبْتُ صُحْبَتَكَ فَلَا تُتَابِعْنِي عَلَى ذَلِكَ.

وَقُرِئَ: "فَلَا تَصْحَبْنِي": فَلَا تَكُنْ صَاحِبِي.

وَقُرِئَ: "فَلَا تُصْحِبْنِي"، أَيْ: فَلَا تُصْحِبْنِي إِيَّاكَ وَلَا تَجْعَلْنِي صَاحِبَكَ.

﴿مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾[4]: قَدْ أَعْذَرْتَ.

وَقُرِئَ: "لَدُنْيِ" بِتَخْفِيفِ النُّونِ، "وَلَدْنِي" بِسُكُونِ الدَّالِ وَكَسْرِ النُّونِ، كَقَوْلِهِمْ فِي عَضُدٍ: عَضْدٌ.

وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "رَحِمَ اللَّهُ أَخِي مُوسَى اسْتَحْيَا فَقَالَ ذَلِكَ، وَقَالَ: رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى أَخِي مُوسَى، لَوْ لَبِثَ مَعَ صَاحِبِهِ لَأَبْصَرَ أَعْجَبَ الْأَعَاجِيبِ".

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾[5]

﴿أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾[6]: هِيَ إِنْطَاكِيَّةُ.

وَقِيلَ: الْأُبُلَّةُ، وَهِيَ أَبْعَدُ أَرْضِ اللَّهِ مِنَ السَّمَاءِ.

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[6] سورة الْكَهْفِ، الآية.

﴿أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا﴾[1]، وَقُرِئَ: "يُضِيفُوهُمَا"، يُقَالُ: ضَافَهُ إِذَا كَانَ لَهُ ضَيْفًا، وَحَقِيقَتُهُ: مَالَ إِلَيْهِ، مِنْ ضَافَ السَّهْمُ عَنِ الْغَرَضِ.

وَنَظِيرُهُ: زَارَهُ مِنَ الِازْوِرَارِ، وَأَضَافَهُ وَضَيَّفَهُ: أَنْزَلَهُ وَجَعَلَهُ ضَيْفَهُ.

وَعَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "كَانُوا أَهْلَ قَرْيَةٍ لِئَامًا".

وَقِيلَ: شَرُّ الْقُرَى الَّتِي لَا يُضَافُ الضَّيْفُ فِيهَا وَلَا يُعْرَفُ لِابْنِ السَّبِيلِ حَقُّهُ.

﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ﴾[2]: اسْتُعِيرَتِ الْإِرَادَةُ لِلْمُدَانَاةِ وَالْمُشَارَفَةِ، كَمَا اسْتُعِيرَ الْهَمُّ وَالْعَزْمُ لِذَلِكَ.

قَالَ الرَّاعِي:

فِي مَهْمَهٍ قَلِقَتْ بِهِ هَامَاتُهَـــا ... فَلَقَ الْفُئُوسِ إِذَا أَرَدْنَ نُصُـولَا

وَقَالَ:

يُرِيدُ الرُّمْحُ صَدْرَ أَبِي بَـــرَاءٍ ... وَيَعْدِلُ عَنْ دِمَارِ بَنِي عَقِيـــلِ

وَقَالَ حَسَّانُ:

إِنَّ دَهْرًا يَلِفُّ شَمْلِي بِجُمْـــلٍ ... لَزَمَانٌ يَهُمُّ بِالْإِحْسَـــــــانِ

وَسَمِعْتُ مَنْ يَقُولُ: عَزَمَ السِّرَاجُ أَنْ يُطْفَأَ، وَطَلَبَ أَنْ يُطْفَأَ.

وَإِذَا كَانَ الْقَوْلُ وَالنُّطْقُ، وَالشِّكَايَةُ، وَالصِّدْقُ، وَالْكَذِبُ، وَالسُّكُوتُ، وَالتَّمَرُّدُ، وَالْإِبَاءُ، وَالْعِزَّةُ، وَالطَّوَاعِيَةُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مُسْتَعَارَةً لِلْجَمَادِ وَلِمَا لَا يَعْقِلُ، فَمَا بَالُ الْإِرَادَةِ؟

قَالَ:

إِذَا قَالَتِ الْأَنْسَاعُ لِلْبَطْنِ الْحَـقِ

[وَقَالَ:]

تَقُولُ سِنِّي لِلنَّوَاةِ طِـــــــنِّي

[وَقَالَ:]

..... لَا يَنْطِقُ اللَّهْوُ حَتَّى يَنْطِقَ الْعُودُ

[وَقَالَ:]

..... وَشَكَا إِلَيَّ بَعْبَرَةٍ وَتَحَمْحُـــــــمِ

[وَقَالَ:]

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.

فَإِنْ يَكُ ظَنِّي صَادِقًا وَهْوَ صَادِقِي. .....

(وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ):

..... تَمَرَّدَ مَارِدٌ وَعَزَّ الْأَبْلَـــــــــقُ

وَلِبَعْضِهِمْ:

يَأْبَى عَلَى أَجْفَانِهِ إِغْفَـــاءَهُ هَمٌّ إِذَا انْقَادِ الْهُمُومُ تَمَـــــرَّدَا

[وَقَالَ:]

أَبَتِ الرَّوَادِفُ وَالثُّدِيُّ لِقُمْصِهَا مَسَّ الْبُطُونِ وَأَنْ تَمَسَّ ظُهُورَا

"قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ": وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ بَعْضَ الْمُحَرِّفِينَ لِكَلَامِ اللَّهِ –تَعَالَى– مِمَّنْ لَا يَعْلَمُ، كَانَ يَجْعَلُ الضَّمِيرَ لِلْخَضِرِ، لِأَنَّ مَا كَانَ فِيهِ مِنْ آفَةِ الْجَهْلِ وَسَقَمِ الْفَهْمِ، أَرَاهُ أَعْلَى الْكَلَامِ طَبَقَةً أَدْنَاهُ مَنْزِلَةً، فَتَمَحَّلَ لِيَرُدَّهُ إِلَى مَا هُوَ عِنْدَهُ أَصَحُّ وَأَفْصَحُ، وَعِنْدَهُ أَنَّ مَا كَانَ أَبْعَدَ مِنَ الْمَجَازِ كَانَ أَدْخَلَ فِي الْإِعْجَازِ، وَانْقَضَّ: إِذَا أَسْرَعَ سُقُوطُهُ، مِنِ انْقِضَاضِ الطَّائِرِ وَهُوَ يَفْعَلُ، مُطَاوِعُ قَضَضْتُهُ.

وَقِيلَ: افْعَلَّ مِنَ النَّقْضِ، كَاحْمَرَّ مِنَ الْحُمْرَةِ.

وَقُرِئَ: "أَنْ يُنْقَضَ" مِنَ النَّقْضِ، "وَأَنْ يَنْقَاصَّ"، مِنِ انْقَاصَّتِ السِّنُّ إِذَا انْشَقَّتْ طُولًا.

قَالَ ذُو الرُّمَّةِ:

....مِنْقَاصٌ وَمُنْكَثِبُ

بِالصَّادِ غَيْرَ مُعْجَمَةٍ.

﴿فَأَقَامَهُ﴾[1]: قِيلَ: أَقَامَهُ بِيَدِهِ، وَقِيلَ: مَسَحَهُ بِيَدِهِ فَقَامَ وَاسْتَوَى.

وَقِيلَ: أَقَامَهُ بِعَمُودٍ عَمَدَهُ بِهِ، وَقِيلَ: نَقَضَهُ وَبَنَاهُ.

وَقِيلَ: كَانَ طُولُ الْجِدَارِ فِي السَّمَاءِ مِائَةَ ذِرَاعٍ، كَانَتِ الْحَالُ حَالَ اضْطِرَارٍ وَافْتِقَارٍ إِلَى الْمَطْعَمِ، وَلَقَدْ لَزَّتْهُمَا الْحَاجَةُ إِلَى آخِرِ كَسْبِ الْمَرْءِ، وَهُوَ الْمَسْأَلَةُ، فَلَمْ يَجِدْ مُوَاسِيًا.

فَلَمَّا أَقَامَ الْجِدَارَ لَمْ يَتَمَالَكْ مُوسَى لِمَا رَأَى مِنَ الْحِرْمَانِ وَمِسَاسِ الْحَاجَةِ أَنَّ: ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾[2]، وَطَلَبْتَ عَلَى عَمَلِكَ جُعْلًا حَتَّى نَنْتَعِشَ وَنَسْتَدْفِعَ بِهِ الضَّرُورَةَ.

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.

وَقُرِئَ: "لَتَخِذْتَ".

وَالتَّاءُ فِي "تَخِذَ": أَصْلٌ كَمَا فِي تَبِعَ، وَاتَّخَذَ افْتَعَلَ مِنْهُ، كَاتَّبَعَ مِنْ تَبِعَ، وَلَيْسَ مِنَ الْأَخْذِ فِي شَيْءٍ.

﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾[1]

فَإِنْ قُلْتَ: ﴿هَذَا﴾[2]: إِشَارَةٌ إِلَى مَاذَا؟

قُلْتُ: قَدْ تَصَوَّرَ فِرَاقَ بَيْنِهِمَا عِنْدَ حُلُولِ مِيعَادِهِ عَلَى مَا قَالَ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي﴾[3]، فَأَشَارَ إِلَيْهِ وَجَعَلَهُ مُبْتَدَأً وَأَخْبَرَ عَنْهُ، كَمَا تَقُولُ: هَذَا أَخُوكَ، فَلَا يَكُونُ ﴿هَذَا﴾[4]: إِشَارَةً إِلَى غَيْرِ الْأَخِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ إِشَارَةً إِلَى السُّؤَالِ الثَّالِثِ، أَيْ: هَذَا الِاعْتِرَاضُ سَبَبُ الْفِرَاقِ.

وَالْأَصْلُ: هَذَا فِرَاقٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَقَدْ قَرَأَ بِهِ ابْنُ أَبِي عَبْلَةَ، فَأُضِيفَ الْمَصْدَرُ إِلَى الظَّرْفِ كَمَا يُضَافُ إِلَى الْمَفْعُولِ بِهِ.

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[5]

﴿لِمَسَاكِينَ﴾[6]: قِيلَ كَانَتْ لِعَشَرَةِ إِخْوَةٍ، خَمْسَةٌ مِنْهُمْ زَمْنَى، وَخَمْسَةٌ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ، ﴿وَرَاءَهُمْ﴾[7]: أَمَامَهُمْ، كَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ﴾[8].

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[6] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[7] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[8] سورة الْمُؤْمِنُونَ، الآية 10.

وَقِيلَ: خَلْفَهُمْ، وَكَانَ طَرِيقُهُمْ فِي رُجُوعِهِمْ عَلَيْهِ وَمَا كَانَ عِنْدَهُمْ خَبَرُهُ، فَأَعْلَمَ اللَّهُ بِهِ الْخَضِرَ، وَهُوَ "جَلَنْدِيٌّ".

فَإِنْ قُلْتَ: قَوْلُهُ: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾[1]: مُسَبَّبٌ عَنْ خَوْفِ الْغَصْبِ عَلَيْهَا فَكَانَ حَقُّهُ أَنْ يَتَأَخَّرَ عَنِ السَّبَبِ، فَلِمَ قُدِّمَ عَلَيْهِ؟

قُلْتُ: النِّيَّةُ بِهِ التَّأْخِيرُ، وَإِنَّمَا قُدِّمَ لِلْعِنَايَةِ، وَلِأَنَّ خَوْفَ الْغَصْبِ لَيْسَ هُوَ السَّبَبَ وَحْدَهُ، وَلَكِنْ مَعَ كَوْنِهَا لِلْمَسَاكِينِ، فَكَانَ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِكَ: زَيْدٌ ظَنِّي مُقِيمٌ.

وَقِيلَ فِي قِرَاءَةِ أُبَيٍّ وَعَبْدِ اللَّهِ: "كُلُّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ".

﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾[2]

وَقَرَأَ الْجَحْدَرِيُّ: "وَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَانِ"، عَلَى أَنَّ "كَانَ" فِيهِ ضَمِيرُ الشَّأْنِ.

﴿فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾[3]: فَخِفْنَا أَنْ يُغْشِيَ الْوَالِدَيْنِ الْمُؤْمِنَيْنِ، طُغْيَانًا عَلَيْهِمَا، وَكُفْرًا لِنِعْمَتِهِمَا بِعُقُوقِهِ وَسُوءِ صَنِيعِهِ، وَيُلْحِقَ بِهِمَا شَرًّا وَبَلَاءً، أَوْ يُقْرَنَ بِإِيمَانِهِمَا طُغْيَانُهُ وَكُفْرُهُ، فَيَجْتَمِعَ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ مُؤْمِنَانِ وَطَاغٍ كَافِرٌ، أَوْ يَعْدِيَهُمَا بِدَائِهِ وَيُضِلَّهُمَا بِضَلَالِهِ، فَيَرْتَدَّا بِسَبَبِهِ، وَيَطْغَيَا وَيَكْفُرَا بَعْدَ الْإِيمَانِ، وَإِنَّمَا خَشِيَ الْخَضِرُ مِنْهُ ذَلِكَ، لِأَنَّ اللَّهَ –تَعَالَى– أَعْلَمَهُ بِحَالِهِ وَأَطْلَعَهُ عَلَى سِرِّ أَمْرِهِ، وَأَمَرُهُ إِيَّاهُ بِقَتْلِهِ كَاخْتِرَامِهِ لِمُفْسِدَةٍ عَرَفَهَا فِي حَيَاتِهِ، وَفِي قِرَاءَةِ أُبَيٍّ: "فَخَافَ رَبُّكَ"، وَالْمَعْنَى: فَكَرِهَ رَبُّكَ كَرَاهَةَ مَنْ خَافَ سُوءَ عَاقِبَةِ الْأَمْرِ فَغَيَّرَهُ.

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: ﴿فَخَشِينَا﴾[1]: حِكَايَةً لِقَوْلِ اللَّهِ –تَعَالَى–، بِمَعْنَى: فَكَرِهْنَا، كَقَوْلِهِ: ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾[2].

وَقُرِئَ: "يُبَدِّلُهُمَا" بِالتَّشْدِيدِ، وَالزَّكَاةُ: الطَّهَارَةُ وَالنَّقَاءُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَالرُّحْمُ: الرَّحْمَةُ وَالْعَطْفُ.

وَرُوِيَ أَنَّهُ وُلِدَتْ لَهُمَا جَارِيَةٌ تَزَوَّجَهَا نَبِيٌّ، فَوَلَدَتْ نَبِيًّا هَدَى اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ.

وَقِيلَ: وَلَدَتْ سَبْعِينَ نَبِيًّا، وَقِيلَ: أَبْدَلَهُمَا ابْنًا مُؤْمِنًا مِثْلَهُمَا.

قِيلَ: اسْمَا الْغُلَامَيْنِ: أَصْرَمُ، وَصُرَيْمٌ، وَالْغُلَامُ الْمَقْتُولُ: اسْمُهُ الْحُسَيْنُ، وَاخْتُلِفَ فِي الْكَنْزِ، فَقِيلَ: مَالٌ مَدْفُونٌ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ.

وَقِيلَ: لَوْحٌ مِنْ ذَهَبٍ مَكْتُوبٌ فِيهِ: عَجِبْتُ لِمَنْ يُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ كَيْفَ يَحْزَنُ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ يُؤْمِنُ بِالرِّزْقِ كَيْفَ يَتْعَبُ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ يُؤْمِنُ بِالْمَوْتِ كَيْفَ يَفْرَحُ.

وَعَجِبْتُ لِمَنْ يُؤْمِنُ بِالْحِسَابِ كَيْفَ يَغْفُلُ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ يَعْرِفُ الدُّنْيَا وَتَقَلُّبَهَا بِأَهْلِهَا كَيْفَ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ.

وَقِيلَ: صُحُفٌ فِيهَا عِلْمٌ، وَالظَّاهِرُ لِإِطْلَاقِهِ: أَنَّهُ مَالٌ.

وَعَنْ قَتَادَةَ: أُحِلَّ الْكَنْزُ لِمَنْ قَبْلَنَا وَحُرِّمَ عَلَيْنَا، وَحُرِّمَتِ الْغَنِيمَةُ عَلَيْهِمْ وَأُحِلَّتْ لَنَا: أَرَادَ قَوْلَهُ –تَعَالَى–: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾[3].

﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾[4]: اعْتِدَادٌ بِصَلَاحِ أَبِيهِمَا وَحِفْظٌ لِحَقِّهِ فِيهِمَا.

وَعَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ: كَانَ بَيْنَ الْغُلَامَيْنِ وَبَيْنَ الْأَبِ الَّذِي حُفِظَا فِيهِ سَبْعَةُ آبَاءٍ.

وَعَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ –رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا– أَنَّهُ قَالَ لِبَعْضِ الْخَوَارِجِ فِي كَلَامٍ جَرَى بَيْنَهُمَا بِمَ حَفِظَ اللَّهُ الْغُلَامَيْنِ؟ قَالَ: بِصَلَاحِ أَبِيهِمَا، قَالَ: فَأَبِي وَجَدِّي خَيْرٌ مِنْهُ، فَقَالَ: قَدْ أَنْبَأَنَا اللَّهُ أَنَّكُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ.

﴿رَحْمَةً﴾[5]: مَفْعُولٌ لَهُ، أَوْ مَصْدَرٌ مَنْصُوبٌ بِأَرَادَ رَبُّكَ، لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى: رَحِمَهُمَا.

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.

﴿وَمَا فَعَلْتُهُ﴾[1]: وَمَا فَعَلْتُ مَا رَأَيْتَ.

﴿عَنْ أَمْرِي﴾[2]: عَنِ اجْتِهَادِي وَرَأْيِي، وَإِنَّمَا فَعَلْتُهُ بِأَمْرِ اللَّهِ.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَأَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مَنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾[3]

ذُو الْقَرْنَيْنِ: هُوَ الْإِسْكَنْدَرُ الَّذِي مَلَكَ الدُّنْيَا.

قِيلَ: مَلَكَهَا مُؤْمِنَانِ: ذُو الْقَرْنَيْنِ، وَسُلَيْمَانُ، وَكَافِرَانِ: نُمْرُوذُ، وَبُخْتُنَصَّرُ، وَكَانَ بَعْدَ نُمْرُوذَ، وَاخْتُلِفَ فِيهِ، فَقِيلَ: كَانَ عَبْدًا صَالِحًا مَلَّكَهُ اللَّهُ الْأَرْضَ، وَأَعْطَاهُ الْعِلْمَ وَالْحِكْمَةَ، وَأَلْبَسَهُ الْهَيْبَةَ وَسَخَّرَ لَهُ النُّورَ وَالظُّلْمَةَ، فَإِذَا سَرَى يَهْدِيهِ النُّورُ مِنْ أَمَامِهِ، وَتَحُوطُهُ الظُّلْمَةُ مِنْ وَرَائِهِ.

وَقِيلَ: نَبِيًّا، وَقِيلَ: مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

وَعَنْ عُمَرَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ، غُفْرًا مَا رَضِيتُمْ أَنْ تَتَسَمَّوْا بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ حَتَّى تَسَمَّيْتُمْ بِأَسْمَاءِ الْمَلَائِكَةِ.

وَعَنْ عَلِيٍّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: سُخِّرَ لَهُ السَّحَابُ، وَمُدَّتْ لَهُ الْأَسْبَابُ، وَبُسِطَ لَهُ النُّورُ، وَسُئِلَ عَنْهُ، فَقَالَ: أَحَبَّهُ اللَّهُ فَأَحَبَّهُ، وَسَأَلَهُ ابْنُ الْكَوَّا: مَا ذُو الْقَرْنَيْنِ؟ أَمَلَكٌ أَمْ نَبِيٌّ؟ فَقَالَ: لَيْسَ بِمَلَكٍ وَلَا نَبِيٍّ، وَلَكِنْ كَانَ عَبْدًا صَالِحًا، ضُرِبَ عَلَى قَرْنِهِ الْأَيْمَنِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ فَمَاتَ، ثُمَّ بَعَثَهُ اللَّهُ فَضُرِبَ عَلَى قَرْنِهِ الْأَيْسَرِ فَمَاتَ، فَبَعَثَهُ اللَّهُ فَسُمِّيَ ذَا الْقَرْنَيْنِ وَفِيكُمْ مِثْلُهُ.

قِيلَ: كَانَ يَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ فَيَقْتُلُونَهُ فَيُحْيِيهِ اللَّهُ –تَعَالَى–.

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.

وَعَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "سُمِّيَ ذَا الْقَرْنَيْنِ لِأَنَّهُ طَافَ قَرْنَيِ الدُّنْيَا"، يَعْنِي: جَانِبَيْهَا شَرْقَهَا وَغَرْبَهَا.

وَقِيلَ: كَانَ لَهُ قَرْنَانِ، أَيْ: ضَفِيرَتَانِ.

وَقِيلَ: انْقَرَضَ فِي وَقْتِهِ قَرْنَانِ مِنَ النَّاسِ.

وَعَنْ وَهْبٍ: لِأَنَّهُ مَلَكَ الرُّومَ وَفَارِسَ، وَرُوِيَ: الرُّومُ وَالتُّرْكُ، وَعَنْهُ كَانَتْ صَفْحَتَا رَأْسِهِ مِنْ نُحَاسٍ.

وَقِيلَ: كَانَ لِتَاجِهِ قَرْنَانِ.

وَقِيلَ: كَانَ عَلَى رَأْسِهِ مَا يُشْبِهُ الْقَرْنَيْنِ، وَيَجُوزُ أَنْ يُلَقَّبَ بِذَلِكَ لِشَجَاعَتِهِ، كَمَا يُسَمَّى الشُّجَاعُ: كَبْشًا، لِأَنَّهُ يَنْطَحُ أَقْرَانَهُ، وَكَانَ مِنَ الرُّومِ وَلَدَ عَجُوزٍ لَيْسَ لَهَا وَلَدٌ غَيْرُهُ، وَالسَّائِلُونَ: هُمُ الْيَهُودُ، سَأَلُوهُ عَلَى جِهَةِ الِامْتِحَانِ.

وَقِيلَ: سَأَلَهُ أَبُو جَهْلٍ وَأَشْيَاعُهُ.

وَالْخِطَابُ فِي ﴿عَلَيْكُمْ﴾[1]: لِأَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ.

﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾[2]، أَيْ: مِنْ أَسْبَابِ كُلِّ شَيْءٍ، أَرَادَهُ مِنْ أَغْرَاضِهِ وَمَقَاصِدِهِ فِي مُلْكِهِ، ﴿سَبَبًا﴾[3]: طَرِيقًا مُوَصِّلًا إِلَيْهِ، وَالسَّبَبُ مَا يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى الْمَقْصُودِ مِنْ عِلْمٍ أَوْ قُدْرَةٍ أَوْ آلَةٍ، فَأَرَادَ بُلُوغَ الْمَغْرِبِ.

﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾[4]: يُوَصِّلُهُ إِلَيْهِ حَتَّى بَلَغَ، وَكَذَلِكَ أَرَادَ الْمَشْرِقَ، فَأَتْبَعَ سَبَبًا، وَأَرَادَ بُلُوغَ السَّدَّيْنِ فَأَتْبَعَ سَبَبًا.

وَقُرِئَ: ﴿فَاتَّبَعَ﴾[5].

قُرِئَ: "حَمِئَةٍ": مِنْ حَمِئَتِ الْبِئْرُ: إِذَا صَارَ فِيهَا الْحَمَأَةُ، وَحَامِيَةٌ بِمَعْنَى: حَارَّةٍ.

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ: كُنْتُ رَدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَلَى الْجَمَلِ، فَرَأَى الشَّمْسَ حِينَ غَابَتْ فَقَالَ: "يَا أَبَا ذَرٍّ، أَتَدْرِي أَيْنَ تَغْرُبُ هَذِهِ؟ فَقُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ".

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.

وَهِيَ قِرَاءَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ ، وَطَلْحَةَ ، وَابْنِ عُمَرَ، وَابْنِ عَمْرٍو، وَالْحَسَنِ، وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "حَمِئَةٍ"، وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ، فَقَرَأَ مُعَاوِيَةُ: "حَامِيَةٍ"، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "حَمِئَةٍ"، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو: كَيْفَ تَقْرَأُ؟ قَالَ: كَمَا يَقْرَأُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؛ ثُمَّ وَجَّهَ إِلَى كَعْبِ الْأَحْبَارِ: كَيْفَ تَجِدُ الشَّمْسَ تَغْرُبُ؟ قَالَ: فِي مَاءٍ وَطِينٍ، كَذَلِكَ نَجِدُهُ فِي التَّوْرَاةِ، وَرُوِيَ: فِي ثَأْطٍ، فَوَافَقَ قَوْلَ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَكَانَ ثَمَّةَ رَجُلٌ فَأَنْشَدَ قَوْلَ تَبِعٍ:

فَرَأَى مَغِيبَ الشَّمْسِ عِنْدَ مَآبِهَا فِي عَيْنِ ذِي خُلُبٍ وَثَأْطٍ حَرْمَدِ

أَيْ: فِي عَيْنِ مَاءِ ذِي طِينٍ وَحَمَإٍ أَسْوَدَ، وَلَا تَنَافِيَ بَيْنَ الْحَمِئَةِ وَالْحَامِيَةِ، فَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ الْعَيْنُ جَامِعَةً لِلْوَصْفَيْنِ جَمِيعًا، كَانُوا كَفَرَةً، فَخَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِالْقَتْلِ وَأَنْ يَدْعُوَهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَاخْتَارَ الدَّعْوَةَ وَالِاجْتِهَادَ فِي اسْتِمَالَتِهِمْ، فَقَالَ: أَمَّا مَنْ دَعَوْتُهُ فَأَبَى إِلَّا الْبَقَاءَ عَلَى الظُّلْمِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُوَ الشِّرْكُ: فَذَلِكَ هُوَ الْمُعَذَّبُ فِي الدَّارَيْنِ.

﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ﴾[1]: مَا يَقْتَضِيهِ الْإِيمَانُ، ﴿فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى﴾[2].

وَقِيلَ: خَيَّرَهُ بَيْنَ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ، وَسَمَّاهُ إِحْسَانًا فِي مُقَابَلَةِ الْقَتْلِ.

﴿فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى﴾[3]: فَلَهُ أَنْ يُجَازِيَ الْمَثُوبَةَ الْحُسْنَى، أَوْ فَلَهُ جَزَاءُ الْفَعْلَةِ الْحُسْنَى الَّتِي هِيَ كَلِمَةُ الشَّهَادَةِ.

وَقُرِئَ: ﴿فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى﴾[4]، أَيْ: فَلَهُ الْفِعْلَةُ الْحُسْنَى جَزَاءً.

وَعَنْ قَتَادَةَ: كَانَ يَطْبِخُ مَنْ كَفَرَ فِي الْقُدُورِ، وَهُوَ الْعَذَابُ النُّكْرُ، وَمَنْ آمَنَ أَعْطَاهُ وَكَسَاهُ.

﴿مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾[5]، أَيْ: لَا نَأْمُرُهُ بِالصَّعْبِ الشَّاقِّ، وَلَكِنْ بِالسَّهْلِ الْمُتَيَسِّرِ مِنَ الزَّكَاةِ وَالْخَرَاجِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَتَقْدِيرُهُ: "ذَا يُسْرٍ"، كَقَوْلِهِ: ﴿قَوْلا مَيْسُورًا﴾[6].

وَقُرِئَ: "يُسُرًا" بِضَمَّتَيْنِ.

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[6] سورة الْكَهْفِ، الآية.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾[1]

وَقُرِئَ: "مَطْلَعَ": بِفَتْحِ اللَّامِ وَهُوَ مَصْدَرٌ، وَالْمَعْنَى: بَلَغَ مَكَانَ مَطْلِعِ الشَّمْسِ، كَقَوْلِهِ:

كَأَنَّ مَجَرَّ الرَّامِسَاتِ ذُيُولَهَا.....

يُرِيدُ: كَأَنَّ آثَارَ مَجَرِّ الرَّامِسَاتِ.

﴿عَلَى قَوْمٍ﴾[2]، قِيلَ: هُمُ الزِّنْجُ، وَالسِّتْرُ: الْأَبْنِيَةُ.

وَعَنْ كَعْبٍ: أَرْضُهُمْ لَا تُمْسِكُ الْأَبْنِيَةَ وَبِهَا أَسْرَابٌ، فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ دَخَلُوهَا، فَإِذَا ارْتَفَعَ النَّهَارُ خَرَجُوا إِلَى مَعَايِشِهِمْ، وَعَنْ بَعْضِهِمْ: خَرَجْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الصِّينَ، فَسَأَلْتُ عَنْ هَؤُلَاءِ، فَقِيلَ: بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ مَسِيرَةُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَبَلَغْتُهُمْ فَإِذَا أَحَدُهُمْ يَفْرِشُ أُذُنَهُ وَيَلْبَسُ الْأُخْرَى، وَمَعِي صَاحِبٌ يَعْرِفُ لِسَانَهُمْ، فَقَالُوا لَهُ: جِئْتَنَا تَنْظُرُ كَيْفَ تَطْلُعُ الشَّمْسُ؟ قَالَ: فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعْنَا كَهَيْئَةِ الصَّلْصَلَةِ، فَغُشِيَ عَلَيَّ، ثُمَّ أَفَقْتُ وَهُمْ يَمْسَحُونَنِي بِالدُّهْنِ، فَلَمَّا طَلَعَتِ الشَّمْسُ عَلَى الْمَاءِ إِذَا هِيَ فَوْقَ الْمَاءِ كَهَيْئَةِ الزَّيْتِ، فَأَدْخَلُوهَا سِرْبًا لَهُمْ، فَلَمَّا ارْتَفَعَ النَّهَارُ خَرَجُوا إِلَى الْبَحْرِ فَجَعَلُوا يَصْطَادُونَ السَّمَكَ وَيَطْرَحُونَهُ فِي الشَّمْسِ فَيَنْضِجُ لَهُمْ.

وَقِيلَ: السِّتْرُ اللِّبَاسُ.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ: مَنْ لَا يَلْبَسُ الثِّيَابَ مِنَ السُّودَانِ عِنْدَ مَطْلَعِ الشَّمْسِ أَكْثَرُ مِنْ جَمِيعِ أَهْلِ الْأَرْضِ.

﴿كَذَلِكَ﴾[3]، أَيْ: أَمْرُ ذِي الْقَرْنَيْنِ كَذَلِكَ، أَيْ: كَمَا وَصَفْنَاهُ تَعْظِيمًا لِأَمْرِهِ.

﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾[4]: مِنَ الْجُنُودِ وَالْآلَاتِ وَأَسْبَابِ الْمُلْكِ، "خُبْرًا": تَكْثِيرًا لِذَلِكَ.

وَقِيلَ: لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا مِثْلَ ذَلِكَ السِّتْرِ الَّذِي جَعَلْنَا لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ وَالْحُصُونِ وَالْأَبْنِيَةِ وَالْأَكْنَانِ مِنْ كُلِّ جِنْسٍ، وَالثِّيَابِ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ.

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[3] سورة، الآية.

[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.

وَقِيلَ: بَلَغَ مَطْلَعَ الشَّمْسِ مِثْلَ ذَلِكَ، أَيْ: كَمَا بَلَغَ مَغْرِبَهَا.

وَقِيلَ: تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ مِثْلِ ذَلِكَ الْقَبِيلِ الَّذِي تَغْرُبُ عَلَيْهِمْ، يَعْنِي أَنَّهُمْ كَفَرَةٌ مِثْلُهُمْ وَحُكْمُهُمْ مِثْلُ حُكْمِهِمْ فِي تَعْذِيبِهِ لِمَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ عَلَى الْكُفْرِ، وَإِحْسَانُهُ إِلَى مَنْ آمَنُ مِنْهُمْ.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾[1]

﴿بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾[2]: بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ، وَهُمَا جَبَلَانِ سَدَّ ذُو الْقَرْنَيْنِ مِمَّا بَيْنَهُمَا.

قُرِئَ: بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ.

وَقِيلَ: مَا كَانَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ مَضْمُومٌ، وَمَا كَانَ مِنْ عَمَلِ الْعِبَادِ فَهُوَ مَفْتُوحٌ، لِأَنَّ السَّدَّ بِالضَّمِّ فَعْلٌ بِمَعْنَى: مَفْعُولٍ، أَيْ: هُوَ مِمَّا فَعَلَهُ اللَّهُ –تَعَالَى– وَخَلَقَهُ، وَالسَّدُّ بِالْفَتْحِ: مَصْدَرٌ حَدَثٌ يُحْدِثُهُ النَّاسُ، وَانْتَصَبَ ﴿بَيْنَ﴾[3]: عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ بِهِ مَبْلُوغٌ، كَمَا انْجَرَّ عَلَى الْإِضَافَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾[4]، وَكَمَا ارْتَفَعَ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾[5]، لِأَنَّهُ مِنَ الظُّرُوفِ الَّتِي تُسْتَعْمَلُ أَسْمَاءً وَظُرُوفًا.

وَهَذَا الْمَكَانُ فِي مُنْقَطَعِ أَرْضِ التُّرْكِ مِمَّا يَلِي الْمَشْرِقَ، ﴿مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا﴾[6]: هُمُ التُّرْكُ ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾[7]: لَا يَكَادُونَ يَفْهَمُونَهُ إِلَّا بِجَهْدٍ وَمَشَقَّةٍ مِنْ إِشَارَةٍ، وَنَحْوِهَا كَمَا يُفْهَمُ الْبُكْمُ.

وَقُرِئَ: ﴿يَفْقَهُونَ﴾[8]، أَيْ: لَا يُفْهِمُونَ السَّامِعَ كَلَامَهُمْ وَلَا يُبَيِّنُونَهُ، لِأَنَّ لُغَتَهُمْ غَرِيبَةٌ مَجْهُولَةٌ.

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[6] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[7] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[8] سورة الْكَهْفِ، الآية.

﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾[1]

﴿يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾[2]: اسْمَانِ أَعْجَمِيَّانِ بِدَلِيلِ مَنْعِ الصَّرْفِ.

وَقُرِئَ: "مَهْمُوزَيْنِ".

وَقَرَأَ رُؤْبَةُ: "آجُوجَ وَمَاجُوجَ"، وَهُمَا مِنْ وَلَدِ يَافِثَ.

وَقِيلَ: يَأْجُوجُ مِنَ التُّرْكِ، وَمَأْجُوجُ مِنَ الْجِيلِ وَالدَّيْلَمِ.

﴿مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾[3]، قِيلَ: كَانُوا يَأْكُلُونَ النَّاسَ.

وَقِيلَ: كَانُوا يَخْرُجُونَ أَيَّامَ الرَّبِيعِ فَلَا يَتْرُكُونَ شَيْئًا أَخْضَرَ إِلَّا أَكَلُوهُ، وَلَا يَابِسًا إِلَّا احْتَمَلُوهُ، وَكَانُوا يَلْقَوْنَ مِنْهُمْ قَتْلًا وَأَذًى شَدِيدًا.

وَعَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي صِفَتِهِمْ: "لَا يَمُوتُ أَحَدٌ مِنْهُمْ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى أَلْفِ ذَكَرٍ مِنْ صُلْبِهِ، كُلُّهُمْ قَدْ حَمَلَ السِّلَاحَ".

وَقِيلَ: هُمْ عَلَى صِنْفَيْنِ، طِوَالٌ مُفْرِطُو الطُّولِ، وَقِصَارٌ مُفْرِطُو الْقِصَرِ.

وَقُرِئَ: ﴿خَرْجًا﴾[4] وَ"خَرَاجًا"، أَيْ: جُعْلًا نُخْرِجُهُ مِنْ أَمْوَالِنَا: وَنَظِيرُهُمَا: النَّوْلُ وَالنَّوَالُ.

وَقُرِئَ: ﴿سَدًّا﴾[5] وَ"سُدًّا" بِالْفَتْحِ وَالضَّمِّ.

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾[6]

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[6] سورة الْكَهْفِ، الآية.

مَا جَعَلَنِي فِيهِ مَكِينًا مِنْ كَثْرَةِ الْمَالِ وَالْيَسَارِ، خَيْرٌ مِمَّا تَبْذُلُونَ لِي مِنَ الْخَرَاجِ، فَلَا حَاجَةَ بِي إِلَيْهِ، كَمَا قَالَ سُلَيْمَانُ -صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ-: ﴿فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ﴾[1].

قُرِئَ: بِالْإِدْغَامِ وَبِفَكِّهِ.

﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾[2]: بِفَعَلَةٍ وَصُنَّاعٍ يُحْسِنُونَ الْبِنَاءَ وَالْعَمَلَ، وَبِالْآلَاتِ.

﴿رَدْمًا﴾[3]: حَاجِزًا حَصِينًا مُوثَقًا، وَالرَّدْمُ: أَكْبَرُ مِنَ السَّدِّ، مِنْ قَوْلِهِمْ: ثَوْبٌ مُرَدَّمٌ، رِقَاعٌ فَوْقَ رِقَاعٍ.

وَقِيلَ: حَفَرَ الْأَسَاسَ حَتَّى بَلَغَ الْمَاءَ، وَجَعَلَ الْأَسَاسَ مِنَ الصَّخْرِ، وَالنُّحَاسِ الْمُذَابِ وَالْبُنْيَانَ مِنْ زُبَرِ الْحَدِيدِ، بَيْنَهُمَا الْحَطَبُ وَالْفَحْمُ حَتَّى سَدَّ مَا بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ إِلَى أَعْلَاهُمَا؛ ثُمَّ وَضَعَ الْمَنَافِيخَ حَتَّى إِذَا صَارَتْ كَالنَّارِ، صَبَّ النُّحَاسَ الْمُذَابَ عَلَى الْحَدِيدِ الْمَحْمِيِّ، فَاخْتَلَطَ وَالْتَصَقَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ وَصَارَ جَبَلًا صَلْدًا.

وَقِيلَ: بُعْدُ مَا بَيْنَ السَّدَّيْنِ مِائَةُ فَرْسَخٍ.

وَقُرِئَ: "سَوَّى"، وَ"سَوَوِي".

وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: أَنَّ رَجُلًا أَخْبَرَهُ بِهِ فَقَالَ: كَيْفَ رَأَيْتَهُ؟ قَالَ: "كَالْبُرْدِ الْمُحَبَّرِ طَرِيقَةٌ سَوْدَاءَ وَطَرِيقَةٌ حَمْرَاءَ"، قَالَ: "قَدْ رَأَيْتَهُ"، وَالصَّدَفَانِ بِفَتْحَتَيْنِ: جَانِبَا الْجَبَلَيْنِ، لِأَنَّهُمَا يَتَصَادَفَانِ أَيْ: يَتَقَابَلَانِ.

وَقُرِئَ: "الصُّدُفَيْنِ" بِضَمَّتَيْنِ، وَ"الصُّدْفَيْنِ" بِضَمَّةٍ وَسُكُونٍ، وَ"الصَّدُفَيْنِ" بِفَتْحَةٍ وَضَمَّةٍ.

وَالْقِطْرُ: النُّحَاسُ الْمُذَابُ لِأَنَّهُ يَقْطُرُ.

وَ﴿قِطْرًا﴾[4]: مَنْصُوبٌ بِأُفْرِغْ.

وَتَقْدِيرُهُ: آتَوْنِي قِطْرًا أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا، فَحُذِفَ الْأَوَّلُ لِدَلَالَةِ الثَّانِي عَلَيْهِ.

وَقُرِئَ: "قَالَ ائْتُونِي"، أَيْ: جِيئُونِي.

﴿فَمَا اسْطَاعُواْ﴾[5]: بِحَذْفِ التَّاءِ لِلْخِفَّةِ، لِأَنَّ التَّاءَ قَرِيبَةُ الْمَخْرَجِ مِنَ الطَّاءِ.

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.

وَقُرِئَ: "فَمَا اصْطَاعُوا"، بِقَلْبِ السِّينِ صَادًا.

وَأَمَّا مَنْ قَرَأَ بِإِدْغَامِ التَّاءِ فِي الطَّاءِ، فَمُلَاقٍ بَيْنَ سَاكِنَيْنِ عَلَى غَيْرِ الْحَدِّ.

﴿أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾[1]، أَيْ: يَعْلُوهُ، أَيْ: لَا حِيلَةَ لَهُمْ فِيهِ مِنْ صُعُودٍ، لِارْتِفَاعِهِ وَانْمِلَاسِهِ، وَلَا نَقْبَ لِصَلَابَتِهِ وَثَخَانَتِهِ.

﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾[2]

﴿هَذَا﴾[3]: إِشَارَةٌ إِلَى السَّدِّ، أَيْ: هَذَا السَّدُّ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ، وَ"رَحْمَةٌ": عَلَى عِبَادِهِ، أَوْ هَذَا الْإِقْدَارُ وَالتَّمْكِينُ مِنْ تَسْوِيَتِهِ.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾[4]، يَعْنِي: فَإِذَا دَنَا مَجِيءُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَشَارَفَ أَنْ يَأْتِيَ جَعَلَ السَّدَّ، ﴿دَكَّاءَ﴾[5]، أَيْ: مَدْكُوكًا مَبْسُوطًا مُسْوًى بِالْأَرْضِ، وَكُلُّ مَا انْبَسَطَ مِنْ بَعْدِ ارْتِفَاعٍ فَقَدِ انْدَكَّ.

وَمِنْهُ: الْجَمَلُ الْأَدَكُّ: الْمُنْبَسِطُ السَّنَامِ.

وَقُرِئَ: "دَكَّاءَ" بِالْمَدِّ، أَيْ: أَرْضًا مُسْتَوِيَةً.

﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾[6]: آخِرُ حِكَايَةِ قَوْلِ ذِي الْقَرْنَيْنِ.

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾[7]

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[6] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[7] سورة الْكَهْفِ، الآية.

﴿وَتَرَكْنَا﴾[1]: وَجَعَلْنَا، ﴿بَعْضَهُمْ﴾[2]: بَعْضَ الْخَلْقِ، ﴿يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾[3]، أَيْ: يَضْطَرِبُونَ وَيَخْتَلِطُونَ إِنْسُهُمْ وَجِنُّهُمْ حَيَارَى.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ لِيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَأَنَّهُمْ يَمُوجُونَ حِينَ يَخْرُجُونَ مِنْ وَرَاءِ السَّدِّ مُزْدَحِمِينَ فِي الْبِلَادِ.

وَرُوِيَ: يَأْتُونَ الْبَحْرَ فَيَشْرَبُونَ مَاءَهُ وَيَأْكُلُونَ دَوَابَّهُ، ثُمَّ يَأْكُلُونَ الشَّجَرَ، وَمَنْ ظَفِرُوا بِهِ مِمَّنْ لَمَّ يَتَحَصَّنْ مِنْهُمْ مِنَ النَّاسِ، وَلَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَأْتُوا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ وَبَيْتَ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ نَغَفًا فِي أَقْفَائِهِمْ فَيَدْخُلُ فِي آذَانِهِمْ فَيَمُوتُونَ.

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾[4]

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ﴾[5]: وَبَرَّزْنَاهَا لَهُمْ فَرَأَوْهَا وَشَاهَدُوهَا، ﴿عَنْ ذِكْرِي﴾[6]: عَنْ آيَاتِي الَّتِي يُنْظَرُ إِلَيْهَا فَأُذْكَرُ بِالتَّعْظِيمِ، أَوْ عَنِ الْقُرْآنِ وَتَأَمُّلِ مَعَانِيهِ وَتَبَصُّرِهَا، وَنَحْوُهُ: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ، وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾[7]، يَعْنِي: وَكَانُوا صُمًّا عَنْهُ، إِلَّا أَنَّهُ أَبْلَغُ، لِأَنَّ الْأَصَمَّ قَدْ يَسْتَطِيعُ السَّمْعَ إِذَا صِيحَ بِهِ، وَهَؤُلَاءِ كَأَنَّهُمْ أُصْمِيَتْ أَسْمَاعُهُمْ فَلَا اسْتِطَاعَةَ بِهِمْ لِلسَّمْعِ.

﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾[8]

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[6] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[7] سورة الْكَهْفِ، الآية.
[8] سورة الْكَهْفِ، الآية.

﴿عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾[1]: هُمُ الْمَلَائِكَةُ، يَعْنِي: أَنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ، كَمَا حَكَى عَنْهُمْ: ﴿سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾[2].

وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ: "أَفَظَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا".

وَقِرَاءَةُ عَلِيٍّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: "أَفَحَسْبُ الَّذِينَ كَفَرُوا"، أَيْ: أَفَكَافِيهِمْ وَمُحْسِبُهُمْ أَنْ يَتَّخِذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ عَلَى الِابْتِدَاءِ وَالْخَبَرِ، أَوْ عَلَى الْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ، لِأَنَّ اسْمَ الْفَاعِلِ إِذَا اعْتَمَدَ عَلَى الْهَمْزَةِ سَاوَى الْفِعْلَ فِي الْعَمَلِ، كَقَوْلِكَ: "أَقَائِمٌ الزَّيْدَانِ".

وَالْمَعْنَى: أَنَّ ذَلِكَ لَا يَكْفِيهِمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ كَمَا حَسِبُوا، وَهِيَ قِرَاءَةٌ مُحْكَمَةٌ جَيِّدَةٌ، النُّزُلُ: مَا يُقَامُ لِلنَّزِيلِ وَهُوَ الضَّيْفُ، وَنَحْوُهُ: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[3].

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾[4]

﴿ضَلَّ سَعْيُهُمْ﴾[5]: ضَاعَ وَبَطَلَ وَهُمُ الرُّهْبَانُ، عَنْ عَلِيٍّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–، كَقَوْلِهِ: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾[6].

وَعَنْ مُجَاهِدٍ: أَهْلُ الْكِتَابِ.

وَعَنْ عَلِيٍّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: أَنَّ ابْنَ الْكَوَّا سَأَلَهُ عَنْهُمْ؟ فَقَالَ: مِنْهُمْ أَهْلُ حَرُورَاءَ.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: يَأْتِي نَاسٌ بِأَعْمَالٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هِيَ عِنْدَهُمْ فِي الْعِظَمِ كَجِبَالِ تِهَامَةَ، فَإِذَا وَزَنُوهَا لَمْ تَزِنْ شَيْئًا.

﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾[7]: فَنَزْدَرِي بِهِمْ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ عِنْدَنَا وَزْنٌ وَمِقْدَارٌ.

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[6] سورة الْغَاشِيَةُ، الآية 3.

[7] سورة الْكَهْفِ، الآية.

وَقِيلَ: لَا يُقَامُ لَهُمْ مِيزَانٌ، لِأَنَّ الْمِيزَانَ إِنَّمَا يُوضَعُ لِأَهْلِ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ.

وَقُرِئَ: "فَلَا يُقِيمُ"، بِالْيَاءِ.

فَإِنْ قُلْتَ: الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي أَيِّ مَحَلٍّ هُوَ؟

قُلْتُ: الْأَوْجَهُ أَنْ يَكُونَ فِي مَحَلِّ الرَّفْعِ، عَلَى: هُمُ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ، لِأَنَّهُ جَوَابٌ عَنِ السُّؤَالِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نَصْبًا عَلَى الذَّمِّ، أَوْ جَرًّا عَلَى الْبَدَلِ.

﴿جَهَنَّمُ﴾[1]: عَطْفُ بَيَانٍ لِقَوْلِهِ: ﴿جَزَاؤُهُمْ﴾[2].

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾[3]

الْحِوَلُ: التَّحَوُّلُ، يُقَالُ: حَالَ مِنْ مَكَانِهِ حِوَلًا، كَقَوْلِكَ: عَادَنِي حُبُّهَا عِوَدًا، يَعْنِي: لَا مَزِيدَ عَلَيْهَا حَتَّى تُنَازِعُهُمْ أَنْفُسُهُمْ إِلَى أَجْمَعَ لِأَغْرَاضِهِمْ وَأَمَانِيهِمْ، وَهَذِهِ غَايَةُ الْوَصْفِ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ فِي الدُّنْيَا فِي أَيِّ نَعِيمٍ كَانَ فَهُوَ طَامِحُ الطَّرْفِ إِلَى أَرْفَعَ مِنْهُ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ نَفْيُ التَّحَوُّلِ وَتَأْكِيدُ الْخُلُودِ.

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾[4]

الْمِدَادُ: اسْمُ مَا تُمَدُّ بِهِ الدَّوَاةُ مِنَ الْحِبْرِ وَمَا يُمَدُّ بِهِ السِّرَاجُ مِنَ السَّلِيطِ، وَيُقَالُ: السِّمَادُ مِدَادُ الْأَرْضِ.

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[3] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[4] سورة الْكَهْفِ، الآية.

وَالْمَعْنَى: لَوْ كُتِبَتْ كَلِمَاتُ عِلْمِ اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ وَكَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَهَا، وَالْمُرَادُ بِالْبَحْرِ: الْجِنْسُ، ﴿لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ﴾[1]: الْكَلِمَاتُ.

﴿وَلَوْ جِئْنَا﴾[2]: بِمِثْلِ الْبَحْرِ مِدَادًا لَنَفِدَ -أَيْضًا- وَالْكَلِمَاتُ غَيْرُ نَافِدَةٍ.

وَ"مِدَادًا": تَمْيِيزٌ، كَقَوْلِكَ: لِي مِثْلُهُ رَجُلًا، وَالْمَدَدُ مِثْلُ الْمِدَادِ، وَهُوَ مَا يُمَدُّ بِهِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: بِمِثْلِهِ مِدَادًا.

وَقَرَأَ الْأَعْرَجُ: "مِدَدًا" بِكَسْرِ الْمِيمِ جَمْعُ مُدَّةٍ، وَهِيَ: مَا يَسْتَمِدُّهُ الْكَاتِبُ فَيَكْتُبُ بِهِ.

وَقُرِئَ: "يَنْفَدُ": بِالْيَاءِ.

وَقِيلَ: قَالَ حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ: فِي كِتَابِكُمْ، ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[3]، ثُمَّ تَقْرَءُونَ: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلا﴾[4]، فَنَزَلَتْ، يَعْنِي: أَنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّهُ قَطْرَةٌ مِنْ بَحْرِ كَلِمَاتِ اللَّهِ.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[5]

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾[6]: فَمَنْ كَانَ يُؤَمِّلُ حُسْنَ لِقَاءِ رَبِّهِ، وَأَنْ يَلْقَاهُ لِقَاءَ رِضًا وَقَبُولٍ، وَقَدْ فَسَّرْنَا اللِّقَاءَ، أَوْ: أَفَمَنْ كَانَ يَخَافُ سُوءَ لِقَائِهِ.

وَالْمُرَادُ بِالنَّهْيِ عَنِ الْإِشْرَاكِ بِالْعِبَادَةِ: أَلَّا يُرَائِيَ بِعَمَلِهِ، وَأَلَّا يَبْتَغِيَ بِهِ إِلَّا وَجْهَ رَبِّهِ خَالِصًا لَا يَخْلِطُ بِهِ غَيْرَهُ.

وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي جُنْدُبِ ابْنِ زُهَيْرٍ، قَالَ لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "إِنِّي أَعْمَلُ الْعَمَلَ لِلَّهِ، فَإِذَا اطُّلِعَ عَلَيْهِ سَرَّنِي، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مَا شُورِكَ فِيهِ".

وَرُوِيَ أَنَّهُ قَالَ: "لَكَ أَجْرَانِ: أَجْرُ السِّرِّ، وَأَجْرُ الْعَلَانِيَةِ"، وَذَلِكَ إِذَا قَصَدَ أَنْ يُقْتَدَى بِهِ.

---

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[2] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[3] سورة الْبَقَرَةُ، الآية 269.

[4] سورة الْإِسْرَاءُ، الآية 85.

[5] سورة الْكَهْفِ، الآية.

[6] سورة الْكَهْفِ، الآية.

وَعَنْهُ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "اتَّقُوا الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ"، قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ؟ قَالَ: "الرِّيَاءُ".

وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ مِنْ آخِرِهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا مِنْ قَرْنِهِ إِلَى قَدَمِهِ، وَمَنْ قَرَأَهَا كُلَّهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا مِنَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ"، وَعَنْهُ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَنْ قَرَأَ عِنْدَ مَضْجَعِهِ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾[1] كَانَ لَهُ مِنْ مَضْجَعِهِ نُورًا يَتَلَأْلَأُ إِلَى مَكَّةَ، حَشْوُ ذَلِكَ النُّورِ مَلَائِكَةٌ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى يَقُومَ، وَإِنْ كَانَ مَضْجَعُهُ بِمَكَّةَ كَانَ لَهُ نُورًا يَتَلَأْلَأُ مِنْ مَضْجَعِهِ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، حَشْوُ ذَلِكَ النُّورِ مَلَائِكَةٌ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ"، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

[1] سورة الْكَهْفِ، الآية.

سُورَةُ مَرْيَمَ

سُورَةُ مَرْيَمَ

ر َيَة]إِلَا آرَرَ ْ 58 رَ 71 لَوهِرِاجِرَا فِ[
رَآرَاهِرْا 98
]لِرَكْ ْ رَعَاهِ سِوَرَكْ لَا فِ رَ[

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿كهيعص ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾[1]

﴿كهيعص﴾[2]: قَرَأَ بِفَتْحِ الْهَاءِ وَكَسْرِ الْيَاءِ: حَمْزَةُ، وَبِكَسْرِهِمَا: عَاصِمٌ، وَبِضَمِّهِمَا: الْحَسَنُ.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾[3]، أَيْ: هَذَا الْمَتْلُوُّ مِنَ الْقُرْآنِ، ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾[4].

وَقُرِئَ: "ذَكِّرْ": عَلَى الْأَمْرِ، رَاعَى سُنَّةَ اللَّهِ فِي إِخْفَاءِ دَعْوَتِهِ؛ لِأَنَّ الْجَهْرَ وَالْإِخْفَاءَ عِنْدَ اللَّهِ سِيَّانِ، فَكَانَ الْإِخْفَاءُ أَوْلَى؛ لِأَنَّهُ أَبْعَدُ مِنَ الرِّيَاءِ وَأَدْخَلُ فِي الْإِخْلَاصِ.

وَعَنِ الْحَسَنِ: نِدَاءٌ لَا رِيَاءَ فِيهِ، أَوْ أَخْفَاهُ لِئَلَّا يُلَامَ عَلَى طَلَبِ الْوَلَدِ فِي إِبَّانِ الْكَبْرَةِ وَالشَّيْخُوخَةِ، أَوْ أَسَرَّهُ مِنْ مَوَالِيهِ الَّذِينَ خَافَهُمْ، أَوْ خَفَتَ صَوْتُهُ لِضَعْفِهِ وَهَرَمِهِ، كَمَا جَاءَ فِي صِفَةِ الشَّيْخِ: صَوْتُهُ خِفَاتٌ، وَسَمْعُهُ تَارَاتٌ.

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[2] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[3] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[4] سورة مَرْيَمَ، الآية.

وَاخْتُلِفَ فِي سِنِّ زَكَرِيَّا –عَلَيْهِ السَّلَامُ–، فَقِيلَ: سِتُّونَ، وَخَمْسٌ وَسِتُّونَ، وَسَبْعُونَ، وَخَمْسٌ وَسَبْعُونَ، وَخَمْسٌ وَثَمَانُونَ.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾[1]

قُرِئَ ﴿وَهَنَ﴾[2]: بِالْحَرَكَاتِ الثَّلَاثِ؛ وَإِنَّمَا ذُكِرَ الْعَظْمُ، لِأَنَّهُ عَمُودُ الْبَدَنِ وَبِهِ قِوَامُهُ وَهُوَ أَصْلُ بِنَائِهِ، فَإِذَا وَهُنَ تَدَاعَى وَتَسَاقَطَتْ قُوَّتُهُ؛ وَلِأَنَّهُ أَشَدُّ مَا فِيهِ وَأَصْلَبُهُ، فَإِذَا وَهُنَ كَانَ مَا وَرَاءَهُ أَوْهَنَ، وَوَحَّدَهُ؛ لِأَنَّ الْوَاحِدَ هُوَ الدَّالُّ عَلَى مَعْنَى الْجِنْسِيَّةِ، وَقَصَدَهُ إِلَى أَنَّ هَذَا الْجِنْسَ الَّذِي هُوَ الْعَمُودُ وَالْقَوَامُ وَأَشَدُّ مَا تَرَكَّبَ مِنْهُ الْجَسَدُ قَدْ أَصَابَهُ الْوَهَنُ، وَلَوْ جُمِعَ لَكَانَ قَصْدًا إِلَى مَعْنًى آخَرَ، وَهُوَ أَنَّهُ لَمْ يَهِنْ مِنْهُ بَعْضُ عِظَامِهِ وَلَكِنْ كُلُّهَا، إِدْغَامُ السِّينِ فِي الشِّينِ.

عَنْ أَبِي عَمْرٍو، شَبَّهَ الشَّيْبَ بِشُوَاظِ النَّارِ فِي بَيَاضِهِ وَإِنَارَتِهِ وَانْتِشَارِهِ فِي الشَّعَرِ وَفُشُوِّهِ فِيهِ وَأَخْذِهِ مِنْهُ كُلَّ مَأْخَذٍ، بِاشْتِعَالِ النَّارِ، ثُمَّ أَخْرَجَهُ مَخْرَجَ الِاسْتِعَارَةِ، ثُمَّ أَسْنَدَ الِاشْتِعَالَ إِلَى مَكَانِ الشَّعَرِ وَمَنْبَتِهِ، وَهُوَ الرَّأْسُ، وَأَخْرَجَ الشَّيْبَ مُمَيَّزًا وَلَمْ يُضِفِ الرَّأْسَ: اكْتِفَاءً بِعِلْمِ الْمُخَاطَبِ أَنَّهُ رَأْسُ زَكَرِيَّا؛ فَمِنْ ثَمَّ فَصُحَتْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ وَشُهِدَ لَهَا بِالْبَلَاغَةِ، تَوَسَّلَ إِلَى اللَّهِ بِمَا سَلَفَ لَهُ مِنَ الِاسْتِجَابَةِ.

وَعَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّ مُحْتَاجًا سَأَلَهُ وَقَالَ: أَنَا الَّذِي أَحْسَنْتَ إِلَيَّ وَقْتَ كَذَا، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِمَنْ تَوَسَّلَ بِنَا إِلَيْنَا، وَقَضَى حَاجَتَهُ.

﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[3]

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[2] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[3] سورة مَرْيَمَ، الآية.

كَانَ مَوَالِيهِ –وَهُمْ عَصَبَتُهُ إِخْوَتُهُ وَبَنُو عَمِّهِ– شِرَارَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَخَافَهُمْ عَلَى الدِّينِ أَنْ يُغَيِّرُوهُ وَيُبَدِّلُوهُ، وَأَلَّا يُحْسِنُوا الْخِلَافَةَ عَلَى أُمَّتِهِ، فَطَلَبَ عَقِبًا مِنْ صُلْبِهِ صَالِحًا يُقْتَدَى بِهِ فِي إِحْيَاءِ الدِّينِ وَيَرْتَسِمُ مَرَاسِمَهُ فِيهِ ﴿مِنْ وَرَائِي﴾[1]: بَعْدَ مَوْتِي.

وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ: ﴿مِنْ وَرَائِي﴾[2]: بِالْقَصْرِ، وَهَذَا الظَّرْفُ لَا يَتَعَلَّقُ بِخَفْتُ، لِفَسَادِ الْمَعْنَى، وَلَكِنْ بِمَحْذُوفٍ، أَوْ بِمَعْنَى: الْوِلَايَةُ فِي الْمَوَالِي، أَيْ: خِفْتُ فِعْلَ الْمَوَالِي وَهُوَ تَبْدِيلُهُمْ وَسُوءُ خِلَافَتِهِمْ مِنْ وَرَائِي، أَوْ خِفْتُ الَّذِينَ يَلُونَ الْأَمْرَ مِنْ وَرَائِي.

وَقَرَأَ عُثْمَانُ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ، وَعَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ–: ﴿خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي﴾[3].

وَهَذَا عَلَى مَعْنَيَيْنِ:

– أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ ﴿وَرَائِي﴾[4] بِمَعْنَى: خَلْفِي وَبَعْدِي، فَيَتَعَلَّقُ الظَّرْفُ بِالْمَوَالِي، أَيْ: قَلُّوا وَعَجَزُوا عَنْ إِقَامَةِ أَمْرِ الدِّينِ، فَسَأَلَ رَبَّهُ تَقْوِيَتَهُمْ وَمُظَاهَرَتَهُمْ بِوَلِيٍّ يَرْزُقُهُ.

– وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى: قُدَّامِي، فَيَتَعَلَّقُ بِـ ﴿خِفْتُ﴾[5]، وَيُرِيدُ أَنَّهُمْ خَفُّوا قُدَّامَهُ وَدَرَجُوا، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَنْ بِهِ تَقَوٍّ وَاعْتِضَادٌ.

﴿مِنْ لَدُنْكَ﴾[6]: تَأْكِيدٌ لِكَوْنِهِ وَلِيًّا مَرْضِيًّا، بِكَوْنِهِ مُضَافًا إِلَى اللَّهِ –تَعَالَى– وَصَادِرًا مِنْ عِنْدِهِ، وَإِلَّا –فَهَبْ لِي وَلِيًّا يَرِثُنِي–: كَافٍ، أَوْ أَرَادَ اخْتِرَاعًا مِنْكَ بِلَا سَبَبٍ؛ لِأَنِّي وَامْرَأَتِي لَا نَصْلُحُ لِلْوِلَادَةِ.

﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ﴾[7]: الْجَزْمُ جَوَابُ الدُّعَاءِ، وَالرَّفْعُ صِفَةٌ؛ وَنَحْوُهُ: ﴿رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾[8].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالْجَحْدَرِيِّ: "يَرِثُنِي وَأَرِثُ آلَ يَعْقُوبَ": نُصِبَ عَلَى الْحَالِ.

وَعَنِ الْجَحْدَرِيِّ: "أُوَيْرِثُ": عَلَى تَصْغِيرِ: وَارِثٍ، وَقَالَ: غُلَيِّمٌ صَغِيرٌ.

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[2] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[3] سورة، الآية.

[4] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[5] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[6] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[7] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[8] سورة الْقَصَصَ، الآية 34.

وَعَنْ عَلِيٍّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– وَجَمَاعَةٍ: "وَارِثٌ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ"، أَيْ: يَرِثُنِي بِهِ وَارِثٌ، وَيُسَمَّى: التَّجْرِيدُ فِي عِلْمِ الْبَيَانِ.

وَالْمُرَادُ بِالْإِرْثِ: إِرْثُ الشَّرْعِ وَالْعِلْمِ؛ لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَا تُوَرِّثُ الْمَالَ.

وَقِيلَ: يَرِثُنِي الْحُبُورَةَ وَكَانَ حَبْرًا، وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ الْمُلْكَ، يُقَالُ: وَرِثْتُهُ وَوَرِثْتُ مِنْهُ لُغَتَانِ.

وَقِيلَ: ﴿مِنْ﴾[1] لِلتَّبْعِيضِ لَا لِلتَّعْدِيَةِ؛ لِأَنَّ آلَ يَعْقُوبَ لَمْ يَكُونُوا كُلُّهُمْ أَنْبِيَاءَ وَلَا عُلَمَاءَ، وَكَانَ زَكَرِيَّا –عَلَيْهِ السَّلَامُ– مِنْ نَسْلِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ.

وَقِيلَ: هُوَ يَعْقُوبُ بْنُ مَاتَانَ أَخُو زَكَرِيَّا.

وَقِيلَ: يَعْقُوبُ هَذَا وَعِمْرَانُ أَبُو مَرْيَمَ أَخَوَانِ مِنْ نَسْلِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ.

﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾[2]

****** ﴿سَمِيًّا﴾[3]: لَمْ يُسَمَّ أَحَدٌ بِيَحْيَى قَبْلَهُ، وَهَذَا شَاهِدٌ عَلَى أَنَّ الْأَسَامِيَ السُّنَعَ جَدِيرَةٌ بِالْأَثَرَةِ، وَإِيَّاهَا كَانَتِ الْعَرَبُ تَنْتَحِي فِي التَّسْمِيَةِ؛ لِكَوْنِهَا أَنْبَهَ وَأَنْوَهَ وَأَنْزَهَ عَنِ النَّبْزِ، حَتَّى قَالَ الْقَائِلُ فِي مَدْحِ قَوْمٍ:

سُنُعُ الْأَسَامِي مُسْبِلِي أُزُرٍ حُمْرٍ تَمُسُّ الأرض بِالْهُدُبِ

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[2] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[3] سورة مَرْيَمَ، الآية.

وَقَالَ رُؤْبَةُ لِلنَّسَّابَةِ الْبِكْرِيِّ –وَقَدْ سَأَلَهُ عَنْ نَسَبِهِ–: أَنَا ابْنُ الْعَجَّاجِ ، فَقَالَ: قَصَرْتَ وَعَرَّفْتَ.

وَقِيلَ: مَثَلًا وَشَبِيهًا عَنْ مُجَاهِدٍ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[1].

وَإِنَّمَا قِيلَ لِلْمَثَلِ: "سَمِيٌّ"، لِأَنَّ كُلَّ مُتَشَاكِلَيْنِ يُسَمَّى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِاسْمِ الْمِثْلِ وَالشَّبِيهِ وَالشَّكْلِ وَالنَّظِيرِ، فَكُلُّ وَاحِدٍ سَمِيٌّ لِصَاحِبِهِ؛ وَنَحْوَ: "يَحْيَى" فِي أَسْمَائِهِمْ: "يُعَمَّرُ، وَيَعِيشُ" إِنْ كَانَتِ التَّسْمِيَةُ عَرَبِيَّةً، وَقَدْ سَمُّوا بِيَمُوتُ أَيْضًا– وَهُوَ يَمُوتُ ابْنُ الْمُزْرِعِ، قَالُوا: لَمْ يَكُنْ لَهُ مَثَلٌ فِي أَنَّهُ لَمْ يَعْصِ وَلَمْ يَهُمَّ بِمَعْصِيَةٍ قَطُّ، وَأَنَّهُ وُلِدَ بَيْنَ شَيْخٍ فَانٍ وَعَجُوزٍ عَاقِرٍ، وَأَنَّهُ كَانَ حَصُورًا.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾[2]

أَيْ: كَانَتْ عَلَى صِفَةِ الْعَقْرِ: حِينَ أَنَا شَابٌّ وَكَهْلٌ، فَمَا رُزِقْتُ الْوَلَدَ لِاخْتِلَالِ أَحَدِ السَّبَبَيْنِ، أَفَحِينَ اخْتَلَّ السَّبَبَانِ جَمِيعًا أُرْزَقُهُ؟

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ طَلَبَ أَوَّلًا وَهُوَ وَامْرَأَتُهُ عَلَى صِفَةِ الْعِتِيِّ وَالْعَقْرِ، فَلَمَّا أُسْعِفَ بِطِلْبَتِهِ اسْتَبْعَدَ وَاسْتَعْجَبَ؟

قُلْتُ: لِيُجَابَ بِمَا أُجِيبَ بِهِ، فَيَزْدَادَ الْمُؤْمِنُونَ إِيقَانًا وَيَرْتَدِعَ الْمُبْطِلُونَ، وَإِلَّا فَمُعْتَقَدُ زَكَرِيَّا أَوَّلًا وَآخِرًا كَانَ عَلَى مِنْهَاجٍ وَاحِدٍ: فِي أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْأَسْبَابِ، أَيْ: بَلَغْتُ عِتِيًّا، وَهُوَ: الْيُبْسُ وَالْجَسَاوَةُ فِي الْمَفَاصِلِ وَالْعِظَامِ كَالْعُودِ الْقَاحِلِ، يُقَالُ: عَتَا الْعُودُ وَعَسَا مِنْ أَجْلِ الْكِبَرِ وَالطَّعْنِ فِي السِّنِّ الْعَالِيَةِ، أَوْ بَلَغْتُ مِنْ مَدَارِجِ الْكِبَرِ وَمَرَاتِبِهِ مَا يُسَمَّى عِتِيًّا.

وَقَرَأَ ابْنُ وَثَّابٍ وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ بِكَسْرِ الْعَيْنِ، وَكَذَلِكَ صِلِيًّا، وَابْنُ مَسْعُودٍ بِفَتْحِهِمَا.

وَقَرَأَ أُبَيٌّ وَمُجَاهِدٌ "عِسِيًّا".

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية 65.

[2] سورة مَرْيَمَ، الآية.

﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾[1]

﴿كَذَلِكَ﴾[2]: الْكَافُ رَفْعٌ، أَيِ: الْأَمْرُ كَذَلِكَ تَصْدِيقٌ لَهُ، ثُمَّ ابْتَدَأَ ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾[3]: أَوْ نَصْبٌ بِقَالَ، وَذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى مُبْهَمٍ يُفَسِّرُهُ ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾[4]؛ وَنَحْوَهُ: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾[5].

وَقَرَأَ الْحَسَنُ: "وَهُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ"، وَلَا يَخْرُجُ هَذَا إِلَّا عَلَى الْوَجْهِ الْأَوَّلِ، أَيِ: الْأَمْرُ كَمَا قُلْتَ، وَهُوَ عَلَى ذَلِكَ يَهُونُ عَلَيَّ.

وَوَجْهٌ آخَرُ: وَهُوَ أَنْ يُشَارَ بِذَلِكَ إِلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ وَعْدِ اللَّهِ، لَا إِلَى قَوْلِ زَكَرِيَّا.

وَ﴿قَالَ﴾[6]: "مَحْذُوفٌ فِي كِلْتَا الْقِرَاءَتَيْنِ، أَيْ: قَالَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ، قَالَ: وَهُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ؛ وَإِنْ شِئْتَ لَمْ تَنْوِهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُخَاطِبُ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ وَوَعَدَهُ.

وَقَوْلُهُ الْحَقُّ: ﴿شَيْئًا﴾[7]؛ لِأَنَّ الْمَعْدُومَ لَيْسَ بِشَيْءٍ، أَوْ شَيْئًا يُعْتَدُّ بِهِ؛ كَقَوْلِهِمْ: عَجِبْتُ: مِنْ لَا شَيْءَ.

وَقَوْلُهُ:

إِذَا رَأَى غَيْرَ شَيْءٍ ظَنَّهُ رَجُلًا

وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ وَالْكِسَائِيُّ وَابْنُ وَثَّابٍ: "خَلَقْنَاكَ".

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾[8]

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.
[2] سورة مَرْيَمَ، الآية.
[3] سورة مَرْيَمَ، الآية.
[4] سورة مَرْيَمَ، الآية.
[5] سورة الْحِجْرَ، الآية 6.
[6] سورة مَرْيَمَ، الآية.
[7] سورة مَرْيَمَ، الآية.
[8] سورة مَرْيَمَ، الآية.

أَيِ: اجْعَلْ لِي عَلَامَةً أَعْلَمُ بِهَا وُقُوعَ مَا بُشِّرْتُ بِهِ، قَالَ: عَلَامَتُكَ أَنْ تُمْنَحَ الْكَلَامَ فَلَا تُطِيقُهُ، وَأَنْتَ سَلِيمُ الْجَوَارِحِ سَوِيُّ الْخَلْقِ، مَا بِكَ خَرَسٌ وَلَا بَكَمٌ، دَلَّ ذِكْرُ اللَّيَالِي هُنَا، وَالْأَيَّامُ فِي آلِ عِمْرَانَ، عَلَى أَنَّ الْمَنْعَ مِنَ الْكَلَامِ اسْتَمَرَّ بِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيهِنَّ.

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[1]

أَوْحَى: أَشَارَ، عَنْ مُجَاهِدٍ: وَيَشْهَدُ لَهُ: ﴿إِلاَّ رَمْزًا﴾[2].
وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: كَتَبَ لَهُمْ عَلَى الأرض.
﴿سَبِّحُوا﴾[3]: صَلُّوا، أَوْ عَلَى الظَّاهِرِ.
و﴿أَنْ﴾: هِيَ الْمُفَسِّرَةُ.

﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[4]

أَيْ: خُذِ التَّوْرَاةَ بِجِدٍّ وَاسْتِظْهَارٍ بِالتَّوْفِيقِ وَالتَّأْيِيدِ ﴿الْحُكْمَ﴾[5]: الْحِكْمَةَ؛ وَمِنْهُ:

وَاحْكُمْ كَحُكْمِ فَتَاةِ الْحَيِّ

يُقَالُ: حَكَمَ حُكْمًا كَحَلُمَ، وَهُوَ الْفَهْمُ لِلتَّوْرَاةِ وَالْفِقْهُ فِي الدِّينِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.
وَقِيلَ: دُعَاءُ الصِّبْيَانِ إِلَى اللَّعِبِ وَهُوَ صَبِيٌّ، فَقَالَ: مَا لِلَعِبٍ خُلِقْنَا.
عَنِ الضَّحَّاكِ، وَعَنْ مَعْمَرٍ: الْعَقْلُ.
وَقِيلَ: النُّبُوَّةُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَحْكَمَ عَقْلَهُ فِي صِبَاهُ وَأَوْحَى إِلَيْهِ.

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.
[2] سورة آلَ عِمْرَانَ، الآية 41.
[3] سورة مَرْيَمَ، الآية.
[4] سورة مَرْيَمَ، الآية.
[5] سورة مَرْيَمَ، الآية.

﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾[1]

﴿حَنَانًا﴾[2]: رَحْمَةً لِأَبَوَيْهِ وَغَيْرِهِمَا، وَتَعَطُّفًا وَشَفَقَةً؛ أَنْشَدَ سِيبَوَيْهِ:

وَقَالَتْ: حَنَانٌ مَا أَتَى بِكَ هَا هُنَا أَذُو نَسَبٍ أَمْ أَنْتَ بِالْحَيِّ عَارِفُ؟

وَقِيلَ: حَنَانًا مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَحَنَّ فِي مَعْنَى ارْتَاحَ وَاشْتَاقَ ثُمَّ اسْتُعْمِلَ فِي الْعَطْفِ وَالرَّأْفَةِ.

وَقِيلَ لِلَّهِ "حَنَانٌ" كَمَا قِيلَ: "رَحِيمٌ" عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِعَارَةِ، وَالزَّكَاةُ: الطَّهَارَةُ.

وَقِيلَ: الصَّدَقَةُ، أَيْ: يَتَعَطَّفُ عَلَى النَّاسِ وَيَتَصَدَّقُ عَلَيْهِمْ.

﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾[3]

سَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ، قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: إِنَّهَا أَوْحَشُ الْمَوَاطِنِ.

﴿إِذِ﴾[4] بَدَلٌ مِنْ ﴿مَرْيَمَ﴾[5]: بَدَلَ الِاشْتِمَالِ؛ لِأَنَّ الْأَحْيَانَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى مَا فِيهَا، وَفِي أَنَّ الْمَقْصُودَ بِذِكْرِ مَرْيَمَ ذِكْرُ وَقْتِهَا هَذَا؛ لِوُقُوعِ هَذِهِ الْقِصَّةِ الْعَجِيبَةِ فِيهِ، وَالِانْتِبَاذُ: الِاعْتِزَالُ وَالِانْفِرَادُ، تَخَلَّتْ لِلْعِبَادَةِ فِي مَكَانٍ مِمَّا يَلِي شَرْقِيَّ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، أَوْ مِنْ دَارِهَا مُعْتَزِلَةً عَنِ النَّاسِ.

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[2] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[3] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[4] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[5] سورة مَرْيَمَ، الآية.

وَقِيلَ: قَعَدَتْ فِي مُشْرِفَةٍ لِلِاغْتِسَالِ مِنَ الْحَيْضِ مُحْتَجِبَةً بِحَائِطٍ أَوْ بِشَيْءٍ يَسْتُرُهَا، وَكَانَ مَوْضِعَهَا الْمَسْجِدُ، فَإِذَا حَاضَتْ تَحَوَّلَتْ إِلَى بَيْتِ خَالَتِهَا، فَإِذَا طَهُرَتْ عَادَتْ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَبَيْنَا هِيَ فِي مُغْتَسَلِهَا، أَتَاهَا الْمَلَكُ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ شَابٍّ أَمْرَدَ، وَضِيءَ الْوَجْهِ، جَعْدَ الشَّعَرِ، سَوِيَّ الْخَلْقِ، لَمْ يَنْتَقِصْ مِنَ الصُّورَةِ الْآدَمِيَّةِ شَيْئًا، أَوْ حَسَنُ الصُّورَةِ مُسْتَوِي الْخَلْقِ؛ وَإِنَّمَا مَثُلَ لَهَا فِي صُورَةِ الْإِنْسَانِ لِتَسْتَأْنِسَ بِكَلَامِهِ وَلَا تَنْفِرَ عَنْهُ وَلَوْ بَدَا لَهَا فِي الصُّورَةِ الْمَلَكِيَّةِ، لَنَفَرَتْ وَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى اسْتِمَاعِ كَلَامِهِ، وَدَلَّ عَلَى عَفَافِهَا وَوَرَعِهَا أَنَّهَا تَعَوَّذَتْ بِاللَّهِ مِنْ تِلْكَ الصُّورَةِ الْجَمِيلَةِ الْفَائِقَةِ الْحُسْنِ، وَكَانَ تَمْثِيلُهُ عَلَى تِلْكَ الصِّفَةِ ابْتِلَاءً لَهَا وَسَبْرًا لِعِفَّتِهَا.

وَقِيلَ: كَانَتْ فِي مَنْزِلِ زَوْجِ أُخْتِهَا زَكَرِيَّا، وَلَهَا مِحْرَابٌ عَلَى حِدَةٍ تَسْكُنُهُ، وَكَانَ زَكَرِيَّا إِذَا خَرَجَ أَغْلَقَ عَلَيْهَا الْبَابَ، فَتَمَنَّتْ أَنْ تَجِدَ خَلْوَةً فِي الْجَبَلِ لِتَفْلِيَ رَأْسَهَا، فَانْفَجَرَ السَّقْفُ لَهَا، فَخَرَجَتْ فَجَلَسَتْ فِي الْمُشْرِفَةِ وَرَاءَ الْجَبَلِ فَأَتَاهَا الْمَلَكُ.

وَقِيلَ: قَامَ بَيْنَ يَدَيْهَا فِي صُورَةِ تِرْبٍ لَهَا اسْمُهُ يُوسُفُ مِنْ خَدَمِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ.

وَقِيلَ: إِنَّ النَّصَارَى اتَّخَذَتِ الْمَشْرِقَ قِبْلَةً لِانْتِبَاذِ مَرْيَمَ مَكَانًا شَرْقِيًّا، الرُّوحُ: جِبْرِيلُ؛ لِأَنَّ الدِّينَ يَحْيَا بِهِ وَبِوَحْيِهِ، أَوْ سَمَّاهُ اللَّهُ رُوحَهُ: عَلَى الْمَجَازِ؛ مَحَبَّةً لَهُ وَتَقْرِيبًا، كَمَا تَقُولُ لِحَبِيبِكَ: أَنْتَ رُوحِي.

وَقَرَأَ أَبُو حَيْوَةَ: "رَوْحَنَا" بِالْفَتْحِ؛ لِأَنَّهُ سَبَبٌ لِمَا فِيهِ رَوْحُ الْعِبَادِ، وَإِصَابَةُ الرَّوْحِ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِي هُوَ عُدَّةُ الْمُقَرَّبِينَ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾[1]، أَوْ لِأَنَّهُ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ، وَهُمُ: الْمَوْعُودُونَ بِالرُّوحِ، أَيْ: مُقَرَّبَنَا وَذَا رُوحِنَا.

﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾[2]

أَرَادَتْ إِنْ كَانَ يُرْجَى مِنْكَ أَنْ تَتَّقِيَ اللَّهَ وَتَخْشَاهُ وَتَحْفُلَ بِالِاسْتِعَاذَةِ، فَإِنِّي عَائِذَةٌ بِهِ مِنْكَ؛ كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[3].

---

[1] سورة الْوَاقِعَةَ، الآيتان 88–89.

[2] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[3] سورة يُونُسَ، الآية 86.

﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا﴾[1]

أَيْ: إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ مَنِ اسْتَعَذْتِ بِهِ.

﴿لأَهَبَ لَكِ﴾[2]: لِأَكُونَ سَبَبًا فِي هِبَةِ الْغُلَامِ بِالنَّفْخِ فِي الدِّرْعِ.

وَفِي بَعْضِ الْمَصَاحِفِ: إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ أَمَرَنِي أَنْ أَهَبَ لَكِ، أَوْ هِيَ حِكَايَةٌ لِقَوْلِ اللَّهِ –تَعَالَى–.

﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾[3]

جَعَلَ الْمَسَّ عِبَارَةً عَنِ النِّكَاحِ الْحَلَالِ، لِأَنَّهُ كِنَايَةٌ عَنْهُ؛ كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ﴾[4]، ﴿أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾[5]، وَالزِّنَا لَيْسَ كَذَلِكَ؛ إِنَّمَا يُقَالُ فِيهِ: فَجَرَّبَهَا وَخَبُثَ بِهَا وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَلَيْسَ بِقَمَنٍ أَنْ تُرَاعَى فِيهِ الْكِنَايَاتُ وَالْآدَابُ، وَالْبَغِيُّ: الْفَاجِرَةُ الَّتِي تَبْغِي الرِّجَالَ، وَهِيَ فَعُولٌ عِنْدَ الْمُبَرِّدِ "بَغُويٌ"، فَأُدْغِمَتِ الْوَاوُ فِي الْيَاءِ.

وَقَالَ ابْنُ جِنِّيٍّ فِي كِتَابِ *التَّمَامِ*: هِيَ فَعِيلٌ.

وَلَوْ كَانَتْ فَعُولًا لَقِيلَ: "بَغُوٌّ"، كَمَا قِيلَ: فُلَانٌ نُهُوٌّ عَنِ الْمُنْكَرِ.

﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً﴾[6]: تَعْلِيلٌ مُعَلَّلُهُ مَحْذُوفٌ، أَيْ: وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ فَعَلْنَا ذَلِكَ، أَوْ هُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى تَعْلِيلٍ مُضْمَرٍ، أَيْ: لِنُبَيِّنَ بِهِ قُدْرَتَنَا وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً؛ وَنَحْوُهُ: ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[2] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[3] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[4] سورة الْبَقَرَةَ، الآية 237.

[5] سورة النِّسَاءَ، الآية 43.

[6] سورة مَرْيَمَ، الآية.

السَّمَاوَاتِ وَالأرض بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾[1]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأرض وَلِنُعَلِّمَهُ﴾[2].

﴿مَقْضِيًّا﴾[3]: مُقَدَّرًا مَسْطُورًا فِي اللَّوْحِ لَا بُدَّ لَكَ مِنْ جَرْيِهِ عَلَيْكَ، أَوْ كَانَ أَمْرًا حَقِيقًا بِأَنْ يَكُونَ وَيُقْضَى؛ لِكَوْنِهِ آيَةً وَرَحْمَةً، وَالْمُرَادُ بِالآيَةِ: الْعِبْرَةُ وَالْبُرْهَانُ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ، وَبِالرَّحْمَةِ: الشَّرَائِعُ وَالْأَلْطَافُ، وَمَا كَانَ سَبَبًا فِي قُوَّةِ الِاعْتِقَادِ وَالتَّوَصُّلِ إِلَى الطَّاعَةِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَهُوَ جَدِيرٌ بِالتَّكْوِينِ.

﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾[4] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: فَاطْمَأَنَّتْ إِلَى قَوْلِهِ، فَدَنَا مِنْهَا، فَنَفَخَ فِي جَيْبِ دِرْعِهَا، فَوَصَلَتِ النَّفْخَةُ إِلَى بَطْنِهَا فَحَمَلَتْ.

وَقِيلَ: كَانَتْ مُدَّةُ الْحَمْلِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ.

وَعَنْ عَطَاءٍ وَأَبِي الْعَالِيَةِ وَالضَّحَّاكِ: سَبْعَةَ أَشْهُرٍ.

وَقِيلَ: ثَمَانِيَةً، وَلَمْ يَعِشْ مَوْلُودٌ وُضِعَ لِثَمَانِيَةٍ إِلَّا عِيسَى.

وَقِيلَ: ثَلَاثَ سَاعَاتٍ.

وَقِيلَ: حَمَلَتْهُ فِي سَاعَةٍ، وَصُوِّرَ فِي سَاعَةٍ، وَوَضَعَتْهُ فِي سَاعَةٍ، حِينَ زَالَتِ الشَّمْسُ مِنْ يَوْمِهَا.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: كَانَتْ مُدَّةُ الْحَمْلِ سَاعَةً وَاحِدَةً، كَمَا حَمَلَتْهُ نَبَذَتْهُ.

وَقِيلَ: حَمَلَتْهُ وَهِيَ بِنْتُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً.

وَقِيلَ: بِنْتُ عَشْرٍ، وَقَدْ كَانَتْ حَاضَتْ حَيْضَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ تَحْمِلَ، وَقَالُوا: مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يَسْتَهِلُّ غَيْرَهُ.

﴿فَانْتَبَذَتْ بِهِ﴾[5]، أَيِ: اعْتَزَلَتْ، وَهُوَ فِي بَطْنِهَا؛ كَقَوْلِهِ:

تَدُوسُ بِنَا الْجَمَاجِمَ وَالتَّرِيبَا

أَيْ: تَدُوسُ الْجَمَاجِمَ وَنَحْنُ عَلَى ظُهُورِهَا؛ وَنَحْوَهُ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾[6]، أَيْ: تَنْبُتُ وَدُهْنُهَا فِيهَا: الْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ.

---

[1] سورة الْجَاثِيَةَ، الآية 22.

[2] سورة يُوسُفَ، الآية 56.

[3] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[4] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[5] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[6] سورة الْمُؤْمِنُونَ، الآية.

﴿قَصِيًّا﴾[1]: بَعِيدًا مِنْ أَهْلِهَا وَرَاءَ الْجَبَلِ.

وَقِيلَ: أَقْصَى الدَّارِ.

وَقِيلَ: كَانَتْ سُمِّيَتْ لِابْنِ عَمٍّ لَهَا اسْمُهُ يُوسُفُ.

فَلَمَّا قِيلَ: حَمَلَتْ مِنَ الزِّنَا، خَافَ عَلَيْهَا قَتْلَ الْمَلِكِ، فَهَرَبَ بِهَا.

فَلَمَّا كَانَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ حَدَّثَتْهُ نَفْسُهُ بِأَنْ يَقْتُلَهَا، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: إِنَّهُ مِنْ رُوحِ الْقُدُسِ فَلَا تَقْتُلْهَا، فَتَرَكَهَا.

﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾[2]

﴿فَأَجَاءَهَا﴾[3]: أَجَاءَ: مَنْقُولٌ مِنْ جَاءَ، إِلَّا أَنَّ اسْتِعْمَالَهُ قَدْ تَغَيَّرَ بَعْدَ النَّقْلِ إِلَى مَعْنَى: الْإِلْجَاءِ.

أَلَا تَرَاكَ تَقُولُ: جِئْتُ الْمَكَانَ وَأَجَاءَنِيهِ زَيْدٌ، كَمَا تَقُولُ: بَلَغْتُهُ وَأَبْلَغَنِيهِ؟

وَنَظِيرُهُ: "آتِي"؛ حَيْثُ لَمْ يُسْتَعْمَلْ إِلَّا فِي الْإِعْطَاءِ، وَلَمْ تَقُلْ: أَتَيْتُ الْمَكَانَ وَآتَانِيهِ فُلَانٌ.

قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي رِوَايَةٍ: ﴿الْمَخَاضُ﴾[4] بِالْكَسْرِ، يُقَالُ: مَخَضَتِ الْحَامِلُ مَخَاضًا وَمِخَاضًا، وَهُوَ تَمَخُّضُ الْوَلَدِ فِي بَطْنِهَا.

طَلَبَتِ الْجِذْعَ لِتَسْتَتِرَ بِهِ وَتَعْتَمِدَ عَلَيْهِ عِنْدَ الْوِلَادَةِ، وَكَانَ جِذْعَ نَخْلَةٍ يَابِسَةٍ فِي الصَّحْرَاءِ لَيْسَ لَهَا رَأْسٌ وَلَا ثَمَرَةٌ وَلَا خُضْرَةٌ، وَكَانَ الْوَقْتُ شِتَاءً، وَالتَّعْرِيفُ لَا يَخْلُو: إِمَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ تَعْرِيفِ الْأَسْمَاءِ الْغَالِبَةِ كَتَعْرِيفِ النَّجْمِ وَالصَّعِقِ، كَأَنَّ تِلْكَ الصَّحْرَاءَ كَانَ فِيهَا جِذْعُ نَخْلَةٍ مُتَعَالَمٌ عِنْدَ النَّاسِ.

فَإِذَا قِيلَ: جِذْعُ النَّخْلَةِ فُهِمَ مِنْهُ ذَلِكَ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ جُذُوعِ النَّخْلِ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ تَعْرِيفَ الْجِنْسِ، أَيْ: جِذْعُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ خَاصَّةً، كَأَنَّ اللَّهَ –تَعَالَى– إِنَّمَا أَرْشَدَهَا إِلَى النَّخْلَةِ

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[2] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[3] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[4] سورة مَرْيَمَ، الآية.

لِيُطْعِمَهَا مِنْهَا الرُّطَبَ الَّذِي هُوَ خُرْسَةُ النُّفَسَاءِ الْمُوَافِقَةُ لَهَا، وَلِأَنَّ النَّخْلَةَ أَقَلُّ شَيْءٍ صَبْرًا عَلَى الْبَرْدِ، وَثِمَارُهَا إِنَّمَا هِيَ مِنْ جُمَّارُهَا، فَلِمُوَافَقَتِهَا لَهَا مَعَ جَمْعِ الْآيَاتِ فِيهَا اخْتَارَهَا لَهَا وَأَلْجَأَهَا إِلَيْهَا.

قُرِئَ: "مُتُّ": بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ، يُقَالُ: مَاتَ يَمُوتُ، وَمَاتَ يَمَاتُ، النَّسِيُّ: مَا مِنْ حَقِّهِ أَنْ يُطْرَحَ وَيُنْسَى، كَخِرْقَةِ الطَّامِثِ وَنَحْوِهَا، كَالذَّبْحِ: اسْمُ مَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُذْبَحَ فِي قَوْلِهِ – تَعَالَى–: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[1].

وَعَنْ يُونُسَ: الْعَرَبُ إِذَا ارْتَحَلُوا عَنِ الدَّارِ قَالُوا: انْظُرُوا أَنْسَاءَكُمْ، أَيِ: الشَّيْءَ الْيَسِيرَ نَحْوَ الْعَصَا وَالْقَدَحِ وَالشِّظَاظِ، تَمَنَّتْ لَوْ كَانَتْ شَيْئًا تَافِهًا لَا يَؤْبَهُ لَهُ، مِنْ شَأْنِهِ وَحَقِّهِ أَنْ يُنْسَى فِي الْعَادَةِ وَقَدْ نُسِيَ وَطُرِحَ فَوُجِدَ فِيهِ النِّسْيَانُ الَّذِي هُوَ حَقُّهُ، وَذَلِكَ لِمَا لَحِقَهَا مِنْ فَرْطِ الْحَيَاءِ وَالتَّشَوُّرِ مِنَ النَّاسِ عَلَى حُكْمِ الْعَادَةِ الْبَشَرِيَّةِ، لَا كَرَاهَةً لِحُكْمِ اللَّهِ، أَوْ لِشِدَّةِ التَّكْلِيفِ عَلَيْهَا إِذَا بَهَتُوهَا، وَهِيَ عَارِفَةٌ بِبَرَاءَةِ السَّاحَةِ وَبِضِدِّ مَا قُرِفَتْ بِهِ، مِنَ اخْتِصَاصِ اللَّهِ إِيَّاهَا بِغَايَةِ الْإِجْلَالِ وَالْإِكْرَامِ؛ لِأَنَّهُ مَقَامُ دَحْضٍ قَلَّمَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْأَقْدَامُ: أَنْ تَعْرِفَ اغْتِبَاطَكَ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ وَفَضْلٍ بَاهِرٍ تَسْتَحِقُّ بِهِ الْمَدْحَ وَتَسْتَوْجِبُ التَّعْظِيمَ، ثُمَّ تَرَاهُ عِنْدَ النَّاسِ لِجَهْلِهِمْ بِهِ عَيْبًا يُعَابُ بِهِ وَيُعَنَّفُ بِسَبَبِهِ، أَوْ لِخَوْفِهَا عَلَى النَّاسِ أَنْ يَعْصُوا اللَّهَ بِسَبَبِهَا.

وَقَرَأَ ابْنُ وَثَّابٍ وَالْأَعْمَشُ وَحَمْزَةُ وَحَفْصٌ: "نَسْيًا": بِالْفَتْحِ، قَالَ الْفَرَّاءُ: هُمَا لُغَتَانِ كَالْوِتْرِ وَالْوَتْرِ، وَالْجِسْرِ وَالْجَسْرِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُسَمًّى بِالْمَصْدَرِ كَالْحَمْلِ.

وَقَرَأَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ: "نَسَأً": بِالْهَمْزِ وَهُوَ الْحَلِيبُ الْمَخْلُوطُ بِالْمَاءِ، يَنْسَؤُهُ أَهْلُهُ لِقِلَّتِهِ وَنَزَارَتِهِ.

وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ: "مِنْسِيًّا": بِالْكَسْرِ عَلَى الْإِتْبَاعِ، كَالْمِغِيرَةِ وَالْمِنْخَرِ.

﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾[2]

﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾[3] هُوَ جِبْرِيلُ –عَلَيْهِ السَّلَامُ– قِيلَ: كَانَ يَقْبَلُ كَالْقَابِلَةِ.

---

[1] سورة الصَّافَّاتِ، الآية 107.

[2] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[3] سورة مَرْيَمَ، الآية.

وَقِيلَ: هُوَ عِيسَى، وَهِيَ قِرَاءَةُ عَاصِمٍ وَأَبِي عَمْرٍو.

وَقِيلَ: ﴿تَحْتِهَا﴾[1]: أَسْفَلَ مِنْ مَكَانِهَا، كَقَوْلِهِ: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾[2].

وَقِيلَ: كَانَ أَسْفَلَ مِنْهَا تَحْتَ الْأَكَمَةِ، فَصَاحَ بِهَا: "لَا تَحْزَنِي".

وَقَرَأَ نَافِعٌ وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَحَفْصٌ: ﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾[3]، وَفِي نَادَاهَا ضَمِيرُ الْمَلَكِ أَوْ عِيسَى.

وَعَنْ قَتَادَةَ: الضَّمِيرُ فِي تَحْتِهَا لِلنَّخْلَةِ.

وَقَرَأَ زِرٌّ وَعَلْقَمَةُ: "فَخَاطَبَهَا مِنْ تَحْتِهَا".

سُئِلَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَنِ السَّرِيِّ، فَقَالَ: "هُوَ الْجَدْوَلُ".

قَالَ لَبِيَدٌ:

فَتَوَسَّطَا عُرْضَ السَّرِيِّ فَصَدَّعَا مَسْجُورَةً مُتَجَاوِرٌ قُلَّامُهَـــا

وَقِيلَ: هُوَ مِنَ السَّرْوِ، وَالْمُرَادُ: عِيسَى.

وَعَنِ الْحَسَنِ: كَانَ وَاللَّهِ عَبْدًا سَرِيًّا.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا كَانَ حُزْنُهَا لِفَقْدِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ حَتَّى تُسَلَّى بِالسَّرِيِّ وَالرُّطَبِ؟

قُلْتُ: لَمْ تَقَعِ التَّسْلِيَةُ بِهِمَا مِنْ حَيْثُ إِنَّهُمَا طَعَامٌ وَشَرَابٌ؛ وَلَكِنْ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُمَا مُعْجِزَتَانِ تُرِيَانِ النَّاسَ أَنَّهَا مِنْ أَهْلِ الْعِصْمَةِ وَالْبُعْدِ مِنَ الرِّيبَةِ، وَأَنَّ مِثْلَهَا مِمَّا قَرَفُوهَا بِهِ بِمَعْزِلٍ، وَأَنَّ لَهَا أُمُورًا إِلَهِيَّةً خَارِجَةً عَنِ الْعَادَاتِ خَارِقَةً لِمَا أَلِفُوا وَاعْتَادُوا، حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ وِلَادَهَا مِنْ غَيْرِ فَحْلٍ لَيْسَ بِبِدْعٍ مِنْ شَأْنِهَا.

﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾[4]

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[2] سورة الْبَقَرَةَ، الآية 25.

[3] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[4] سورة مَرْيَمَ، الآية.

﴿تُسَاقِطْ﴾[1]: فِيهِ تِسْعُ قِرَاءَاتٍ: "تَسَّاقَطْ": بِإِدْغَامِ التَّاءِ، وَ"تَتَسَاقَطْ": بِإِظْهَارِ التَّاءَيْنِ، وَ"تَسَاقَطْ": بِطَرْحِ الثَّانِيَةِ، وَ"يَسَّاقَطْ": بِالْيَاءِ وَإِدْغَامِ التَّاءِ، وَ"تَسَاقَطْ"، وَ"يَسْقُطْ"، وَ"تَسْقُطْ"، وَ"يُسْقِطْ": التَّاءُ لِلنَّخْلَةِ، وَالْيَاءُ لِلْجِذْعِ، وَرُطَبًا: تَمْيِيزٌ، أَوْ مَفْعُولٌ عَلَى حَسَبِ الْقِرَاءَةِ.

وَعَنِ الْمُبَرِّدِ: جَوَازُ انْتِصَابِهِ بِهُزِّي وَلَيْسَ بِذَاكَ، وَالْبَاءُ فِي: ﴿بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾[2] صِلَةٌ لِلتَّأْكِيدِ؛ كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[3]، أَوْ: عَلَى مَعْنَى: افْعَلِي الْهَزَّ بِهِ، كَقَوْلِهِ:

يَجْرَحُ فِي عَرَاقِيبِهَا نَصْلِي

قَالُوا: التَّمْرُ لِلنُّفَسَاءِ عَادَةً مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَكَذَلِكَ التَّحْنِيكُ، وَقَالُوا: كَانَ مِنَ الْعَجْوَةِ.

وَقِيلَ: مَا لِلنُّفَسَاءِ خَيْرٌ مِنَ الرُّطَبِ، وَلَا لِلْمَرِيضِ خَيْرٌ مِنَ الْعَسَلِ.

وَقِيلَ: إِذَا عَسُرَ وِلَادُهَا لَمْ يَكُنْ لَهَا خَيْرٌ مِنَ الرُّطَبِ.

عَنْ طَلْحَةَ بْنِ سُلَيْمَانَ: "جِنِيًّا" بِكَسْرِ الْجِيمِ لِلْإِتْبَاعِ، أَيْ: جَمَعْنَا لَكِ فِي السَّرِيِّ وَالرُّطَبِ فَائِدَتَيْنِ:

– إِحْدَاهُمَا: الْأَكْلُ وَالشُّرْبُ؛

– وَالثَّانِيَةُ: سَلْوَةُ الصَّدْرِ؛ لِكَوْنِهِمَا مُعْجِزَتَيْنِ.

وَهُوَ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾[4]، أَيْ: وَطِيبِي نَفْسًا وَلَا تَغْتَمِّي وَارْفُضِي عَنْكِ مَا أَحْزَنَكِ وَأَهَمَّكِ.

وَقُرِئَ: "قِرِّي" بِالْكَسْرِ لُغَةُ نَجْدٍ، ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ﴾[5] بِالْهَمْزِ: ابْنُ الرُّومِيِّ.

عَنْ أَبِي عَمْرٍو: وَهَذَا مِنْ لُغَةِ مَنْ يَقُولُ: لَبَأْتُ بِالْحَجِّ، وَحَلَأْتُ السَّوِيقَ، وَذَلِكَ لِتَآخِ بَيْنَ الْهَمْزَةِ وَحَرْفِ اللِّينِ فِي الْإِبْدَالِ، ﴿صَوْمًا﴾[6]: صَمْتًا، وَفِي مُصْحَفِ عَبْدِ اللَّهِ: "صَمْتًا".

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[2] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[3] سورة الْبَقَرَةَ، الآية 195.

[4] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[5] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[6] سورة مَرْيَمَ، الآية.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ مِثْلُهُ.

وَقِيلَ: "صِيَامًا"، إِلَّا أَنَّهُمْ كَانُوا لَا يَتَكَلَّمُونَ فِي صِيَامِهِمْ، وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَنْ صَوْمِ الصَّمْتِ؛ لِأَنَّهُ نُسِخَ فِي أُمَّتِهِ، أَمَرَهَا اللَّهُ بِأَنْ تُنْذِرَ الصَّوْمَ؛ لِئَلَّا تَشْرَعَ مَعَ الْبَشَرِ الْمُنْهَمِّينَ لَهَا فِي الْكَلَامِ لِمَعْنَيَيْنِ:

– أَحَدُهُمَا: أَنَّ عِيسَى –صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ– يَكْفِيهَا الْكَلَامُ بِمَا يُبَرِّئُ بِهِ سَاحَتَهَا.

– وَالثَّانِي: كَرَاهَةَ مُجَادَلَةِ السُّفَهَاءِ وَمُثَاقَلَتِهِمْ، وَفِيهِ أَنَّ السُّكُوتَ عَنِ السَّفِيهِ وَاجِبٌ، وَمِنْ أَذَلِّ النَّاسِ: سَفِيهٌ لَمْ يَجِدْ مُسَافِهًا، قِيلَ: أَخْبَرَتْهُمْ بِأَنَّهَا نَذَرَتِ الصَّوْمَ بِالْإِشَارَةِ.

وَقِيلَ: سُوِّغَ لَهَا ذَلِكَ بِالنُّطْقِ.

﴿إِنْسِيًّا﴾[1]، أَيْ: أُكَلِّمُ الْمَلَائِكَةَ دُونَ الْإِنْسِ.

﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾[2]

الْفَرِيُّ: الْبَدِيعُ، وَهُوَ مِنْ فَرْيِ الْجِلْدِ.

﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾[3]: كَانَ أَخَاهَا مِنْ أَبِيهَا مِنْ أَمْثَلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

وَقِيلَ: هُوَ أَخُو مُوسَى –صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا–.

وَعَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "إِنَّمَا عَنَوْا هَارُونَ النَّبِيَّ"، وَكَانَتْ مِنْ أَعْقَابِهِ فِي طَبَقَةِ الْإِخْوَةِ، بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَلْفُ سَنَةٍ وَأَكْثَرُ.

وَعَنِ السُّدِّيِّ: كَانَتْ مِنْ أَوْلَادِهِ؛ وَإِنَّمَا قِيلَ: يَا أُخْتَ هَارُونَ، كَمَا يُقَالُ: يَا أَخَا هَمْدَانَ، أَيْ: يَا أَحَدًا مِنْهُمْ.

وَقِيلَ: رَجُلٌ صَالِحٌ أَوْ طَالِحٌ فِي زَمَانِهَا، شَبَّهُوهَا بِهِ، أَيْ: كُنْتِ عِنْدَنَا مِثْلَهُ فِي الصَّلَاحِ، أَوْ شَتَمُوهَا بِهِ، وَلَمْ تُرِدْ أُخُوَّةَ النَّسَبِ، ذُكِرَ أَنَّ هَارُونَ الصَّالِحَ تَبِعَ جِنَازَتَهُ أَرْبَعُونَ أَلْفًا، كُلُّهُمْ يُسَمَّى هَارُونَ؛ تَبَرُّكًا بِهِ وَبِاسْمِهِ، فَقَالُوا: كُنَّا نُشَبِّهُكِ بِهَارُونَ هَذَا.

وَقَرَأَ عُمَرُ بْنُ لَجَاءٍ التَّيْمِيُّ: "مَا كَانَ أَبَاكِ امْرُؤُ سَوْءٍ".

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[2] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[3] سورة مَرْيَمَ، الآية.

وَقِيلَ: احْتَمَلَ يُوسُفُ النَّجَّارُ مَرْيَمَ وَابْنَهَا إِلَى غَارٍ، فَلَبِثُوا فِيهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا حَتَّى تَعَلَّتْ مِنْ نِفَاسِهَا، ثُمَّ جَاءَتْ تَحْمِلُهُ، فَكَلَّمَهَا عِيسَى فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ: يَا أُمَّاهُ، أَبْشِرِي؛ فَإِنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَمَسِيحُهُ، فَلَمَّا دَخَلَتْ بِهِ عَلَى قَوْمِهَا، وَهُمْ أَهْلُ بَيْتٍ صَالِحُونَ تَبَاكَوْا وَقَالُوا ذَلِكَ.

وَقِيلَ: هَمُّوا بِرَجْمِهَا حَتَّى تَكَلَّمَ عِيسَى –عَلَيْهِ السَّلَامُ– فَتَرَكُوهَا.

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾[1]

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾[2]، أَيْ: هُوَ الَّذِي يُجِيبُكُمْ إِذَا نَاطَقْتُمُوهُ.

وَقِيلَ: كَانَ الْمُسْتَنْطِقُ لِعِيسَى زَكَرِيَّا –عَلَيْهِ السَّلَامُ–.

وَعَنِ السُّدِّيِّ: لَمَّا أَشَارَتْ إِلَيْهِ، غَضِبُوا، وَقَالُوا: لَسُخْرِيَّتُهَا بِنَا أَشَدُّ عَلَيْنَا مِنْ زِنَاهَا.

وَرُوِيَ أَنَّهُ كَانَ يَرْضَعُ، فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ تَرَكَ الرِّضَاعَ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ بِوَجْهِهِ، وَاتَّكَأَ عَلَى يَسَارِهِ وَأَشَارَ بِسَبَّابَتِهِ.

وَقِيلَ: كَلَّمَهُمْ بِذَلِكَ، ثُمَّ لَمْ يَتَكَلَّمْ حَتَّى بَلَغَ مَبْلَغًا يَتَكَلَّمُ فِيهِ الصِّبْيَانُ، وَ﴿كَانَ﴾[3]: لِإِيقَاعِ مَضْمُونِ الْجُمْلَةِ فِي زَمَانٍ مَاضٍ مُبْهَمٍ يَصْلُحُ لِقَرِيبِهِ وَبَعِيدِهِ، وَهُوَ هَا هُنَا لِقَرِيبِهِ خَاصَّةً، وَالدَّالُّ عَلَيْهِ مَبْنَى الْكَلَامِ، وَأَنَّهُ مَسُوقٌ لِلتَّعَجُّبِ.

وَوَجْهٌ آخَرُ: أَنْ يَكُونَ ﴿نُكَلِّمُ﴾[4]: حِكَايَةُ حَالٍ مَاضِيَةٍ، أَيْ: كَيْفَ عَهِدَ قَبْلَ عِيسَى أَنْ يُكَلِّمَ النَّاسُ صَبِيًّا فِي الْمَهْدِ فِيمَا سَلَفَ مِنَ الزَّمَانِ حَتَّى نُكَلِّمَ هَذَا.

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾[5]

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[2] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[3] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[4] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[5] سورة مَرْيَمَ، الآية.

أَنْطَقَهُ اللَّهُ أَوَّلًا بِأَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ رَدًّا لِقَوْلِ النَّصَارَى، وَ﴿الْكِتَابَ﴾[1]: هُوَ الْإِنْجِيلُ.

وَاخْتَلَفُوا فِي نُبُوَّتِهِ، فَقِيلَ: أُعْطِيَهَا فِي طُفُولِيَّتِهِ: أَكْمَلَ اللَّهُ عَقْلَهُ، وَاسْتَنْبَأَهُ طِفْلًا نَظَرًا فِي ظَاهِرِ الْآيَةِ.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: إِنَّ ذَلِكَ سَبَقَ فِي قَضَائِهِ، أَوْ جَعَلَ الْآتِيَ لَا مَحَالَةَ كَأَنَّهُ قَدْ وُجِدَ.

﴿مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾[2]: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "نَفَّاعًا حَيْثُ كُنْتُ".

وَقِيلَ: مُعَلِّمًا لِلْخَيْرِ.

وَقُرِئَ: "وَبَرًّا": عَنْ أَبِي نُهَيْكٍ، جَعَلَ ذَاتَهُ بَرًّا لِفَرْطِ بِرِّهِ، أَوْ نَصَبَهُ بِفِعْلٍ فِي مَعْنَى أَوْصَانِي، وَهُوَ كَلَّفَنِي؛ لِأَنَّ أَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَكَلَّفَنِيهَا وَاحِدٌ.

﴿وَالسَّلَامُ عَلَى﴾[3]: قِيلَ: أَدْخَلَ لَامَ التَّعْرِيفِ لِتَعَرُّفِهِ بِالذِّكْرِ قَبْلَهُ؛ كَقَوْلِكَ: جَاءَنَا رَجُلٌ، فَكَانَ مِنْ فِعْلِ الرَّجُلِ كَذَا، وَالْمَعْنَى: ذَلِكَ السَّلَامُ الْمُوَجَّهُ إِلَى يَحْيَى فِي الْمَوَاطِنِ الثَّلَاثَةِ مُوَجَّهٌ إِلَيَّ.

وَالصَّحِيحُ: أَنْ يَكُونَ هَذَا التَّعْرِيفُ تَعْرِيضًا بِاللَّعْنَةِ عَلَى مُتَّهِمِي مَرْيَمَ -عَلَيْهَا السَّلَامُ- وَأَعْدَائِهَا مِنَ الْيَهُودِ، وَتَحْقِيقُهُ أَنَّ اللَّامَ لِلْجِنْسِ، فَإِذَا قَالَ: وَجِنْسُ السَّلَامِ عَلَيَّ خَاصَّةً فَقَدْ عَرَّضَ بِأَنَّ ضِدَّهُ عَلَيْكُمْ؛ وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾[4]، يَعْنِي: أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى، وَكَانَ الْمَقَامُ مَقَامَ مُنَاكَرَةٍ وَعِنَادٍ، فَهُوَ مَبْنِيٌّ لِنَحْوِ هَذَا مِنَ التَّعْرِيضِ.

﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾[5]

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[2] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[3] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[4] سورة طَهَ، الآية 47.

[5] سورة مَرْيَمَ، الآية.

قَرَأَ عَاصِمٌ وَابْنُ عَامِرٍ: ﴿قَوْلَ الْحَقِّ﴾[1] بِالنَّصْبِ.

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: قَالَ الْحَقُّ، وَقَالَ اللَّهُ.

وَعَنِ الْحَسَنِ: "قُولَ الْحَقِّ" بِضَمِّ الْقَافِ، وَكَذَلِكَ فِي الْأَنْعَامِ: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾[2]، وَالْقَوْلُ وَالْقَالُ وَالْقُولُ بِمَعْنًى وَاحِدٍ، كَالرَّهْبِ وَالرَّهَبِ وَالرُّهْبِ، وَارْتِفَاعُهُ عَلَى أَنَّهُ خَبَرٌ بَعْدَ خَبَرٍ، أَوْ بَدَلٌ، أَوْ خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ؛ وَأَمَّا انْتِصَابُهُ، فَعَلَى الْمَدْحِ إِنْ فُسِّرَ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَعَلَى أَنَّهُ مَصْدَرٌ مُؤَكِّدٌ لِمَضْمُونِ الْجُمْلَةِ إِنْ أُرِيدَ قَوْلُ النَّبَاتِ وَالصِّدْقِ؛ كَقَوْلِهِ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ حَقًّا، وَالْحَقُّ لَا الْبَاطِلُ.

وَإِنَّمَا قِيلَ لِعِيسَى: ﴿كَلِمَةُ اللَّهِ﴾[3]، وَ﴿قَوْلَ الْحَقِّ﴾[4]، لِأَنَّهُ لَمْ يُولَدْ إِلَّا بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَحْدَهَا، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿كُنْ﴾[5] مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةِ أَبٍ؛ تَسْمِيَةً لِلْمُسَبَّبِ بِاسْمِ السَّبَبِ، كَمَا سُمِّيَ الْعُشْبُ بِالسَّمَاءِ، وَالشَّحْمُ بِالنَّدَا.

وَيُحْتَمَلُ إِذَا أُرِيدَ بِقَوْلِ الْحَقِّ: عِيسَى، أَنْ يَكُونَ الْحَقُّ اسْمَ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، وَأَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى: النَّبَاتِ وَالصِّدْقِ؛ وَيُعَضِّدُهُ قَوْلُهُ: ﴿الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾[6]، أَيْ: أَمْرُهُ حَقٌّ يَقِينٌ وَهُمْ فِيهِ شَاكُّونَ.

﴿يَمْتَرُونَ﴾[7]: يَشُكُّونَ، وَالْمِرْيَةُ: الشَّكُّ، أَوْ يَتَمَارَوْنَ: يَتَلَاحَوْنَ، قَالَتِ الْيَهُودُ: سَاحِرٌ كَذَّابٌ، وَقَالَتِ النَّصَارَى: ابْنُ اللَّهِ وَثَالِثُ ثَلَاثَةٍ.

وَقَرَأَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: "تَمْتَرُونَ" عَلَى الْخِطَابِ.

وَعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: "قَوْلُ الْحَقِّ الَّذِي كَانَ النَّاسُ فِيهِ يَمْتَرُونَ".

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[8]

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[2] سورة الْأَنْعَامَ، الآية 73.

[3] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[4] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[5] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[6] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[7] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[8] سورة مَرْيَمَ، الآية.

كَذَّبَ النَّصَارَى وَبَكَّتَهُمْ بِالدَّلَالَةِ عَلَى انْتِفَاءِ الْوَلَدِ عَنْهُ، وَأَنَّهُ مِمَّا لَا يَتَأَتَّى وَلَا يُتَصَوَّرُ فِي الْعُقُولِ وَلَيْسَ بِمَقْدُورٍ عَلَيْهِ؛ إِذْ مِنَ الْمُحَالِ غَيْرِ الْمُسْتَقِيمِ أَنْ تَكُونَ ذَاتُهُ كَذَاتِ مَنْ يَنْشَأُ مِنْهُ الْوَلَدُ.

ثُمَّ بَيَّنَ إِحَالَةَ ذَلِكَ بِأَنَّ مَنْ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا مِنَ الْأَجْنَاسِ كُلِّهَا أَوْجَدَهُ بِكُنْ، كَانَ مُنَزَّهًا مِنْ شَبَهِ الْحَيَوَانِ الْوَالِدِ، وَالْقَوْلُ هَا هُنَا مَجَازٌ.

وَمَعْنَاهُ: أَنَّ إِرَادَتَهُ لِلشَّيْءِ يَتْبَعُهَا كَوْنُهُ لَا مَحَالَةَ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّفٍ، فَشَبَّهَ ذَلِكَ بِأَمْرِ الْآمِرِ الْمُطَاعِ إِذَا وَرَدَ عَلَى الْمَأْمُورِ الْمُمْتَثِلِ.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[1]

قَرَأَ الْمَدَنِيُّونَ وَأَبُو عَمْرٍو بِفَتْحِ إِنَّ، وَمَعْنَاهُ: وَلِأَنَّهُ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[2].

وَأَبُو عُبَيْدَةَ بِالْكَسْرِ عَلَى الِابْتِدَاءِ، وَفِي حَرْفِ أُبَيٍّ: "إِنَّ اللَّهَ": بِالْكَسْرِ بِغَيْرِ وَاوٍ، وَ"بِأَنَّ اللَّهَ"، أَيْ: بِسَبَبِ ذَلِكَ فَاعْبُدُوهُ.

﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[3]

﴿الْأَحْزَابُ﴾[4]: الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى: عَنِ الْكَلْبِيِّ.

وَقِيلَ: النَّصَارَى، لِتَحَزُّبِهِمْ ثَلَاثَ فِرَقٍ: نِسْطُورِيَّةٌ، وَيَعْقُوبِيَّةٌ، وَمَلَكَانِيَّةٌ.

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[2] سورة الْجِنِّ، الآية 18.

[3] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[4] سورة مَرْيَمَ، الآية.

وَعَنِ الْحَسَنِ: الَّذِينَ تَحَزَّبُوا عَلَى الْأَنْبِيَاءِ لَمَّا قَصَّ عَلَيْهِمْ قِصَّةَ عِيسَى اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ.

﴿مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[1]، أَيْ: مِنْ شُهُودِهِمْ هَوْلَ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ، أَوْ مِنْ مَكَانِ الشُّهُودِ فِيهِ وَهُوَ الْمَوْقِفُ، أَوْ مِنْ وَقْتِ الشُّهُودِ، أَوْ مِنْ شَهَادَةِ ذَلِكَ الْيَوْمِ عَلَيْهِمْ، وَأَنْ تَشْهَدَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ وَالْأَنْبِيَاءُ وَأَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِالْكُفْرِ وَسُوءِ الْأَعْمَالِ، أَوْ مِنْ مَكَانِ الشَّهَادَةِ أَوْ وَقْتِهَا.

وَقِيلَ: هُوَ مَا قَالُوهُ وَشَهِدُوا بِهِ فِي عِيسَى وَأُمِّهِ.

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأرض وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾[2]

لَا يُوصَفُ اللَّهُ –تَعَالَى– بِالتَّعَجُّبِ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ أَنَّ أَسْمَاعَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ يَوْمَئِذٍ جَدِيرٌ بِأَنْ يُتَعَجَّبَ مِنْهُمَا بَعْدَ مَا كَانُوا صُمًّا وَعُمْيًا فِي الدُّنْيَا.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: التَّهْدِيدُ بِمَا سَيَسْمَعُونَ وَيُبْصِرُونَ مِمَّا يَسُوءُهُمْ وَيُصَدِّعُ قُلُوبَهُمْ، أَوْقَعَ الظَّاهِرَ، أَعْنِي: الظَّالِمِينَ مَوْقِعَ الضَّمِيرِ، إِشْعَارًا بِأَنَّ لَا ظُلْمَ أَشَدَّ مِنْ ظُلْمِهِمْ؛ حَيْثُ أَغْفَلُوا الِاسْتِمَاعَ وَالنَّظَرَ حِينَ يُجْدِي عَلَيْهِمْ وَيُسْعِدُهُمْ.

وَالْمُرَادُ بِالضَّلَالِ الْمُبِينِ: إِغْفَالُ النَّظَرِ وَالِاسْتِمَاعِ.

﴿قُضِيَ الأَمْرُ﴾[3]: فُرِغَ مِنَ الْحِسَابِ وَتَصَادَرَ الْفَرِيقَانِ إِلَى الْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

وَعَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنَّهُ سُئِلَ عَنْهُ، أَيْ: عَنْ قَضَاءِ الْأَمْرِ، فَقَالَ: "حِينَ يُذْبَحُ الْكَبْشُ وَالْفَرِيقَانِ يَنْظُرَانِ"، وَإِذْ: بَدَلٌ مِنْ يَوْمِ الْحَسْرَةِ، أَوْ مَنْصُوبٌ بِالْحَسْرَةِ.

﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾[4] مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ: ﴿فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[5].

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[2] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[3] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[4] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[5] سورة مَرْيَمَ، الآية.

عَنِ الْحَسَنِ، ﴿وَأَنْذِرْهُمْ﴾[1]: اعْتِرَاضٌ، أَوْ هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِأَنْذِرْهُمْ، أَيْ: وَأَنْذِرْهُمْ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ غَافِلِينَ غَيْرَ مُؤْمِنِينَ، يُحْتَمَلُ أَنَّهُ يُمِيتُهُمْ وَيُخَرِّبُ دِيَارَهُمْ، وَأَنَّهُ يُفْنِي أَجْسَادَهُمْ وَيُفْنِي الأرض وَيَذْهَبُ بِهَا.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾[2]

الصِّدِّيقُ: مِنْ أَبْنِيَةِ الْمُبَالَغَةِ، وَنَظِيرُهُ: الضِّحِّيكُ وَالنِّطِّيقُ.

وَالْمُرَادُ: فَرْطُ صِدْقِهِ وَكَثْرَةُ مَا صَدَقَ بِهِ مِنْ غُيُوبِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَكَانَ الرُّجْحَانُ وَالْغَلَبَةُ فِي هَذَا التَّصْدِيقِ لِلْكُتُبِ وَالرُّسُلِ، أَيْ: كَانَ مُصَدِّقًا بِجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَكُتُبِهِمْ، وَكَانَ نَبِيًّا فِي نَفْسِهِ؛ كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾[3] أَوْ: كَانَ بَلِيغًا فِي الصِّدْقِ؛ لِأَنَّ مِلَاكَ أَمْرِ النُّبُوَّةِ الصِّدْقُ، وَمُصَدِّقُ اللَّهِ بِآيَاتِهِ وَمُعْجِزَاتِهِ حَرِيٌّ أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ، وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ وَقَعَتِ اعْتِرَاضًا بَيْنَ الْمُبْدَلِ مِنْهُ وَبَدَلِهِ، أَعْنِي: إِبْرَاهِيمَ.

وَ﴿إِذْ قَالَ﴾[4]: نَحْوَ قَوْلِكَ: رَأَيْتُ زَيْدًا، وَنِعْمَ الرَّجُلُ أَخُوكَ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ ﴿إِذْ﴾[5] بِـ ﴿كَانَ﴾[6] أَوْ بِـ ﴿صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾[7]، أَيْ: كَانَ جَامِعًا لِخَصَائِصِ الصَّدِّيقِينَ وَالْأَنْبِيَاءِ، حِينَ خَاطَبَ أَبَاهُ تِلْكَ الْمُخَاطَبَاتِ وَالْمُرَادُ بِذِكْرِ الرَّسُولِ إِيَّاهُ وَقِصَّتِهِ فِي الْكِتَابِ أَنْ يَتْلُوَ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ وَيُبَلِّغَهُ إِيَّاهُمْ، كَقَوْلِهِ:﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[2] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[3] سورة الصَّافَّاتِ، الآية 37.

[4] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[5] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[6] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[7] سورة مَرْيَمَ، الآية.

إِبْرَاهِيمَ﴾[1]، وَإِلَّا فَاللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- هُوَ ذَاكِرُهُ وَمُورِدُهُ فِي تَنْزِيلِهِ، التَّاءُ فِي ﴿يَا أَبَتِ﴾: عِوَضٌ مِنْ يَاءِ الْإِضَافَةِ، وَلَا يُقَالُ: يَا أَبَتِي؛ لِئَلَّا يُجْمَعَ بَيْنَ الْعِوَضِ وَالْمُعَوَّضِ مِنْهُ.

وَقِيلَ: يَا أَبَتَا؛ لِكَوْنِ الْأَلِفِ بَدَلًا مِنَ الْيَاءِ.

وَشَبَّهَ ذَلِكَ سِيبَوَيْهِ بِأَيْنَقَ، وَتَعْوِيضُ الْيَاءِ فِيهِ عَنِ الْوَاوِ السَّاقِطَةِ، انْظُرْ حِينَ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ أَبَاهُ وَيَعِظَهُ فِيمَا كَانَ مُتَوَرِّطًا فِيهِ مِنَ الْخَطَأِ الْعَظِيمِ وَالِارْتِكَابِ الشَّنِيعِ الَّذِي عَصَا فِيهِ أَمْرَ الْعُقَلَاءِ وَانْسَلَخَ عَنْ قَضِيَّةِ التَّمْيِيزِ، وَمِنَ الْغَبَاوَةِ الَّتِي لَيْسَ بَعْدَهَا غَبَاوَةٌ: كَيْفَ رَتَّبَ الْكَلَامَ مَعَهُ فِي أَحْسَنِ اتِّسَاقٍ، وَسَاقَهُ أَرْشَقَ مَسَاقٍ، مَعَ اسْتِعْمَالِ الْمُجَامَلَةِ، وَاللُّطْفِ، وَالرِّفْقِ، وَاللِّينِ، وَالْأَدَبِ الْجَمِيلِ، وَالْخُلُقِ الْحَسَنِ؛ مُنْتَصِحًا فِي ذَلِكَ بِنَصِيحَةِ رَبِّهِ -عَزَّ وَعَلَا-.

حَدَّثَ أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "أَوْحَى اللَّهُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: إِنَّكَ خَلِيلِي، حَسِّنْ خُلُقَكَ وَلَوْ مَعَ الْكُفَّارِ، تَدْخُلْ مَدَاخِلَ الْأَبْرَارِ -فَإِنَّ كَلِمَتِي سَبَقَتْ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ: أُظِلُّهُ تَحْتَ عَرْشِي، وَأُسْكِنُهُ حَظِيرَةَ الْقُدُسِ، وَأُدْنِيهِ مِنْ جِوَارِي"، وَذَلِكَ أَنَّهُ طَلَبَ مِنْهُ أَوَّلًا الْعِلَّةَ فِي خَطِئَةٍ طَلَبَ مُنَبِّهٍ عَلَى تَمَادِيهِ، مُوقِظٍ لِإِفْرَاطِهِ وَتَنَاهِيهِ؛ لِأَنَّ الْمَعْبُودَ لَوْ كَانَ حَيًّا مُمَيِّزًا، سَمِيعًا بَصِيرًا، مُقْتَدِرًا عَلَى الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، نَافِعًا ضَارًّا، إِلَّا أَنَّهُ بَعْضُ الْخُلُقِ: لَاسْتَحَقَّ عَقْلَ مَنْ أَهَّلَهُ لِلْعِبَادَةِ وَوَصَفَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَلَسَجَّلَ عَلَيْهِ بِالْغَيِّ الْمُبِينِ وَالظُّلْمِ الْعَظِيمِ، وَإِنْ كَانَ أَشْرَفَ الْخَلْقِ وَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً كَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ؛ قَالَ اللَّهُ -تَعَالَى-: ﴿وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[2].

وَذَلِكَ أَنَّ الْعِبَادَةَ هِيَ غَايَةُ التَّعْظِيمِ، فَلَا تَحِقُّ إِلَّا لِمَنْ لَهُ غَايَةُ الْإِنْعَامِ: وَهُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ، الْمُحْيِي الْمُمِيتُ، الْمُثِيبُ الْمُعَاقِبُ، الَّذِي مِنْهُ أُصُولُ النِّعَمِ وَفُرُوعُهَا، فَإِذَا وُجِّهَتْ إِلَى غَيْرِهِ -وَتَعَالَى عُلُوًّا كَبِيرًا أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الصِّفَةُ لِغَيْرِهِ- لَمْ يَكُنْ إِلَّا ظُلْمًا وَعُتُوًّا وَغَيًّا وَكُفْرًا وَجُحُودًا، وَخُرُوجًا عَنِ الصَّحِيحِ النَّيِّرِ إِلَى الْفَاسِدِ الْمُظْلِمِ، فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ وَجَّهَ عِبَادَتَهُ إِلَى جَمَادٍ لَيْسَ بِهِ حِسٌّ وَلَا شُعُورٌ؟

فَلَا يَسْمَعُ -يَا عَابِدَهُ- ذِكْرَكَ لَهُ وَثَنَاءَكَ عَلَيْهِ، وَلَا يَرَى هَيْئَاتِ خُضُوعِكَ وَخُشُوعِكَ لَهُ، فَضْلًا أَنْ يُغْنِيَ عَنْكَ بِأَنْ تَسْتَدْفِعَهُ بَلَاءً فَيَدْفَعَهُ، أَوْ تَسْنَحَ لَكَ حَاجَةٌ فَيَكْفِيكَهَا، ثُمَّ ثَنَّى

---

[1] سورة الشُّعَرَاءِ، الآية 69.

[2] سورة آلِ عِمْرَانَ، الآية 80.

بِدَعْوَتِهِ إِلَى الْحَقِّ مُتَرَفِّقًا بِهِ مُتَلَطِّفًا، فَلَمْ يُسَمِّ أَبَاهُ بِالْجَهْلِ الْمُفْرِطِ، وَلَا نَفْسَهُ بِالْعِلْمِ الْفَائِقِ، وَلَكِنَّهُ قَالَ: إِنَّ مَعِيَ طَائِفَةً مِنَ الْعِلْمِ وَشَيْئًا مِنْهُ لَيْسَ مَعَكَ؛ وَذَلِكَ عِلْمُ الدَّلَالَةِ عَلَى الطَّرِيقِ السَّوِيِّ، فَلَا تَسْتَنْكِفْ.

وَهَبْ أَنِّي وَإِيَّاكَ فِي مَسِيرٍ وَعِنْدِي مَعْرِفَةٌ بِالْهِدَايَةِ دُونَكَ، فَاتَّبِعْنِي أُنْجِكَ مِنْ أَنْ تَضِلَّ وَتَتِيهَ، ثُمَّ ثَلَّثَ بِتَنْبِيطِهِ وَنَهْيِهِ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ: بِأَنَّ الشَّيْطَانَ –الَّذِي اسْتَعْصَى عَلَى رَبِّكَ الرَّحْمَنِ الَّذِي جَمِيعُ مَا عِنْدَكَ مِنَ النِّعَمِ مِنْ عِنْدِهِ، وَهُوَ عَدُوُّكَ الَّذِي لَا يُرِيدُ بِكَ إِلَّا كُلَّ هَلَاكٍ وَخِزْيٍ وَنَكَالٍ وَعَدُوُّ أَبِيكَ آدَمَ وَأَبْنَاءِ جِنْسِكَ كُلِّهِمْ– هُوَ الَّذِي وَرَّطَكَ فِي هَذِهِ الضَّلَالَةِ وَأَمَرَكَ بِهَا وَزَيَّنَهَا لَكَ.

فَأَنْتَ إِنْ حَقَّقْتَ النَّظَرَ عَابِدَ الشَّيْطَانِ، إِلَّا أَنَّ إِبْرَاهِيمَ –عَلَيْهِ السَّلَامُ– لِإِمْعَانِهِ فِي الْإِخْلَاصِ وَلِارْتِقَاءِ هِمَّتِهِ فِي الرَّبَّانِيَّةِ لَمْ يَذْكُرْ مِنْ جِنَايَتَيِ الشَّيْطَانِ إِلَّا الَّتِي تَخْتَصُّ مِنْهُمَا بِرَبِّ الْعِزَّةِ مِنْ عِصْيَانِهِ وَاسْتِكْبَارِهِ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى ذِكْرِ مُعَادَاتِهِ لِآدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ، كَأَنَّ النَّظَرَ فِي عِظَمِ مَا ارْتَكَبَ مِنْ ذَلِكَ غَمَرَ فِكْرَهُ وَأَطْبَقَ عَلَى ذِهْنِهِ، ثُمَّ رَبَّعَ بِتَخْوِيفِهِ سُوءَ الْعَاقِبَةِ وَبِمَا يَجُرُّهُ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ التَّبِعَةِ وَالْوَبَالِ.

وَلَمْ يَخْلُ ذَلِكَ مِنْ حُسْنِ الْأَدَبِ؛ حَيْثُ لَمْ يُصَرِّحْ بِأَنَّ الْعِقَابَ لَاحِقٌ لَهُ وَأَنَّ الْعَذَابَ لَاصِقٌ بِهِ، وَلَكِنَّهُ قَالَ: ﴿أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ﴾[1]، فَذَكَرَ الْخَوْفَ وَالْمَسَّ وَنَكَّرَ الْعَذَابَ، وَجَعَلَ وِلَايَةَ الشَّيْطَانِ وَدُخُولَهُ فِي جُمْلَةِ أَشْيَاعِهِ وَأَوْلِيَائِهِ أَكْبَرَ مِنَ الْعَذَابِ.

وَذَلِكَ أَنَّ رِضْوَانَ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنَ الثَّوَابِ نَفْسِهِ، وَسَمَّاهُ اللَّهُ –تَعَالَى–: الْمَشْهُودُ لَهُ بِالْفَوْزِ الْعَظِيمِ؛ حَيْثُ قَالَ: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[2]؛ فَكَذَلِكَ وِلَايَةُ الشَّيْطَانِ الَّتِي هِيَ مُعَارَضَةُ رِضْوَانِ اللَّهِ، أَكْبَرُ مِنَ الْعَذَابِ نَفْسِهِ وَأَعْظَمُ، وَصَدَّرَ كُلَّ نَصِيحَةٍ مِنَ النَّصَائِحِ الْأَرْبَعِ بِقَوْلِهِ: ﴿يَا أَبَتِ﴾[3]؛ تَوَسُّلًا إِلَيْهِ وَاسْتِعْطَافًا، فَ ﴿مَا﴾ فِي: ﴿مَا لَا يَسْمَعُ﴾[4].

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[2] سورة التَّوْبَةَ، الآية 72.

[3] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[4] سورة مَرْيَمَ، الآية.

وَ﴿مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾[1]: يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مَوْصُولَةً وَمَوْصُوفَةً، وَالْمَفْعُولُ فِي: ﴿لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ﴾[2]: مَنْسِيٌّ غَيْرُ مَنوِيٍّ؛ كَقَوْلِكَ: لَيْسَ بِهِ اسْتِمَاعٌ وَلَا إِبْصَارٌ، ﴿شَيْئًا﴾[3]: يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ:

– أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ الْمَصْدَرِ، أَيْ: شَيْئًا مِنَ الْغِنَاءِ، وَيَجُوزُ أَنْ يُقَدَّرَ نَحْوُهُ مَعَ الْفِعْلَيْنِ السَّابِقَيْنِ.

– وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا بِهِ مِنْ قَوْلِهِمْ: أَغْنِ عَنِّي وَجْهَكَ، ﴿إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾[4]: فِيهِ تَجَدُّدُ الْعِلْمِ عِنْدَهُ.

﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾[5]

لَمَّا أَطْلَعَهُ عَلَى سَمَاجَةِ صُورَةِ أَمْرِهِ، وَهَدَمَ مَذْهَبَهُ بِالْحُجَجِ الْقَاطِعَةِ، وَنَاصَحَهُ الْمُنَاصَحَةَ الْعَجِيبَةَ مَعَ تِلْكَ الْمُلَاطَفَاتِ، أَقْبَلَ عَلَيْهِ الشَّيْخُ بِفَظَاظَةِ الْكُفْرِ وَغِلْظَةِ الْعِنَادِ، فَنَادَاهُ بِاسْمِهِ، وَلَمْ يُقَابِلْ ﴿يَا أَبَتِ﴾[6]: بِيَا بُنَيَّ، وَقَدَّمَ الْخَبَرَ عَلَى الْمُبْتَدَأِ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ﴾[7]: إِبْرَاهِيمَ، لِأَنَّهُ كَانَ أَهَمَّ عِنْدَهُ وَهُوَ عِنْدَهُ أَعْنَى، وَفِيهِ ضَرْبٌ مِنَ التَّعَجُّبِ وَالْإِنْكَارِ لِرَغْبَتِهِ عَنْ آلِهَتِهِ، وَأَنَّ آلِهَتَهُ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَرْغَبَ عَنْهَا أَحَدٌ، وَفِي هَذَا سُلْوَانٌ وَثَلْجٌ لِصَدْرِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَمَّا كَانَ يَلْقَى مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ مِنْ كُفَّارِ قَوْمِهِ.

"أَرْجُمَنَّكَ": لَأَرْمِيَنَّكَ بِلِسَانِي، يُرِيدُ: الشَّتْمَ وَالذَّمَّ، وَمِنْهُ ﴿الرَّجِيمُ﴾: الْمَرْمِيُّ بِاللَّعْنِ، أَوْ لَأَقْتُلَنَّكَ، مِنْ رَجْمِ الزَّانِي، أَوْ: لَأَطْرُدَنَّكَ رَمْيًا بِالْحِجَارَةِ، وَأَصْلُ الرَّجْمِ: الرَّمْيُ بِالرِّجَامِ.

---

1 سورة مَرْيَمَ، الآية.
2 سورة مَرْيَمَ، الآية.
3 سورة مَرْيَمَ، الآية.
4 سورة مَرْيَمَ، الآية.
5 سورة مَرْيَمَ، الآية.
6 سورة مَرْيَمَ، الآية.
7 سورة مَرْيَمَ، الآية.

﴿مَلِيًّا﴾[1]: زَمَانًا طَوِيلًا مِنَ الْمِلَاوَةِ، أَوْ: مَلِيًّا بِالذَّهَابِ عَنِّي، وَالْهِجْرَانِ قَبْلَ أَنْ أَثْخَنَكَ بِالضَّرْبِ، حَتَّى لَا تَقْدِرَ أَنْ تَبْرَحَ، يُقَالُ: فُلَانٌ مَلِيٌّ بِكَذَا، إِذَا كَانَ مُطِيقًا لَهُ مُضْطَلِعًا بِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: عَلَامَ عَطَفَ ﴿وَاهْجُرْنِي﴾[2]؟

قُلْتُ: عَلَى مَعْطُوفٍ عَلَيْهِ مَحْذُوفٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ: "أَرْجُمَنَّكَ"، أَيْ: فَاحْذَرْنِي وَاهْجُرْنِي؛ لِأَنَّ ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾[3]: تَهْدِيدٌ وَتَقْرِيعٌ.

﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾[4]

﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ﴾[5]: سَلَامُ تَوْدِيعٍ وَمُتَارَكَةٍ؛ كَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾[6]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[7].

وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ مُتَارَكَةِ الْمَنْصُوحِ وَالْحَالُ هَذِهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَدْ دَعَا لَهُ بِالسَّلَامَةِ اسْتِمَالَةً لَهُ.

أَلَا تَرَى أَنَّهُ وَعَدَهُ الِاسْتِغْفَارَ؟!

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ جَازَ لَهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِلْكَافِرِ وَأَنْ يَعِدَهُ ذَلِكَ؟

قُلْتُ: قَالُوا: أَرَادَ اشْتِرَاطَ التَّوْبَةِ عَنِ الْكُفْرِ، كَمَا تَرِدُ الْأَوَامِرُ وَالنَّوَاهِي الشَّرْعِيَّةُ عَلَى الْكُفَّارِ؛ وَالْمُرَادُ: اشْتِرَاطُ الْإِيمَانِ.

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[2] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[3] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[4] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[5] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[6] سورة الْقَصَصَ، الآية 55.

[7] سورة الْفُرْقَانَ، الآية 63.

وَكَمَا يُؤْمَرُ الْمُحْدِثُ وَالْفَقِيرُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، وَيُرَادُ اشْتِرَاطُ الْوُضُوءِ وَالنِّصَابِ، وَقَالُوا: إِنَّمَا اسْتَغْفَرَ لَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَاغْفِرْ لأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾[1]؛ لِأَنَّهُ وَعَدَهُ أَنْ يُؤْمِنَ؛ وَاسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾[2].

وَلِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ: إِنَّ الَّذِي مَنَعَ مِنَ الِاسْتِغْفَارِ لِلْكَافِرِ إِنَّمَا هُوَ السَّمْعُ، فَأَمَّا الْقَضِيَّةُ الْعَقْلِيَّةُ فَلَا تَأْبَاهُ، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْوَعْدُ بِالِاسْتِغْفَارِ وَالْوَفَاءُ بِهِ قَبْلَ وُرُودِ السَّمْعِ، بِنَاءً عَلَى قَضِيَّةِ الْعَقْلِ.

وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى صِحَّتِهِ قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾[3]، فَلَوْ كَانَ شَارِطًا لِلْإِيمَانِ لَمْ يَكُنْ مُسْتَنْكَرًا وَمُسْتَثْنَى عَمَّا وَجَبَتْ فِيهِ الْأُسْوَةُ.

وَأَمَّا: ﴿عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾[4]، فَالْوَاعِدُ إِبْرَاهِيمُ لَا آزَرُ، أَيْ: مَا قَالَ: ﴿وَاغْفِرْ لأَبِي﴾[5] إِلَّا عَنْ قَوْلِهِ: ﴿لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾[6]، وَتَشْهَدُ لَهُ قِرَاءَةُ حَمَّادٍ الرَّاوِيَةِ: وَعَدَهَا أَبَاهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

﴿حَفِيًّا﴾[7] الْحَفِيُّ: الْبَلِيغُ فِي الْبِرِّ وَالْإِلْطَافِ، حَفِيَ بِهِ وَتَحَفَّى بِهِ.

﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ﴾[8]: أَرَادَ بِالِاعْتِزَالِ الْمُهَاجِرَةَ إِلَى الشَّامِ، الْمُرَادُ بِالدُّعَاءِ: الْعِبَادَةُ، لِأَنَّهُ مِنْهَا وَمِنْ وَسَائِطِهَا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ"؛ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[9].

---

[1] سورة الشُّعَرَاءِ، الآية 86.

[2] سورة التَّوْبَةِ، الآية 114.

[3] سورة الْمُمْتَحَنَةِ، الآية 44.

[4] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[5] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[6] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[7] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[8] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[9] سورة مَرْيَمَ، الآية 49.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ الدُّعَاءُ الَّذِي حَكَاهُ اللَّهُ فِي سُورَةِ الشُّعَرَاءِ، عَرَّضَ بِشَقَاوَتِهِمْ بِدُعَاءِ آلِهَتِهِمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿عَسَى أَلا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾[1]، مَعَ التَّوَاضُعِ لِلَّهِ بِكَلِمَةِ ﴿عَسَى﴾[2]، وَمَا فِيهِ مِنْ هَضْمِ النَّفْسِ.

﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلا جَعَلْنَا نَبِيًّا وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾[3]

مَا خَسِرَ عَلَى اللَّهِ أَحَدٌ تَرَكَ الْكُفَّارَ الْفَسَقَةَ لِوَجْهِهِ، فَعَوَّضَهُ أَوْلَادًا مُؤْمِنِينَ أَنْبِيَاءَ.

﴿مِنْ رَحْمَتِنَا﴾[4] هِيَ النُّبُوَّةُ عَنِ الْحَسَنِ.

وَعَنِ الْكَلْبِيِّ: الْمَالُ وَالْوَلَدُ، وَتَكُونُ عَامَّةً فِي كُلِّ خَيْرٍ دِينِيٍّ وَدُنْيَوِيٍّ أُوتُوهُ، لِسَانُ الصِّدْقِ: الثَّنَاءُ الْحَسَنُ، وَعَبَّرَ بِاللِّسَانِ عَمَّا يُوجَدُ بِاللِّسَانِ كَمَا عَبَّرَ بِالْيَدِ عَمَّا يُطْلَقُ بِالْيَدِ، وَهِيَ الْعَطِيَّةُ.

قَالَ:

إِنِّي أَتَتْنِي لِسَانٌ لَا أُسِرُّ بِهَا

يُرِيدُ الرِّسَالَةَ، وَلِسَانُ الْعَرَبِ: لُغَتُهُمْ وَكَلَامُهُمْ، اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَهُ: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ﴾[5]، فَصَيَّرَهُ قُدْوَةً حَتَّى ادَّعَاهُ أَهْلُ الْأَدْيَانِ كُلُّهُمْ.

وَقَالَ –عَزَّ وَجَلَّ–: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾[6]، وَ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾[7]، ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾[8]، وَأَعْطَى ذَلِكَ ذَرِّيَّتَهُ فَأَعْلَى ذِكْرَهُمْ وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ، كَمَا أَعْلَى ذِكْرَهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ.

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية 49.

[2] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[3] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[4] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[5] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[6] سورة الْحَجِّ، الآية.

[7] سورة الْبَقَرَةَ، الآية 135.

[8] سورة م النَّحْلِ، الآية 123.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولا نَبِيًّا﴾[1]

الْمُخْلِصُ بِالْكَسْرِ: الَّذِي أَخْلَصَ الْعِبَادَةَ عَنِ الشِّرْكِ وَالرِّيَاءِ، أَوْ أَخْلَصَ نَفْسَهُ وَأَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ، وَبِالْفَتْحِ: الَّذِي أَخْلَصَهُ اللَّهُ، الرَّسُولُ: الَّذِي مَعَهُ كِتَابٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَالنَّبِيُّ: الَّذِي يُنْبِئُ عَنِ اللَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ– وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ كِتَابٌ، كَيُوشَعَ.

﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾[2]

الْأَيْمَنُ مِنَ الْيَمِينِ، أَيْ: مِنْ نَاحِيَتِهِ الْيُمْنَى، أَوْ مِنَ الْيَمَنِ صِفَةٌ لِلطُّورِ، أَوْ لِلْجَانِبِ، شَبَّهَهُ بِمَنْ قَرَّبَهُ بَعْضُ الْعُظَمَاءِ لِلْمُنَاجَاةِ؛ حَيْثُ كَلَّمَهُ بِغَيْرِ وَاسِطَةِ مَلَكٍ.

وَعَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ قَرَّبَهُ حَتَّى سَمِعَ صَرِيفَ الْقَلَمِ الَّذِي كُتِبَتْ بِهِ التَّوْرَاةُ.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾[3]

﴿مِنْ رَحْمَتِنَا﴾[4]: مِنْ أَجْلِ رَحْمَتِنَا لَهُ، وَتَرَأُّفِنَا عَلَيْهِ: وَهَبْنَا لَهُ هَارُونَ، أَوْ بَعْضَ رَحْمَتِنَا، كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾[5].

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[2] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[3] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[4] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[5] سورة مَرْيَمَ، الآية.

وَ﴿أَخَاهُ﴾[1]: عَلَى هَذَا الْوَجْهِ بَدَلٌ، وَ﴿هَارُونَ﴾[2] عَطْفُ بَيَانٍ: كَقَوْلِكَ: رَأَيْتُ رَجُلًا أَخَاكَ زَيْدًا، وَكَانَ هَارُونُ أَكْبَرَ مِنْ مُوسَى، فَوَقَعَتِ الْهِبَةُ عَلَى مُعَاضَدَتِهِ وَمُوَازَرَتِهِ كَذَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولا نَبِيًّا وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾[3]

ذَكَرَ إِسْمَاعِيلَ –عَلَيْهِ السَّلَامُ– بِصِدْقِ الْوَعْدِ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مَوْجُودًا فِي غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ؛ تَشْرِيفًا لَهُ وَإِكْرَامًا، كَالتَّلْقِيبِ بِنَحْوِ: الْحَلِيمِ، وَالْأَوَّاهِ، وَالصِّدِّيقِ؛ وَلِأَنَّهُ الْمَشْهُورُ الْمُتَوَاصَفُ مِنْ خِصَالِهِ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: أَنَّهُ وَعَدَ صَاحِبًا لَهُ أَنْ يَنْتَظِرَهُ فِي مَكَانٍ، فَانْتَظَرَهُ سَنَةً، وَنَاهِيكَ أَنَّهُ وَعَدَ فِي نَفْسِهِ الصَّبْرَ عَلَى الذَّبْحِ فَوَفَّى؛ حَيْثُ قَالَ: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾[4]، كَانَ يَبْدَأُ بِأَهْلِهِ فِي الْأَمْرِ بِالصَّلَاحِ وَالْعِبَادَةِ، لِيَجْعَلَهُمْ قُدْوَةً لِمَنْ وَرَاءَهُمْ، وَلِأَنَّهُمْ أَوْلَى مِنْ سَائِرِ النَّاسِ، ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾[5]، ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ﴾[6]، ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾[7]!

أَلَا تَرَى أَنَّهُمْ أَحَقُّ بِالتَّصَدُّقِ عَلَيْهِمْ، فَالْإِحْسَانُ الدِّينِيُّ أَوْلَى؟!

وَقِيلَ: ﴿أَهْلَهُ﴾[8] أُمَّتَهُ كُلَّهُمْ مِنَ الْقَرَابَةِ وَغَيْرِهِمْ؛ لِأَنَّ أُمَمَ النَّبِيِّينَ فِي عِدَادِ أَهَالِيهِمْ، وَفِيهِ أَنَّ مِنْ حَقِّ الصَّالِحِ أَنْ لَا يَأْلُوَ نُصْحًا لِلْأَجَانِبِ فَضْلًا عَنِ الْأَقَارِبِ وَالْمُتَّصِلِينَ بِهِ، وَأَنْ يَحْظِيَهُمْ بِالْفَوَائِدِ الدِّينِيَّةِ وَلَا يُفَرِّطُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ.

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[2] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[3] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[4] سورة الصَّافَّاتِ، الآية 102.

[5] سورة الشُّعَرَاءِ، الآية 214.

[6] سورة طَهَ، الآية 132.

[7] سورة التَّحْرِيمِ، الآية.

[8] سورة مَرْيَمَ، الآية.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[1]

قِيلَ: سُمِّيَ إِدْرِيسَ؛ لِكَثْرَةِ دِرَاسَتِهِ كِتَابَ اللَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ– وَكَانَ اسْمُهُ أَخْنُوخَ، وَهُوَ غَيْرُ صَحِيحٍ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ أَفْعِيلًا مِنَ الدَّرْسِ لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا سَبَبٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْعَلَمِيَّةُ، فَكَانَ مُنْصَرِفًا، فَامْتِنَاعُهُ مِنَ الصَّرْفِ دَلِيلُ الْعُجْمَةِ؛ وَكَذَلِكَ إِبْلِيسُ أَعْجَمِيٌّ، وَلَيْسَ مِنَ الْإِبْلَاسِ كَمَا يَزْعُمُونَ، وَلَا يَعْقُوبُ مِنَ الْعَقِبِ، وَلَا إِسْرَائِيلُ بِإِسْرَالَ كَمَا زَعَمَ ابْنُ السِّكِّيتِ، وَمَنْ لَمْ يُحَقِّقْ وَلَمْ يَتَدَرَّبْ بِالصِّنَاعَةِ كَثُرَتْ مِنْهُ أَمْثَالُ هَذِهِ الْهِنَاتِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى ﴿إِدْرِيسَ﴾[2]: فِي تِلْكَ اللُّغَةِ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، فَحَسَبَهُ الرَّاوِي مُشْتَقًّا مِنَ الدَّرْسِ، الْمَكَانُ الْعَلِيُّ: شَرَفُ النُّبُوَّةِ وَالزُّلْفَى عِنْدَ اللَّهِ، وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ ثَلَاثِينَ صَحِيفَةً، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ خَطَّ بِالْقَلَمِ وَنَظَرَ فِي عِلْمِ النُّجُومِ وَالْحِسَابِ، وَأَوَّلُ مَنْ خَاطَ الثِّيَابَ وَلَبِسَهَا، وَكَانُوا يَلْبَسُونَ الْجُلُودَ.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–: يَرْفَعُهُ إِنَّهُ رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا –: إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ.

وَعَنِ الْحَسَنِ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ –: إِلَى الْجَنَّةِ لَا شَيْءَ أَعْلَى مِنَ الْجَنَّةِ.

وَعَنِ النَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ: أَنَّهُ لَمَّا أَنْشَدَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشِّعْرَ الَّذِي آخِرُهُ:

بَلَغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَسَنَاؤُنَا وَإِنَّا لَنَرْجُوْ فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرَا

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: إِلَى أَيْنَ يَا أَبَا لَيْلَى؟ قَالَ: إِلَى الْجَنَّةِ.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾[3]

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[2] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[3] سورة مَرْيَمَ، الآية.

﴿أُولَئِكَ﴾[1]: إِشَارَةٌ إِلَى الْمَذْكُورِينَ فِي السُّورَةِ مِنْ لَدُنْ زَكَرِيَّا إِلَى إِدْرِيسَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَ﴿مِنْ﴾[2] فِي ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ﴾[3]: لِلْبَيَانِ مِثْلُهَا فِي قَوْلِهِ -تَعَالَى- فِي آخِرِ سُورَةِ الْفَتْحِ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً﴾[4]؛ لِأَنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ مُنْعَمٌ عَلَيْهِمْ، وَمِنَ الثَّانِيَةِ لِلتَّبْعِيضِ، وَكَانَ إِدْرِيسُ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ لِقُرْبِهِ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ جَدُّ أَبِي نُوحٍ، وَإِبْرَاهِيمُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: مِنْ ذُرِّيَّةِ مَنْ حُمِلَ مَعَ نُوحٍ؛ لِأَنَّهُ مِنْ ذُرِّيَّةِ سَامِ بْنِ نُوحٍ، وَإِسْمَاعِيلُ: مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ، وَمُوسَى، وَهَارُونُ، وَزَكَرِيَّا، وَيَحْيَى: مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْرَائِيلَ؛ وَكَذَلِكَ عِيسَى؛ لِأَنَّ مَرْيَمَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ.

﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾[5]: يُحْتَمَلُ الْعَطْفُ عَلَى مَنِ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ، إِنْ جَعَلْتَ الَّذِينَ خَبَرًا لِأُولَئِكَ كَانَ ﴿إِذَا تُتْلَى﴾[6]: كَلَامًا مُسْتَأْنَفًا، وَإِنْ جَعَلْتَهُ صِفَةً لَهُ كَانَ خَبَرًا.

قَرَأَ شِبْلُ بْنُ عَبَّادٍ الْمَكِّيُّ: "يُتْلَى": بِالتَّذْكِيرِ؛ لِأَنَّ التَّأْنِيثَ غَيْرُ حَقِيقِيٍّ مَعَ وُجُودِ الْفَاصِلِ، الْبُكِيُّ: جَمْعُ بَاكٍ، كَالسُّجُودِ وَالْقُعُودِ فِي جَمْعِ سَاجِدٍ وَقَاعِدٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "اتْلُوا الْقُرْآنَ وَابْكُوا، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوْا".

وَعَنْ صَالِحٍ الْمُرِّيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: قَرَأْتُ الْقُرْآنَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي الْمَنَامِ، فَقَالَ لِي: "هِذِهِ الْقِرَاءَةُ يَا صَالِحُ، فَأَيْنَ الْبُكَاءُ؟".

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: إِذَا قَرَأْتُمْ سَجْدَةَ سُبْحَانَ، فَلَا تَعْجَلُوا بِالسُّجُودِ حَتَّى تَبْكُوا، فَإِنْ لَمْ تَبْكِ عَيْنُ أَحَدِكُمْ فَلْيَبْكِ قَلْبُهُ.

وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ بِحُزْنٍ، فَإِذَا قَرَأْتُمُوهُ فَتَحَازَنُوا"، وَقَالُوا: يَدْعُو فِي سَجْدَةِ التِّلَاوَةِ بِمَا يَلِيقُ بِآيَتِهَا؛ فَإِنْ قَرَأَ آيَةَ تَنْزِيلَ السَّجْدَةَ، قَالَ: اللَّهُمَّ: اجْعَلْنِي مِنَ السَّاجِدِينَ لِوَجْهِكَ الْمُسَبِّحِينَ بِحَمْدِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ عَنْ أَمْرِكَ، وَإِنْ قَرَأَ سَجْدَةَ سُبْحَانَ، قَالَ: اللَّهُمَّ، اجْعَلْنِي مِنَ الْبَاكِينَ إِلَيْكَ الْخَاشِعِينَ لَكَ، وَإِنْ قَرَأَ هَذِهِ، قَالَ: اللَّهُمَّ، اجْعَلْنِي مِنْ عِبَادِكَ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمُ الْمُهْتَدِينَ، السَّاجِدِينَ لَكَ، الْبَاكِينَ عِنْدَ تِلَاوَةِ آيَاتِكَ.

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[2] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[3] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[4] سورة الْفَتْحَ، الآية 29.

[5] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[6] سورة مَرْيَمَ، الآية.

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[1]

خَلَفَهُ: إِذَا عَقَبَهُ، ثُمَّ قِيلَ فِي عَقِبِ الْخَيْرِ: "خَلَفٌ": بِالْفَتْحِ، وَفِي عَقِبِ السُّوءِ: خَلْفٌ، بِالسُّكُونِ، كَمَا قَالُوا: "وَعَدٌ" فِي ضَمَانِ الْخَيْرِ، وَ"عِيدٌ": فِي ضَمَانِ الشَّرِّ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: هُمُ الْيَهُودُ؛ تَرَكُوا الصَّلَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَشَرِبُوا الْخَمْرَ، وَاسْتَحَلُّوا نِكَاحَ الْأُخْتِ مِنَ الْأَبِ.

وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ وَمُجَاهِدٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–: أَضَاعُوهَا بِالتَّأْخِيرِ، وَيَنْصُرُ الْأَوَّلَ قَوْلُهُ: ﴿إِلاّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ﴾[2]، يَعْنِي: الْكُفَّارَ.

وَعَنْ عَلِيٍّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– فِي قَوْلِهِ:﴿ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾[3]: مَنْ بَنَى الشَّدِيدَ، وَرَكِبَ الْمَنْظُورَ، وَلَبِسَ الْمَشْهُورَ.

وَعَنْ قَتَادَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: هُوَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ.

وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَالْحَسَنُ وَالضَّحَّاكُ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ –: "الصَّلَوَاتِ" بِالْجَمْعِ.

كُلُّ شَرٍّ عِنْدَ الْعَرَبِ: غَيٌّ، وَكُلُّ خَيْرٍ: رَشَادٌ.

قَالَ الْمُرَقِّشُ:

فَمَنْ يَلْقَ خَيْرًا تَحْمَدِ النَّاسُ أَمْرَهُ وَمَنْ يَغْوَ لَا يَعْدَمْ عَلَى الْغَيِّ لَائِمَا

وَعَنِ الزَّجَّاجِ: جَزَاءُ غَيٍّ، كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾[4]، أَيْ: مُجَازَاةَ أَثَامٍ، أَوْ غَيًّا عَنْ طَرِيقِ الْجَنَّةِ.

وَقِيلَ: "غَيٌّ": وَادٍ فِي جَهَنَّمَ تَسْتَعِيذُ مِنْهُ أَوْدِيَتُهَا.

وَقَرَأَ الْأَخْفَشُ: "يُلْقُونَ".

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[2] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[3] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[4] سورة الْفُرْقَانَ، الآية 68.

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾[1]

قُرِئَ: ﴿يَدْخُلُونَ﴾[2]، وَ"يُدْخَلُونَ"، أَيْ: لَا يُنْقَصُونَ شَيْئًا مِنْ جَزَاءِ أَعْمَالِهِمْ وَلَا يُمْنَعُونَهُ، بَلْ يُضَاعَفُ لَهُمْ؛ بَيَانًا لِأَنَّ تَقَدُّمَ الْكُفْرِ لَا يَضُرُّهُمْ إِذَا تَابُوا مِنْ ذَلِكَ، مِنْ قَوْلِكَ: مَا ظَلَمَكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا، بِمَعْنَى: مَا مَنَعَكَ، أَوْ لَا يُظْلَمُونَ أَلْبَتَّةَ، أَيْ؛ شَيْئًا مِنَ الظُّلْمِ.

﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾[3]

لَمَّا كَانَتِ الْجَنَّةُ مُشْتَمِلَةً عَلَى جَنَّاتِ عَدْنٍ أُبْدِلَتْ مِنْهَا؛ كَقَوْلِكَ: أَبْصَرْتُ دَارَكَ الْقَاعَةَ وَالْعِلَالِيَ.

وَ﴿عَدْنٍ﴾[4]: مَعْرِفَةٌ عَلَمٌ، بِمَعْنَى: الْعَدْنُ، وَهُوَ الْإِقَامَةُ، كَمَا جَعَلُوا: فَيْنَةٌ، وَسَحَرٌ، وَأَمْسُ –فِيمَنْ لَمْ يَصْرِفْهُ–: أَعْلَامًا لِمَعَانِي: الْفَيْنَةُ، وَالسَّحَرُ، وَالْأَمْسُ، فَجَرَى مَجْرَى الْعَدْنِ لِذَلِكَ، أَوْ هُوَ عَلَمٌ لِأَرْضِ الْجَنَّةِ؛ لِكَوْنِهَا مَكَانَ إِقَامَةٍ.

وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمَا سَاغَ الْإِبْدَالُ؛ لِأَنَّ النَّكِرَةَ لَا تُبْدَلُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ إِلَّا مَوْصُوفَةً، وَلَمَا سَاغَ وَصْفُهَا بِالَّتِي.

وَقُرِئَ: "جَنَّاتُ عَدْنٍ" وَ"جَنَّةُ عَدْنٍ": بِالرَّفْعِ عَلَى الِابْتِدَاءِ، أَيْ: وَعَدَهَا، وَهِيَ غَائِبَةٌ عَنْهُمْ غَيْرُ حَاضِرَةٍ، أَوْ هُمْ غَائِبُونَ عَنْهَا لَا يُشَاهِدُونَهَا، أَوْ بِتَصْدِيقِ الْغَيْبِ وَالْإِيمَانِ بِهِ، قِيلَ فِي ﴿مَأْتِيًّا﴾[5]: مَفْعُولٌ، بِمَعْنَى: فَاعِلٌ، وَالْوَجْهُ أَنَّ الْوَعْدَ هُوَ الْجَنَّةُ وَهُمْ يَأْتُونَهَا، أَوْ هُوَ مِنْ قَوْلِكَ: أَتَى إِلَيْهِ إِحْسَانًا، أَيْ: كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا مُنْجَزًا.

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[2] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[3] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[4] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[5] سورة مَرْيَمَ، الآية.

﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلا سَلامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[1]

اللَّغْوُ: فُضُولُ الْكَلَامِ وَمَا لَا طَائِلَ تَحْتَهُ، وَفِيهِ تَنْبِيهٌ ظَاهِرٌ عَلَى وُجُوبِ تَجَنُّبِ اللَّغْوِ وَاتِّقَائِهِ؛ حَيْثُ نَزَّهَ اللَّهُ عَنْهُ الدَّارَ الَّتِي لَا تَكْلِيفَ فِيهَا، وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَهُ –سُبْحَانَهُ–: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾[2]، ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾[3].

نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ اللَّغْوِ وَالْجَهْلِ وَالْخَوْضِ فِيمَا لَا يَعْنِينَا، أَيْ: إِنْ كَانَ تَسْلِيمُ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ أَوْ تَسْلِيمُ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمْ لَغْوًا، فَلَا يَسْمَعُونَ لَغْوًا إِلَّا ذَلِكَ، فَهُوَ مِنْ وَادِي قَوْلِهِ:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ

أَوْ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا إِلَّا قَوْلًا يَسْلَمُونَ فِيهِ مِنَ الْعَيْبِ وَالنَّقِيصَةِ، عَلَى الِاسْتِثْنَاءِ الْمُنْقَطِعِ؛ أَوْ لِأَنَّ مَعْنَى: السَّلَامُ هُوَ: الدُّعَاءُ بِالسَّلَامَةِ.

وَدَارُ السَّلَامِ: هِيَ دَارُ السَّلَامَةِ، وَأَهْلُهَا عَنِ الدُّعَاءِ بِالسَّلَامَةِ أَغْنِيَاءُ، فَكَانَ ظَاهِرُهُ مِنْ بَابِ اللَّغْوِ وَفُضُولِ الْحَدِيثِ، لَوْلَا مَا فِيهِ مِنْ فَائِدَةِ الْإِكْرَامِ.

مِنَ النَّاسِ مَنْ يَأْكُلُ الْوَجْبَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْكُلُ مَتَى وَجَدَ –وَهِيَ عَادَةُ الْمَنْهُومِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَغَدَّى وَيَتَعَشَّى–، وَهِيَ الْعَادَةُ الْوُسْطَى الْمَحْمُودَةُ، وَلَا يَكُونُ ثَمَّ لَيْلٌ وَلَا نَهَارٌ، وَلَكِنْ عَلَى التَّقْدِيرِ؛ وَلِأَنَّ الْمُتَنَعِّمَ عِنْدَ الْعَرَبِ مَنْ وَجَدَ غَدَاءً وَعَشَاءً.

وَقِيلَ: أَرَادَ دَوَامَ الرِّزْقِ وَدَرُورَهُ، كَمَا تَقُولُ: أَنَا عِنْدَ فُلَانٍ صَبَاحًا وَمَسَاءً وَبُكْرَةً وَعَشِيًّا، يُرِيدُ: الدَّيْمُومَةُ، وَلَا تَقْصِدُ الْوَقْتَيْنِ الْمَعْلُومَيْنِ.

﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾[4]

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[2] سورة م الْفُرْقَانَ، الآية 72.

[3] سورة م الْقَصَصَ، الآية 55.

[4] سورة مَرْيَمَ، الآية.

﴿نُورِثُ﴾[1]، وَقُرِئَ: "نُوَرِّثُ"، اسْتِعَارَةً، أَيْ: نُبْقِي عَلَيْهِ الْجَنَّةَ كَمَا نُبْقِي عَلَى الْوَارِثِ مَالَ الْمُوَرِّثِ، وَلِأَنَّ الْأَتْقِيَاءَ يَلْقَوْنَ رَبَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَدِ انْقَضَتْ أَعْمَالُهُمْ وَثَمَرَتُهَا بَاقِيَةٌ وَهِيَ الْجَنَّةُ، فَإِذَا أَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ فَقَدْ أَوْرَثَهُمْ مِنْ تَقْوَاهُمْ كَمَا يُورَثُ الْوَارِثُ الْمَالَ مِنَ الْمُتَوَفَّى.

وَقِيلَ: أُورِثُوا مِنَ الْجَنَّةِ الْمَسَاكِنَ الَّتِي كَانَتْ لِأَهْلِ النَّارِ لَوْ أَطَاعُوا.

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[2]

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ﴾[3]: حِكَايَةُ قَوْلِ جِبْرِيلَ –صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ– حِينَ اسْتَبْطَأَهُ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– رَوَى أَنَّهُ احْتَبَسَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا.

وَقِيلَ: خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا؛ وَذَلِكَ حِينَ سُئِلَ عَنْ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ وَذِي الْقَرْنَيْنِ وَالرُّوحِ، فَلَمْ يَدْرِ كَيْفَ يُجِيبُ وَرَجَا أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ فِيهِ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ مَشَقَّةً شَدِيدَةً، وَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: وَدَّعَهُ رَبُّهُ وَقَلَاهُ.

فَلَمَّا نَزَلَ جِبْرِيلُ –عَلَيْهِ السَّلَامُ– قَالَ لَهُ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "أَبْطَأْتَ حَتَّى سَاءَ ظَنِّي وَاشْتَقْتُ إِلَيْكَ". قَالَ: إِنِّي كُنْتُ أَشْوَقَ وَلَكِنِّي عَبْدٌ مَأْمُورٌ، إِذَا بُعِثْتُ نَزَلْتُ، وَإِذَا حُبِسْتُ احْتَبَسْتُ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ –سُبْحَانَهُ– هَذِهِ الْآيَةَ وَسُورَةَ الضُّحَى.

وَالتَّنَزُّلُ عَلَى مَعْنَيَيْنِ: مَعْنَى النُّزُولِ عَلَى مَهَلٍ، وَمَعْنَى النُّزُولِ عَلَى الْإِطْلَاقِ؛ كَقَوْلِهِ:

فَلَسْتُ لِإِنْسِيٍّ وَلَكِنْ لِمَلْأَكٍ تَنَزَّلَ مِنْ جَوِ السَّمَاءِ يَصُوبُ

لِأَنَّهُ مُطَاوِعُ نَزَلَ، وَنَزَلَ يَكُونُ بِمَعْنَى: أَنْزَلَ، وَبِمَعْنَى: التَّدْرِيجُ، وَاللَّائِقُ بِهَذَا الْمَوْضِعِ هُوَ: النُّزُولُ عَلَى مَهَلٍ.

وَالْمُرَادُ: أَنَّ نُزُولَنَا فِي الْأَحَايِينِ وَقْتًا غِبَّ وَقْتٍ لَيْسَ إِلَّا بِأَمْرِ اللَّهِ، وَعَلَى مَا يَرَاهُ صَوَابًا وَحِكْمَةً، وَلَهُ مَا قُدَّامَنَا، ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾[4]: مِنَ الْجِهَاتِ وَالْأَمَاكِنِ، ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾[5]:

---

[1] سورة مَرْيَمَ ، الآية.

[2] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[3] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[4] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[5] سورة مَرْيَمَ، الآية.

وَمَا نَحْنُ فِيهَا فَلَا نَتَمَالَكُ أَنْ نَنْتَقِلَ مِنْ جِهَةٍ إِلَى جِهَةٍ وَمَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ إِلَّا بِأَمْرِ الْمَلِيكِ: وَمَشِيئَتِهِ، وَهُوَ الْحَافِظُ الْعَالِمُ بِكُلِّ حَرَكَةٍ وَسُكُونٍ، وَمَا يَحْدُثُ وَيَتَجَدَّدُ مِنَ الْأَحْوَالِ، لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْغَفْلَةُ وَالنِّسْيَانُ، فَأَنَّى لَنَا أَنْ نَتَقَلَّبَ فِي مَلَكُوتِهِ إِلَّا إِذَا رَأَى ذَلِكَ مَصْلَحَةً وَحِكْمَةً، وَأَطْلَقَ لَنَا الْإِذْنَ فِيهِ.

وَقِيلَ: مَا سَلَفَ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَمَا يُسْتَقْبَلُ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ، وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ: مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ وَهُوَ أَرْبَعُونَ سَنَةً.

وَقِيلَ: مَا مَضَى مِنْ أَعْمَارِنَا وَمَا غَبَرَ مِنْهَا، وَالْحَالُ الَّتِي نَحْنُ فِيهَا.

وَقِيلَ: مَا قَبْلَ وُجُودِنَا وَمَا بَعْدَ فَنَائِنَا.

وَقِيلَ: الأرض الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا إِذَا نَزَلْنَا، وَالسَّمَاءُ الَّتِي وَرَاءَنَا، وَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأرض.

وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ الْمُحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ، لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ، فَكَيْفَ نُقْدِمُ عَلَى فِعْلٍ نُحْدِثُهُ إِلَّا صَادِرًا عَمَّا تُوجِبُهُ حِكْمَتُهُ وَيَأْمُرُنَا بِهِ وَيَأْذَنُ لَنَا فِيهِ.

وَقِيلَ: مَعْنَى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[1]: وَمَا كَانَ تَارِكًا لَكَ، كَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾[2]، أَيْ: مَا كَانَ امْتِنَاعُ النُّزُولِ إِلَّا لِامْتِنَاعِ الْأَمْرِ بِهِ.

وَأَمَّا احْتِبَاسُ الْوَحْيِ فَلَمْ يَكُنْ عَنْ تَرْكِ اللَّهِ لَكَ وَتَوْدِيعِهِ إِيَّاكَ، وَلَكِنْ لِتَوَقُّفِهِ عَلَى الْمَصْلَحَةِ.

وَقِيلَ: هِيَ حِكَايَةُ قَوْلِ الْمُتَّقِينَ حِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، أَيْ: وَمَا نَنْزِلُ الْجَنَّةَ إِلَّا بِأَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا بِثَوَابِ أَعْمَالِنَا وَأَمَرَنَا بِدُخُولِهَا، وَهُوَ الْمَالِكُ لِرِقَابِ الْأُمُورِ كُلِّهَا السَّالِفَةِ.

وَالْمُتَرَقَّبَةُ وَالْحَاضِرَةُ، أَلْطَفُ فِي أَعْمَالِ الْخَيْرِ وَالْمُوَفِّقُ لَهَا وَالْمُجَازِي عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ اللَّهُ -تَعَالَى- -تَقْرِيرًا لِقَوْلِهِمْ-: وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا لِأَعْمَالِ الْعَامِلِينَ، غَافِلًا عَمَّا يَجِبُ أَنْ يُثَابُوا بِهِ.

وَكَيْفَ يَجُوزُ النِّسْيَانُ وَالْغَفْلَةُ عَلَى ذِي مَلَكُوتِ السَّمَاءِ وَالأرض وَمَا بَيْنَهُمَا؟

ثُمَّ قَالَ لِرَسُولِهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: فَحِينَ عَرَفْتَهُ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ، فَأَقْبِلْ عَلَى الْعَمَلِ وَاعْبُدْهُ: يُثِبْكَ كَمَا أَثَابَ غَيْرَكَ مِنَ الْمُتَّقِينَ.

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[2] سورة الضُّحَى، الآية 33.

وَقَرَأَ الْأَعْرَجُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: "وَمَا يَتَنَزَّلُ": بِالْيَاءِ عَلَى الْحِكَايَةِ عَنْ جِبْرِيلَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وَالضَّمِيرُ: لِلْوَحْيِ.

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: إِلَّا بِقَوْلِ رَبِّكَ: يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْخِلَافُ فِي النَّسْيِ مِثْلُهُ فِي الْبَغْيِ.

﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأرض وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[1]

﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[2]: بَدَلٌ مِنْ رَبِّكَ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ خَبَرَ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، أَيْ: هُوَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأرض، ﴿فَاعْبُدْهُ﴾[3] كَقَوْلِهِ:

وَقَائِلَةٍ خَوْلَانَ فَانْكِحْ فَتَاتَهُمْ

وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[4]: مِنْ كَلَامِ الْمُتَّقِينَ، وَمَا بَعْدَهُ مِنْ كَلَامِ رَبِّ الْعِزَّةِ.

فَإِنْ قُلْتَ: هَلَّا عُدِّيَ: ﴿اصْطَبِرْ﴾[5]: بِعَلَى الَّتِي هِيَ صِلَتُهُ؛ كَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[6].

قُلْتُ: لِأَنَّ الْعِبَادَةَ جُعِلَتْ بِمَنْزِلَةِ الْقَرْنِ فِي قَوْلِكَ لِلْمُحَارِبِ: اصْطَبِرْ لِقَرْنِكَ: أَيِ اثْبُتْ لَهُ فِيمَا يُورِدُ عَلَيْكَ مِنْ شَدَّاتِهِ أُرِيدَ أَنَّ الْعِبَادَةَ تُورِدُ عَلَيْكَ شَدَائِدَ وَمَشَاقَّ، فَاثْبُتْ لَهَا وَلَا تَهِنْ، وَلَا يَضِقْ صَدْرُكَ عَنْ إِلْقَاءِ عِدَاتِكَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَيْكَ الْأَغَالِيطَ، وَعَنِ احْتِبَاسِ الْوَحْيِ عَلَيْكَ مُدَّةَ وَشَمَاتَةَ الْمُشْرِكِينَ بِكَ، أَيْ: لَمْ يُسَمَّ شَيْءٌ بِاللَّهِ قَطُّ، وَكَانُوا يَقُولُونَ لِأَصْنَامِهِمْ: آلِهَةٌ، وَالْعُزَّى: إِلَهٌ.

وَأَمَّا الَّذِي عُوِّضَ فِيهِ الْأَلِفُ وَاللَّامُ مِنَ الْهَمْزَةِ، فَمَخْصُوصٌ بِهِ الْمَعْبُودُ الْحَقُّ غَيْرُ مُشَارَكٍ فِيهِ.

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[2] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[3] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[4] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[5] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[6] سورة طَهَ، الآية 132.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–: لَا يُسَمَّى أَحَدٌ الرَّحْمَنَ غَيْرُهُ، وَوَجْهٌ آخَرُ: هَلْ تَعْلَمُ مَنْ سُمِّيَ بِاسْمِهِ عَلَى الْحَقِّ دُونَ الْبَاطِلِ؛ لِأَنَّ التَّسْمِيَةَ عَلَى الْبَاطِلِ فِي كَوْنِهَا غَيْرَ مُعْتَدٍّ بِهَا كَلَا تَسْمِيَةَ.

وَقِيلَ: مَثَلًا وَشَبِيهًا، أَيْ: إِذَا صَحَّ أَنْ لَا مَعْبُودَ يُوَجِّهُ إِلَيْهِ الْعِبَادُ الْعِبَادَةَ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ، لَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ عِبَادَتِهِ وَالِاصْطِبَارِ عَلَى مَشَاقِّهَا وَتَكَالِيفِهَا.

﴿وَيَقُولُ الإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا أَوَلا يَذْكُرُ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾[1]

يُحْتَمَلُ أَنْ يُرَادَ بِالْإِنْسَانِ الْجِنْسُ بِأَسْرِهِ، وَأَنْ يُرَادَ بَعْضُ الْجِنْسِ وَهُمُ الْكَفَرَةُ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ جَازَتْ إِرَادَةُ الْأَنَاسِيِّ كُلِّهِمْ، وَكُلُّهُمْ غَيْرُ قَائِلِينَ ذَلِكَ؟

قُلْتُ: لَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الْمَقَالَةُ مَوْجُودَةً فِيمَنْ هُوَ مِنْ جِنْسِهِمْ، صَحَّ إِسْنَادُهُ إِلَى جَمِيعِهِمْ، كَمَا يَقُولُونَ: بَنُو فُلَانٍ قَتَلُوا فُلَانًا؛ وَإِنَّمَا الْقَاتِلُ رَجُلٌ مِنْهُمْ.

قَالَ الْفَرَزْدَقُ:

فَسَيْفُ بَنِي عَبْسٍ وَقَدْ ضَرَبُوا بِهِ نَبَا بِيَدَيْ وَرْقَاءَ عَنْ رَأْسِ خَالِدِ

فَقَدْ أَسْنَدَ الضَّرْبَ إِلَى بَنِي عَبْسٍ مَعَ قَوْلِهِ: "نَبَا بِيَدَيْ وَرْقَاءَ"، وَهُوَ وَرْقَاءُ بْنُ زُهَيْرِ بْنِ جَذِيمَةَ الْعَبْسِيُّ.

فَإِنْ قُلْتَ: بِمَ انْتَصَبَ: ﴿إِذِ انْتَبَذَتْ﴾[2]، وَانْتِصَابُهُ بِأَخْرَجَ مُمْتَنِعٌ لِأَجْلِ اللَّامِ، لَا تَقُولُ: الْيَوْمَ لَزَيْدٌ قَائِمٌ؟

قُلْتُ: بِفِعْلٍ مُضْمَرٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ الْمَذْكُورُ.

فَإِنْ قُلْتَ: لَامُ الِابْتِدَاءِ الدَّاخِلَةُ عَلَى الْمُضَارِعِ تُعْطِي مَعْنَى: الْحَالِ، فَكَيْفَ جَامَعَتْ حَرْفَ الِاسْتِقْبَالِ؟

قُلْتُ: لَمْ تُجَامِعْهَا إِلَّا مُخْلَصَةً لِلتَّوْكِيدِ، كَمَا أُخْلِصَتِ الْهَمْزَةُ فِي: يَا اللَّهُ: لِلتَّعْوِيضِ، وَاضْمَحَلَّ عَنْهَا مَعْنَى التَّعْرِيفِ.

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[2] سورة مَرْيَمَ، الآية.

وَ"مَا" فِي "إِذَا مَا": لِلتَّوْكِيدِ أَيْضًا-، فَكَأَنَّهُمْ قَالُوا: أَحَقًّا أَنَّا سَنَخْرُجُ أَحْيَاءَ حِينَ يَتَمَكَّنُ فِينَا الْمَوْتُ وَالْهَلَاكُ؟ عَلَى وَجْهِ الِاسْتِنْكَارِ وَالِاسْتِبْعَادِ.

وَالْمُرَادُ: الْخُرُوجُ مِنَ الأرض، أَوْ مِنْ حَالِ الْفَنَاءِ، أَوْ هُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ: خَرَجَ فُلَانٌ عَالِمًا، وَخَرَجَ شُجَاعًا: إِذَا كَانَ نَادِرًا فِي ذَلِكَ، يُرِيدُ: سَأَخْرُجُ حَيًّا نَادِرًا عَلَى سَبِيلِ التَّهَزُّؤِ.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ وَأَبُو حَيْوَةَ: "لَسَوْفَ أَخْرُجُ".

وَعَنْ طَلْحَةَ بْنِ مُصَرِّفٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: "لَسَأُخْرَجُ"؛ كَقِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: "وَلَسَيُعْطِيكَ"، وَتَقْدِيمُ الظَّرْفِ وَإِيلَاؤُهُ حَرْفَ الْإِنْكَارِ مِنْ قِبَلِ أَنَّ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ هُوَ وَقْتُ كَوْنِ الْحَيَاةِ مُنْكَرَةً، وَمِنْهُ جَاءَ إِنْكَارُهُمْ، فَهُوَ كَقَوْلِكَ: لِلْمُسِيءِ إِلَى الْمُحْسِنِ: أَحِينَ تَمَّتْ عَلَيْكَ نِعْمَةُ فُلَانٍ أَسَأْتَ إِلَيْهِ: الْوَاوُ عَطَفَتْ ﴿أَوَلا يَذْكُرُ﴾[1] عَلَى ﴿وَيَقُولُ﴾[2]، وَوُسِّطَتْ هَمْزَةُ الْإِنْكَارِ بَيْنَ الْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ وَحَرْفِ الْعَطْفِ، يَعْنِي: أَيَقُولُ ذَاكَ وَلَا يَتَذَكَّرُ حَالَ النَّشْأَةِ الْأُولَى حَتَّى لَا يُنْكِرَ الْأُخْرَى؛ فَإِنَّ تِلْكَ أَعْجَبُ وَأَغْرَبُ وَأَدَلُّ عَلَى قُدْرَةِ الْخَالِقِ؛ حَيْثُ أَخْرَجَ الْجَوَاهِرَ وَالْأَعْرَاضَ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ، ثُمَّ أَوْقَعَ التَّأْلِيفَ مَشْحُونًا بِضُرُوبِ الْحِكَمِ الَّتِي تَحَارُ الْفِطَنُ فِيهَا، مِنْ غَيْرِ حَذْوٍ عَلَى مِثَالٍ وَاقْتِدَاءٍ بِمُؤَلِّفٍ، وَلَكِنَّ اخْتِرَاعًا وَإِبْدَاعًا مِنْ عِنْدِ قَادِرٍ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ وَدَقَّتْ حِكْمَتُهُ.

وَأَمَّا الثَّانِيَةُ: فَقَدْ تَقَدَّمَتْ نَظِيرَتُهَا وَعَادَتْ لَهَا كَالْمِثَالِ الْمُحْتَذَى عَلَيْهِ، وَلَيْسَ فِيهَا إِلَّا تَأْلِيفُ الْأَجْزَاءِ الْمَوْجُودَةِ الْبَاقِيَةِ وَتَرْكِيبُهَا، وَرَدُّهَا إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مَجْمُوعَةً بَعْدِ التَّفْكِيكِ وَالتَّفْرِيقِ.

وَقَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾[3]: دَلِيلٌ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى؛ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[4]، عَلَى أَنَّ رَبَّ الْعِزَّةِ سَوَاءٌ عَلَيْهِ النَّشْأَتَانِ، لَا يَتَفَاوَتُ فِي قُدْرَتِهِ الصَّعْبُ وَالسَّهْلُ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى احْتِذَاءٍ عَلَى مِثَالٍ: وَلَا اسْتِعَانَةٍ بِحَكِيمٍ، وَلَا نَظَرٍ فِي مِقْيَاسٍ، وَلَكِنْ يُوَاجِهُ جَاحِدَ الْبَعْثِ بِذَلِكَ دَفْعًا فِي بَحْرِ مُعَانَدَتِهِ، وَكَشْفًا عَنْ صَفْحَةِ جَهْلِهِ، الْقُرَّاءُ كُلُّهُمْ عَلَى: ﴿لَا يَذَّكَّرُونَ﴾[5] بِالتَّشْدِيدِ إِلَّا نَافِعًا وَابْنَ عَامِرٍ وَعَاصِمًا -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- فَقَدْ خَفَّفُوا، وَفِي حَرْفِ أُبَيٍّ: يَتَذَكَّرُ.

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[2] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[3] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[4] سورة الرُّومَ، الآية 27.

[5] سورة مَرْيَمَ، الآية.

﴿مِنْ قَبْلُ﴾[1]: مِنْ قَبْلِ الْحَالَةِ الَّتِي هُوَ فِيهَا وَهِيَ حَالَةُ بَقَائِهِ.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا﴾[2]

فِي إِقْسَامِ اللَّهِ تَعَالَى- بِاسْمِهِ -تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ- مُضَافًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: تَفْخِيمٌ لِشَأْنِ رَسُولِ اللَّهِ وَرَفْعٌ مِنْهُ، كَمَا رَفَعَ مِنْ شَأْنِ السَّمَاءِ وَالأرض فِي قَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأرض إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾[3].

وَالْوَاوُ فِي: ﴿وَالشَّيَاطِينَ﴾[4]: يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ لِلْعَطْفِ، وَبِمَعْنَى: "مَعَ" أَوْقَعُ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ يُحْشَرُونَ مَعَ قُرَنَائِهِمْ مِنَ الشَّيَاطِينِ الَّذِينَ أَغْوَوْهُمْ، يُقْرَنُ كُلُّ كَافِرٍ مَعَ شَيْطَانٍ فِي سِلْسِلَةٍ.

فَإِنْ قُلْتَ: هَذَا إِذَا أُرِيدَ بِالْإِنْسَانِ الْكَفَرَةُ خَاصَّةً، فَإِنْ أُرِيدَ الْأَنَاسِيُّ عَلَى الْعُمُومِ، فَكَيْفَ يَسْتَقِيمُ حَشْرُهُمْ مَعَ الشَّيَاطِينِ؟

قُلْتُ: إِذَا حُشِرَ جَمِيعُ النَّاسِ حَشْرًا وَاحِدًا وَفِيهِمُ الْكَفَرَةُ مَقْرُونِينَ بِالشَّيَاطِينِ، فَقَدْ حُشِرُوا مَعَ الشَّيَاطِينِ كَمَا حُشِرُوا مَعَ الْكَفَرَةِ.

فَإِنْ قُلْتَ: هَلَّا عُزِلَ السُّعَدَاءُ عَنِ الْأَشْقِيَاءِ فِي الْحَشْرِ كَمَا عُزِلُوا عَنْهُمْ فِي الْجَزَاءِ؟

قُلْتُ: لَمْ يُفَرَّقْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ فِي الْمَحْشَرِ، وَأُحْضِرُوا؛ حَيْثُ تَجَاثَوْا حَوْلَ جَهَنَّمَ، وَأُورِدُوا مَعَهُمُ النَّارَ لِيُشَاهِدَ السُّعَدَاءُ الْأَحْوَالَ الَّتِي نَجَّاهُمُ اللَّهُ مِنْهَا وَخَلَّصَهُمْ، فَيَزْدَادُوا لِذَلِكَ غِبْطَةً إِلَى غِبْطَةٍ وَسُرُورًا إِلَى سُرُورٍ، وَيَشْمَتُوا بِأَعْدَاءِ اللَّهِ وَأَعْدَائِهِمْ، فَتَزْدَادُ مُسَاءَتُهُمْ وَحَسْرَتُهُمْ وَمَا يَغِيظُهُمْ مِنْ سَعَادَةِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَشَمَاتَتِهِمْ بِهِمْ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى: إِحْضَارُهُمْ جِثِيًّا؟

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[2] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[3] سورة الذَّارِيَاتِ، الآية 23.

[4] سورة مَرْيَمَ، الآية.

قُلْتُ: أَمَّا إِذَا فُسِّرَ الْإِنْسَانُ بِالْخُصُوصِ، فَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ يُقْبِلُونَ مِنَ الْمَحْشَرِ إِلَى شَاطِئِ جَهَنَّمَ عُتُلًّا عَلَى حَالِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا فِي الْمَوْقِفِ، جُثَاةً عَلَى رُكَبِهِمْ، غَيْرَ مُشَاةٍ عَلَى أَقْدَامِهِمْ؛ وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْمَوْقِفِ وُصِفُوا بِالْجُثُوِّ، قَالَ اللَّهُ -تَعَالَى-: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾[1]، عَلَى الْعَادَةِ الْمَعْهُودَةِ فِي مَوَاقِفِ الْمُقَاوَلَاتِ وَالْمُنَاقَلَاتِ، مِنْ تَجَاثِي أَهْلِهَا عَلَى الرُّكَبِ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الِاسْتِيفَازِ وَالْقَلَقِ وَإِطْلَاقِ الْحُبَا وَخِلَافَ الطُّمَأْنِينَةِ، أَوْ لِمَا يَدْهَمُهُمْ مِنْ شِدَّةِ الْأَمْرِ الَّتِي لَا يُطِيقُونَ مَعَهَا الْقِيَامَ عَلَى أَرْجُلِهِمْ، فَيَحْبُونَ عَلَى رُكَبِهِمْ حَبْوًا، وَإِنْ فُسِّرَ بِالْعُمُومِ.

فَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ يَتَجَاثَوْنَ عِنْدَ مُوَافَاةِ شَاطِئِ جَهَنَّمَ، عَلَى أَنَّ جِثِيًّا: حَالٌ مُقَدَّرَةٌ، كَمَا كَانُوا فِي الْمَوْقِفِ مُتَجَاثِينَ؛ لِأَنَّهُ مِنْ تَوَابِعِ التَّوَاقُفِ لِلْحِسَابِ قَبْلَ التَّوَصُّلِ إِلَى الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ.

وَالْمُرَادُ بِالشِّيعَةِ، وَهِيَ: "فَعْلَةٌ" كَفِرْقَةٍ وَفِئَةٍ الطَّائِفَةُ الَّتِي شَاعَتْ، أَيْ: تَبِعَتْ غَاوِيًا مِنَ الْغُوَاةِ.

قَالَ اللَّهُ -تَعَالَى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾[2]، يُرِيدُ: نَمْتَازُ مِنْ كُلِّ طَائِفَةٍ مِنْ طَوَائِفِ الْغَيِّ وَالْفَسَادِ أَعْصَاهُمْ فَأَعْصَاهُمْ، وَأَعْتَاهُمْ فَأَعْتَاهُمْ، فَإِذَا اجْتَمَعُوا، طَرَحْنَاهُمْ فِي النَّارِ عَلَى التَّرْتِيبِ، تَقَدَّمَ أَوْلَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَأَوْلَاهُمْ، أَوْ أَرَادَ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهِ صِلِيًّا: الْمُنْتَزَعِينَ كَمَا هُمْ، كَأَنَّهُ قَالَ: ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِتَصْلِيَةِ هَؤُلَاءِ، وَهُمْ أَوْلَى بِالصَّلَى مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الصَّالِينَ، وَدَرَكَاتُهُمْ أَسْفَلُ، وَعَذَابُهُمْ أَشَدُّ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِأَشَدِّهِمْ عِتِيًّا: رُؤَسَاءُ الشِّيَعِ وَأَئِمَّتُهُمْ؛ لِتَضَاعُفِ جُرْمِهِمْ بِكَوْنِهِمْ ضُلَّالًا وَمُضِلِّينَ، قَالَ اللَّهُ -تَعَالَى-: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾[3]، ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾[4].

وَاخْتُلِفَ فِي إِعْرَابِ: ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾[5]:

- فَعَنِ الْخَلِيلِ أَنَّهُ مُرْتَفِعٌ عَلَى الْحِكَايَةِ، تَقْدِيرُهُ: لَنَنْزِعَنَّ الَّذِينَ يُقَالُ فِيهِمْ أَيُّهُمْ أَشَدُّ.

---

[1] سورة الْجَاثِيَةِ، الآية 28.

[2] سورة الْأَنْعَامِ، الآية 159.

[3] سورة النَّحْلِ، الآية 8.

[4] سورة م الْعَنْكَبُوتِ، الآية 13.

[5] سورة مَرْيَمَ، الآية.

– وَسِيبَوَيْهِ عَلَى أَنَّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى الضَّمِّ، لِسُقُوطِ صَدْرِ الْجُمْلَةِ الَّتِي هِيَ صِلَتُهُ، حَتَّى لَوْ جِيءَ بِهِ لَأُعْرِبَ.

وَقِيلَ: أَيُّهُمْ هُوَ أَشَدُّ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ النَّزْعُ وَاقِعًا عَلَى: ﴿مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ﴾[1]؛ كَقَوْلِهِ –سُبْحَانَهُ–: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾[2]، أَيْ: لَنَنْزِعَنَّ بَعْضَ كُلِّ شِيعَةٍ، فَكَأَنَّ قَائِلًا قَالَ: مَنْ هُمْ؟ فَقِيلَ: أَيُّهُمْ أَشَدُّ عِتِيًّا، وَأَيُّهُمْ أَشَدَّ: بِالنَّصْبِ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ مُصَرِّفٍ، وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ مُسْلِمٍ الْهَرَّاءِ أُسْتَاذِ الْفَرَّاءِ.

فَإِنْ قُلْتَ: بِمَ يَتَعَلَّقُ عَلَى وَالْبَاءُ؛ فَإِنَّ تَعَلُّقَهُمَا بِالْمَصْدَرَيْنِ لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ؟

قُلْتُ: هُمَا لِلْبَيَانِ لَا الصِّلَةِ، أَوْ يَتَعَلَّقَانِ بِأَفْعَلَ، أَيْ: عُتُوُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ، وَصِلِيُّهُمْ أَوْلَى بِالنَّارِ؛ كَقَوْلِهِمْ: هُوَ أَشَدُّ عَلَى خَصْمِهِ، وَهُوَ أَوْلَى بِكَذَا.

﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[3]

﴿وَإِنْ مِنْكُمْ﴾[4]: الْتِفَاتٌ إِلَى الْإِنْسَانِ، يُعَضِّدُهُ قِرَاءَةُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعِكْرِمَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا –: "وَإِنَّ مِنْهُمْ"، أَوْ خِطَابٌ لِلنَّاسِ مِنْ غَيْرِ الْتِفَاتٍ إِلَى الْمَذْكُورِ، فَإِنْ أُرِيدَ الْجِنْسُ كُلُّهُ فَمَعْنَى الْوُرُودِ: دُخُولُهُمْ فِيهَا وَهِيَ جَامِدَةٌ، فَيَعْبُرُهَا الْمُؤْمِنُونَ وَتَنْهَارُ بِغَيْرِهِمْ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: يَرِدُونَهَا كَأَنَّهَا إِهَالَةٌ، وَرُوِيَ دِوَايَةٌ.

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ؛ أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: "إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَلَيْسَ قَدْ وَعَدَنَا رَبُّنَا أَنْ نَرِدَ النَّارَ؟ فَيُقَالُ لَهُمْ: قَدْ وَرَدْتُمُوهَا وَهِيَ جَامِدَةٌ".

وَعَنْهُ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ: "الْوُرُودُ: الدُّخُولُ، لَا يَبْقَى بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ إِلَّا دَخَلَهَا، فَتَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بَرْدًا وَسَلَامًا؛ كَمَا كَانَتْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، حَتَّى إِنَّ لِلنَّارِ ضَجِيجًا مِنْ بَرْدِهَا".

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[2] سورة مَرْيَمَ، الآية 25.

[3] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[4] سورة مَرْيَمَ، الآية.

وَأَمَّا قَوْلُهُ –تَعَالَى–:﴿ أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾[1]، فَالْمُرَادُ: عَنْ عَذَابِهَا.

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَالْحَسَنِ وَقَتَادَةَ: هُوَ الْجَوَازُ عَلَى الصِّرَاطِ؛ لِأَنَّ الصِّرَاطَ مَمْدُودٌ عَلَيْهَا.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ : قَدْ يَرِدُ الشَّيْءُ الشَّيْءَ وَلَا يَدْخُلُهُ، كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾[2]، وَوَرَدَتِ الْقَافِلَةُ الْبَلَدَ، وَإِنْ لَمْ تَدْخُلْهُ وَلَكِنْ قَرُبَتْ مِنْهُ.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ: وُرُودُ الْمُؤْمِنِ النَّارَ هُوَ مَسُّ الْحُمَّى جَسَدَهُ فِي الدُّنْيَا، بِقَوْلِهِ –عَلَيْهِ السَّلَامُ–: "الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ"، وَفِي الْحَدِيثِ: "الْحُمَّى حَظُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنَ النَّارِ".

وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِالْوُرُودِ: جُثُوُّهُمْ حَوْلَهَا، وَإِنْ أُرِيدَ الْكُفَّارُ خَاصَّةً، فَالْمَعْنَى بَيِّنٌ.

الْحَتْمُ: مَصْدَرُ حَتَمَ الْأَمْرَ إِذَا أَوْجَبَهُ، فَسُمِّيَ بِهِ الْمُوجَبُ؛ كَقَوْلِهِمْ: خَلَقَ اللَّهُ، وَضَرَبَ الْأَمِيرُ، أَيْ: كَانَ وُرُودُهُمْ وَاجِبًا عَلَى اللَّهِ، أَوْجَبَهُ عَلَى نَفْسِهِ وَقَضَى بِهِ، وَعَزَمَ عَلَى أَلَّا يَكُونَ غَيْرُهُ.

قُرِئَ: "لَنُنَجِّيَنَّهُ"، وَ"نُنَجِّي" وَ"يُنَجِّي" وَ"يُنَجَّى": عَلَى مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ، إِنْ أُرِيدَ الْجِنْسُ بِأَسْرِهِ فَهُوَ ظَاهِرٌ، وَإِنْ أُرِيدَ الْكَفَرَةُ وَحْدَهُمْ، فَمَعْنَى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾[3]: أَنَّ الْمُتَّقِينَ يُسَاقُونَ إِلَى الْجَنَّةِ عَقِيبَ وُرُودِ الْكُفَّارِ، لَا أَنَّهُمْ يُوَارِدُونَهُمْ ثُمَّ يَتَخَلَّصُونَ.

وَفِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَالْجَحْدَرِيِّ وَابْنِ أَبِي لَيْلَى: "ثَمَّ نُنَجِّي": بِفَتْحِ الثَّاءِ، أَيْ: هُنَاكَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[4]: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْوُرُودِ الْجُثُوُّ حَوَالَيْهَا، وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُفَارِقُونَ الْكَفَرَةَ إِلَى الْجَنَّةِ بَعْدَ تَجَاثِيهِمْ، وَتَبْقَى الْكَفَرَةُ فِي مَكَانِهِمْ جَاثِينَ.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾[5]

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[2] سورة الْقَصَصَ، الآية 23.

[3] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[4] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[5] سورة مَرْيَمَ، الآية.

﴿بَيِّنَاتٍ﴾[1]: مُرَتَّلَاتِ الْأَلْفَاظِ، مُلَخَّصَاتِ الْمَعَانِي، مُبَيَّنَاتِ الْمَقَاصِدِ: إِمَّا مُحْكَمَاتٌ أَوْ مُتَشَابِهَاتٌ، قَدْ تَبِعَهَا الْبَيَانُ بِالْمُحْكَمَاتِ، أَوْ بِتَبْيِينِ الرَّسُولِ قَوْلًا أَوْ فِعْلًا، أَوْ ظَاهِرَاتُ الْإِعْجَازِ تَحَدَّى بِهَا فَلَمْ يُقْدَرْ عَلَى مُعَارَضَتِهَا، أَوْ حُجَجًا وَبَرَاهِينَ.

وَالْوَجْهُ أَنْ تَكُونَ حَالًا مُؤَكِّدَةً، كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾[2]؛ لِأَنَّ آيَاتِ اللَّهِ لَا تَكُونُ إِلَّا وَاضِحَةً وَحُجَجًا لِلَّذِينَ آمَنُوا: يُحْتَمَلُ أَنَّهُمْ يُنَاطِقُونَ الْمُؤْمِنِينَ بِذَلِكَ وَيُوَاجِهُونَهُمْ بِهِ، وَأَنَّهُمْ يَفُوهُونَ بِهِ لِأَجْلِهِمْ وَفِي مَعْنَاهُمْ، كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾[3].

قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ "مُقَامًا": بِالضَّمِّ، وَهُوَ مَوْضِعُ الْإِقَامَةِ وَالْمَنْزِلِ، وَالْبَاقُونَ: بِالْفَتْحِ وَهُوَ مَوْضِعُ الْقِيَامِ، وَالْمُرَادُ: الْمَكَانُ وَالْمَوْضِعُ، وَالنَّدَى: الْمَجْلِسُ وَمُجْتَمَعُ الْقَوْمِ، وَحَيْثُ يَنْتَدُونَ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ إِذَا سَمِعُوا الْآيَاتِ وَهُمْ جَهَلَةٌ لَا يَعْلَمُونَ إِلَّا ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ وَذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ، قَالُوا: أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْآيَاتِ وَالْجَاحِدِينَ لَهَا أَوْفَرُ حَظًّا مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يُجْعَلَ ذَلِكَ عِيَارًا عَلَى الْفَضْلِ وَالنَّقْصِ، وَالرِّفْعَةِ وَالضِّعَةِ.

وَيُرْوَى أَنَّهُمْ كَانُوا يُرَجِّلُونَ شُعُورَهُمْ وَيَدْهُنُونَ وَيَتَطَيَّبُونَ وَيَتَزَيَّنُونَ بِالزِّينِ الْفَاخِرَةِ، ثُمَّ يَدَّعُونَ مُفْتَخِرِينَ عَلَى فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهُمْ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا﴾[4]

﴿وَكَمْ﴾[5]: مَفْعُولُ ﴿أَهْلَكْنَا﴾[6]، وَ﴿مِنْ﴾[7]: تَبْيِينٌ لِإِبْهَامِهَا، أَيْ: كَثِيرًا مِنَ الْقُرُونِ أَهْلَكْنَا، وَكُلُّ أَهْلِ عَصْرٍ قَرْنٌ لِمَنْ بَعْدَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ يَتَقَدَّمُونَهُمْ.

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.
[2] سورة الْبَقَرَةَ، الآية 91.
[3] سورة الْأَحْقَافَ، الآية 11.
[4] سورة مَرْيَمَ، الآية.
[5] سورة مَرْيَمَ، الآية.
[6] سورة مَرْيَمَ، الآية.
[7] سورة مَرْيَمَ، الآية.

وَ﴿هُمْ أَحْسَنُ﴾[1]: فِي مَحَلِّ النَّصْبِ صِفَةٌ لِكَمْ.

أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَوْ تَرَكْتَ: ﴿هُمْ﴾[2]: لَمْ يَكُنْ لَكَ بُدٌّ مِنْ نَصْبِ "أَحْسَنَ": عَلَى الْوَصْفِيَّةِ؟

الْأَثَاثُ: مَتَاعُ الْبَيْتِ.

وَقِيلَ: هُوَ مَاجِدٌ مِنَ الْفُرُشِ، وَالْخُرْثِيُّ: مَا لُبِسَ مِنْهَا.

وَأَنْشَدَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الطُّوسِيُّ:

تَقَادَمَ الْعَهْدُ مِنْ أُمِّ الْوَلِيدِ بِنَا... دَهْرًا وَصَارَ أَثَاثُ الْبَيْتِ خُرْثِيًّا

قُرِئَ عَلَى خَمْسَةِ أَوْجُهٍ:

– ﴿رِئْيًا﴾[3]، وَهُوَ الْمَنْظَرُ وَالْهَيْئَةُ فِعْلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، مِنْ رَأَيْتُ؛

– "وَرِيئًا"، عَلَى الْقَلْبِ؛ كَقَوْلِهِمْ: رَاءٍ فِي رَأْيٍ؛

– وَ"رِيًّا"؛ عَلَى قَلْبِ الْهَمْزَةِ يَاءً وَالْإِدْغَامِ، أَوْ مِنَ الرِّيِّ الَّذِي هُوَ النِّعْمَةُ وَالتَّرَفُّهُ، مِنْ قَوْلِهِمْ: رَيَّانُ مِنَ النَّعِيمِ؛

– وَ"رَيًّا": عَلَى حَذْفِ الْهَمْزَةِ رَأْسًا، وَوَجْهُهُ أَنْ يُخَفَّفَ الْمَقْلُوبُ، وَهُوَ "رَيَّا" بِحَذْفِ هَمْزَتِهِ وَإِلْقَاءِ حَرَكَتِهَا عَلَى الْيَاءِ السَّاكِنَةِ قَبْلَهَا؛

– و"زِيًّا"، وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ الزِّيِّ وَهُوَ الْجَمْعُ، لِأَنَّ الزِّيَّ مَحَاسِنُ مَجْمُوعَةٌ، وَالْمَعْنَى: أَحْسَنُ مِنْ هَؤُلَاءِ.

﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾[4]

أَيْ: مَدَّ لَهُ الرَّحْمَنُ، يَعْنِي: أَمْهَلَهُ وَأَمْلَى لَهُ فِي الْعُمُرِ، فَأُخْرِجَ عَلَى لَفْظِ الْأَمْرِ إِيذَانًا بِوُجُوبِ ذَلِكَ، وَأَنَّهُ مَفْعُولٌ لَا مَحَالَةَ، كَالْمَأْمُورِ بِهِ الْمُمْتَثَلِ، لِتَقَطُّعِ مَعَاذِيرِ الضَّالِّ،

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[2] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[3] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[4] سورة مَرْيَمَ، الآية.

وَيُقَالُ لَهُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾[1]، أَوْ كَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾[2]، أَوْ ﴿مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾[3]، فِي مَعْنَى: الدُّعَاءِ، بِأَنْ يُمْهِلَهُ اللَّهُ وَيُنَفِّسَ فِي مُدَّةِ حَيَاتِهِ، فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَجْهَانِ:

- أَحَدُهُمَا: أَنْ تَكُونَ مُتَّصِلَةً بِالْآيَةِ الَّتِي هِيَ رَابِعَتُهَا، وَالْآيَتَانِ اعْتِرَاضٌ بَيْنَهُمَا، أَيْ قَالُوا: أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا.

﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾[4]، أَيْ: لَا يَبْرَحُونَ يَقُولُونَ هَذَا الْقَوْلَ وَيَتَوَلَّعُونَ بِهِ لَا يَتَكَافُّونَ عَنْهُ إِلَى أَنْ يُشَاهِدُوا الْمَوْعُودَ رَأْيَ عَيْنٍ.

﴿إِمَّا الْعَذَابَ﴾[5]: فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ غَلَبَةُ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ وَتَعْذِيبُهُمْ إِيَّاهُمْ قَتْلًا وَأَسْرًا وَإِظْهَارُ اللَّهِ دِينَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ عَلَى أَيْدِيهِمْ، وَإِمَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَا يَنَالُهُمْ مِنَ الْخِزْيِ وَالنَّكَالِ، فَحِينَئِذٍ يَعْلَمُونَ عِنْدَ الْمُعَايَنَةِ أَنَّ الْأَمْرَ عَلَى عَكْسِ مَا قَدَّرُوهُ، وَأَنَّهُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا، لَا خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا، وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى خِلَافِ صِفَتِهِمْ.

- وَالثَّانِي: أَنْ تَتَّصِلَ بِمَا يَلِيهَا، وَالْمَعْنَى: أَنَّ الَّذِينَ فِي الضَّلَالَةِ مَمْدُودٌ لَهُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ، وَالْخِذْلَانُ لَاصِقٌ بِهِمْ لِعِلْمِ اللَّهِ بِهِمْ، وَبِأَنَّ الْأَلْطَافَ لَا تَنْفَعُ فِيهِمْ وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا.

وَالْمُرَادُ بِالضَّلَالَةِ: مَا دَعَاهُمْ مِنْ جَهْلِهِمْ وَغُلُوِّهِمْ فِي كُفْرِهِمْ إِلَى الْقَوْلِ الَّذِي قَالُوهُ، وَلَا يَنْفَكُّونَ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِلَى أَنْ يُعَايِنُوا نُصْرَةَ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ يُشَاهِدُوا السَّاعَةَ وَمُقَدِّمَاتِهَا.

فَإِنْ قُلْتَ: حَتَّى هَذِهِ مَا هِيَ؟

قُلْتُ: هِيَ الَّتِي تُحْكَى بَعْدَهَا الْجُمَلُ؛ أَلَا تَرَى الْجُمْلَةَ الشَّرْطِيَّةَ وَاقِعَةً بَعْدَهَا وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾[6]: فِي مُقَابَلَةِ ﴿خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾[7]؛ لِأَنَّ مَقَامَهُمْ هُوَ مَكَانُهُمْ وَمَسْكَنُهُمْ، وَالنَّدِيُّ: الْمَجْلِسُ الْجَامِعُ لِوُجُوهِ قَوْمِهِمْ وَأَعْوَانِهِمْ وَأَنْصَارِهِمْ، وَالْجُنْدُ: هُمُ الْأَنْصَارُ وَالْأَعْوَانُ.

---

[1] سورة فَاطِرَ، الآية 37.

[2] سورة آلَ عِمْرَانَ، الآية 178.

[3] سورة مَرْيَمَ، الآية 75.

[4] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[5] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[6] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[7] سورة مَرْيَمَ، الآية.

﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾[1]

﴿وَيَزِيدُ﴾[2]: مَعْطُوفٌ عَلَى مَوْضِعِ فَلْيَمْدُدْ؛ لِأَنَّهُ وَاقِعٌ مَوْقِعَ الْخَبَرِ، تَقْدِيرُهُ: مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ مَدَّ أَوْ يَمُدُّ لَهُ الرَّحْمَنُ، وَيَزِيدُ: أَيْ يَزِيدُ فِي ضَلَالِ الضَّالِّ بِخِذْلَانِهِ، وَيَزِيدُ الْمُهْتَدِينَ هِدَايَةً بِتَوْفِيقِهِ.

﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾[3]: أَعْمَالُ الْآخِرَةِ كُلُّهَا.

وَقِيلَ: الصَّلَوَاتُ.

وَقِيلَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَيْ هِيَ ﴿خَيْرٌ ثَوَابًا﴾[4]: مِنْ مُفَاخَرَاتِ الْكُفَّارِ.

﴿وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾[5]، أَيْ: مَرْجِعًا وَعَاقِبَةً، أَوْ مَنْفَعَةً، مِنْ قَوْلِهِمْ: لَيْسَ لِهَذَا الْأَمْرِ مَرَدٌّ:

وَهَلْ يَرُدُّ بُكَايَ زَنْـــــدَا

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ قِيلَ خَيْرٌ ثَوَابًا كَأَنَّ لِمُفَاخَرَاتِهِمْ ثَوَابًا، حَتَّى يُجْعَلَ ثَوَابُ الصَّالِحَاتِ خَيْرًا مِنْهُ؟

قُلْتُ: كَأَنَّهُ قِيلَ: ثَوَابُهُمُ النَّارُ؛ عَلَى طَرِيقَةِ قَوْلِهِ:

فَأَعْتَبُوا بِالصَّيْلَـــــــــــمِ

وَقَوْلِهِ:

شَجْعَاءَ جِرَّتُهَا الذَّمِيلُ تَلُوكُهُ أُصُلًا إِذَا رَاحَ الْمُطِيُّ عِرَاثَا

وَقَوْلِهِ:

تَحِيَّةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيـــــعُ

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[2] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[3] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[4] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[5] سورة مَرْيَمَ، الآية.

ثُمَّ بُنِيَ عَلَيْهِ خَيْرٌ ثَوَابًا، وَفِيهِ ضَرْبٌ مِنَ التَّهَكُّمِ الَّذِي هُوَ أَغْيَظُ لِلْمُتَهَدَّدِ مِنْ أَنْ يُقَالَ لَهُ: عِقَابُكَ النَّارُ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا وَجْهُ التَّفْضِيلِ فِي الْخَيْرِ كَأَنَّ لِمَفَاخِرِهِمْ شِرْكًا فِيهِ؟

قُلْتُ: هَذَا مِنْ وَجِيزِ كَلَامِهِمْ، يَقُولُونَ: الصَّيْفُ أَحَرُّ مِنَ الشِّتَاءِ، أَيْ: أَبْلَغُ مِنَ الشِّتَاءِ فِي بَرْدِهِ.

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالا وَوَلَدًا أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا كَلا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾[1]

لَمَّا كَانَتْ مُشَاهَدَةُ الْأَشْيَاءِ وَرُؤْيَتُهَا طَرِيقًا إِلَى الْإِحَاطَةِ بِهَا عِلْمًا وَصِحَّةَ الْخَبَرِ عَنْهَا، اسْتَعْمَلُوا "أَرَأَيْتَ" فِي مَعْنَى: "أَخْبِرْ"، وَالْفَاءُ جَاءَتْ لِإِفَادَةِ مَعْنَاهَا الَّذِي هُوَ التَّعْقِيبُ، كَأَنَّهُ قَالَ: أَخْبِرْ أَيْضًا– بِقِصَّةِ هَذَا الْكَافِرِ، وَاذْكُرْ حَدِيثَهُ عَقِيبَ حَدِيثِ أُولَئِكَ.

﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ﴾[2] مِنْ قَوْلِهِمْ: أَطْلَعَ الْجَبَلَ: إِذَا ارْتَقَى إِلَى أَعْلَاهُ وَطَلَعَ الثَّنِيَّةَ.

قَالَ جَرِيرٌ:

لَاقَيْتُ مُطَّلَعَ الْجِبَالِ وُعُورًا

وَيَقُولُونَ: مَرَّ مَطْلَعًا لِذَلِكَ الْأَمْرِ، أَيْ: عَالِيًا لَهُ مَالِكًا لَهُ، وَلِاخْتِيَارِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ شَأْنٌ، يَقُولُ: أَوْ قَدْ بَلَغَ مِنْ عَظَمَةِ شَأْنِهِ أَنِ ارْتَقَى إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ الَّذِي تَوَحَّدَ بِهِ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ مَا ادَّعَى أَنْ يُؤْتَاهُ وَتَأَلَّى عَلَيْهِ لَا يُتَوَصَّلُ إِلَيْهِ إِلَّا بِأَحَدِ هَذَيْنِ الطَّرِيقَيْنِ: إِمَّا عِلْمُ الْغَيْبِ، وَإِمَّا عَهْدٌ مِنْ عَالِمِ الْغَيْبِ، فَبِأَيِّهِمَا تَوَصَّلَ إِلَى ذَلِكَ؟

قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ: "وُلْدًا"، وَهُوَ جَمْعُ وَلَدٍ، كَأُسْدٍ فِي أَسَدٍ، أَوْ بِمَعْنَى: الْوَلَدِ كَالْعُرْبِ فِي الْعَرَبِ.

وَعَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمُرَ: "وِلْدًا": بِالْكَسْرِ.

وَقِيلَ فِي الْعَهْدِ: كَلِمَةُ الشَّهَادَةِ.

وَعَنْ قَتَادَةَ: هَلْ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ قَدَّمَهُ فَهُوَ يَرْجُو بِذَلِكَ مَا يَقُولُ؟

وَعَنِ الْكَلْبِيِّ: هَلْ عَهِدَ اللَّهُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يُؤْتِيهِ ذَلِكَ؟

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[2] سورة مَرْيَمَ، الآية.

عَنِ الْحَسَنِ –رَحِمَهُ اللَّهُ–: نَزَلَتْ فِي الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، وَالْمَشْهُورُ أَنَّهَا فِي الْعَاصِي بْنِ وَائِلٍ، قَالَ خَبَّابُ بْنُ الْأَرَتِّ: كَانَ لِي عَلَيْهِ دَيْنٌ فَاقْتَضَيْتُهُ، فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ، قُلْتُ: لَا وَاللَّهِ لَا أَكْفُرُ بِمُحَمَّدٍ حَيًّا وَلَا مَيِّتًا وَلَا حِينَ تُبْعَثُ، قَالَ: فَإِنِّي إِذَا مِتُّ بُعِثْتُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: إِذَا بُعِثْتُ جِئْتَنِي وَسَيَكُونُ لِي ثَمَّ مَالٌ وَوَلَدٌ فَأُعْطِيَكَ.

وَقِيلَ: صَاغَ لَهُ خَبَّابٌ حُلِيًّا فَاقْتَضَاهُ الْأَجْرَ، فَقَالَ: إِنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ تُبْعَثُونَ، وَأَنَّ فِي الْجَنَّةِ ذَهَبًا وَفِضَّةً وَحَرِيرًا، فَأَنَا أَقْضِيكَ ثَمَّ؛ فَإِنِّي أُوتَى مَالًا وَوَلَدًا حِينَئِذٍ.

﴿كَلاَّ﴾[1]: رَدْعٌ وَتَنْبِيهٌ عَلَى الْخَطَأِ، أَيْ: هُوَ مُخْطِئٌ فِيمَا يُصَوِّرُهُ لِنَفْسِهِ وَيَتَمَنَّاهُ، فَلْيَرْتَدِعْ عَنْهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ قِيلَ: ﴿سَنَكْتُبُ﴾[2]: بِسِينِ التَّسْوِيفِ، وَهُوَ كَمَا قَالَهُ كَتْبٌ مِنْ غَيْرِ تَأْخِيرٍ، قَالَ اللَّهُ –تَعَالَى–: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[3]؟

قُلْتُ: فِيهِ وَجْهَانِ:

– أَحَدُهُمَا: سَنَظْهَرُ لَهُ وَنُعْلِمُهُ أَنَّا كَتَبْنَا قَوْلَهُ؛ عَلَى طَرِيقَةِ قَوْلِهِ:

إِذَا مَا انْتَسَبْنَا لَمْ تَلِدْنِي لِئِيمَةٌ

أَيْ: تَبَيَّنَ وَعُلِمَ بِالِانْتِسَابِ أَنِّي لَسْتُ بِابْنِ لَئِيمَةٍ.

– وَالثَّانِي: أَنَّ الْمُتَوَعَّدَ يَقُولُ لِلْجَانِي: سَوْفَ أَنْتَقِمُ مِنْكَ، يَعْنِي: أَنَّهُ لَا يُخِلُّ بِالِانْتِصَارِ، وَإِنْ تَطَاوَلَ بِهِ الزَّمَانُ وَاسْتَأْخَرَ، فَجُرِّدَ هَا هُنَا لِمَعْنَى الْوَعِيدِ.

﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾[4]، أَيْ: نُطَوِّلُ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَا يَسْتَأْهِلُهُ وَنُعَذِّبُهُ بِالنَّوْعِ الَّذِي يُعَذَّبُ بِهِ الْكُفَّارُ الْمُسْتَهْزِئُونَ، أَوْ نَزِيدُهُ مِنَ الْعَذَابِ وَنُضَاعِفُ لَهُ مِنَ الْمَدَدِ، يُقَالُ: مَدَّهُ وَأَمَدَّهُ بِمَعْنَى.

وَتَدُلُّ عَلَيْهِ قِرَاءَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: "وَنُمِدُّ لَهُ": بِالضَّمِّ، وَأَكَّدَ ذَلِكَ بِالْمَصْدَرِ؛ وَذَلِكَ مِنْ فَرْطِ غَضَبِ اللَّهِ، نَعُوذُ بِهِ مِنَ التَّعَرُّضِ لِمَا نَسْتَوْجِبُ بِهِ غَضَبَهُ.

﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ﴾[5]، أَيْ: نَزْوِي عَنْهُ مَا زَعَمَ أَنَّهُ يَنَالُهُ فِي الْآخِرَةِ وَنُعْطِيهِ مَنْ يَسْتَحِقُّهُ، وَالْمَعْنَى مُسَمَّى مَا يَقُولُ.

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[2] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[3] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[4] سورة مَرْيَمَ ، الآية.

[5] سورة مَرْيَمَ، الآية.

وَمَعْنَى: ﴿مَا يَقُولُ﴾[1]، وَهُوَ الْمَالُ وَالْوَلَدُ؛ يَقُولُ الرَّجُلُ: أَنَا أَمْلِكُ كَذَا، فَتَقُولُ لَهُ: وَلِي فَوْقَ مَا تَقُولُ، وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ قَدْ تَمَنَّى وَطَمِعَ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا مَالًا وَوَلَدًا، وَبَلَغَتْ بِهِ أَشْعَبِيَّتُهُ أَنْ تَأَلَّى عَلَى ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَأُوتَيَنَّ﴾[2]؛ لِأَنَّهُ جَوَابُ قَسَمٍ مُضْمَرٍ، وَمَنْ يَتَأَلَّ عَلَى اللَّهِ يُكَذِّبْهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ –عَزَّ وَجَلَّ–: هَبْ أَنَّا أَعْطَيْنَاهُ مَا اشْتَهَاهُ، إِمَّا نَرِثُهُ مِنْهُ فِي الْعَاقِبَةِ وَيَأْتِينَا فَرْدًا غَدًا بِلَا مَالٍ وَلَا وَلَدٍ؛ كَقَوْلِهِ –عَزَّ وَجَلَّ–: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى﴾[3] الْآيَةَ، فَمَا يُجْدِي عَلَيْهِ تَمَنِّيهِ وَتَأَلِّيهِ.

وَيُحْتَمَلُ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ؛ إِنَّمَا يَقُولُ مَا دَامَ حَيًّا، فَإِذَا قَبَضْنَاهُ خُلْنَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَنْ يَقُولَهُ، وَيَأْتِينَا رَافِضًا لَهُ مُنْفَرِدًا عَنْهُ غَيْرَ قَائِلٍ لَهُ، أَوْ لَا نَنْسَى قَوْلَهُ هَذَا وَلَا نُلْغِيهِ، بَلْ نُثْبِتُهُ فِي صَحِيفَةٍ لِنَضْرِبَ بِهِ وَجْهَهُ فِي الْمَوْقِفِ وَنُعَيِّرَهُ بِهِ.

﴿وَيَأْتِينَا﴾[4]: عَلَى فَقْرِهِ وَمَسْكَنَتِهِ.

﴿فَرْدًا﴾[5]: مِنَ الْمَالِ وَالْوَلَدِ، لَمْ نُولِهِ سُؤْلَهُ وَلَمْ نُؤْتِهِ مُتَمَنَّاهُ، فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِ الْخَطْبَانِ: تَبِعَةُ قَوْلِهِ وَوَبَالِهِ، وَفَقْدُ الْمَطْمُوعِ فِيهِ، فَرْدًا عَلَى الْوَجْهِ الْأَوَّلِ: حَالٌ مُقَدَّرَةٌ؛ نَحْوَ: ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾[6]؛ لِأَنَّهُ وَغَيْرَهُ سَوَاءٌ فِي إِتْيَانِهِ فَرْدًا حِينَ يَأْتِي، ثُمَّ يَتَفَاوَتُونَ بَعْدَ ذَلِكَ.

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلَا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾[7]

أَيْ: لِيَتَعَزَّزُوا بِآلِهَتِهِمْ؛ حَيْثُ يَكُونُونَ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ شُفَعَاءَ وَأَنْصَارًا يُنْقِذُونَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ.

وَ﴿كَلَا﴾[8]: رَدْعٌ لَهُمْ وَإِنْكَارٌ لِتَعَزُّزِهِمْ بِالْآلِهَةِ.

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[2] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[3] سورة الْأَنْعَامَ، الآية 94.

[4] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[5] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[6] سورة الزُّمَرَ، الآية 73.

[7] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[8] سورة مَرْيَمَ، الآية.

وَقَرَأَ ابْنُ نُهَيْكٍ: "كُلًّا"، ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾[1]، أَيْ: سَيَجْحَدُونَ كُلًّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ؛ كَقَوْلِكَ: زَيْدًا مَرَرْتُ بِغُلَامِهِ، وَفِي مُحْتَسَبِ ابْنِ جِنِّيٍّ: "كَلًّا" بِفَتْحِ الْكَافِ وَالتَّنْوِينِ، وَزَعَمَ أَنَّ مَعْنَاهُ كَلَّ هَذَا الرَّأْيُ وَالِاعْتِقَادُ كَلًّا.

وَلِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ: إِنْ صَحَّتْ هَذِهِ الرِّوَايَةُ، فَهِيَ كَلَّا الَّتِي هِيَ لِلرَّدْعِ، قَلَبَ الْوَاقِفُ عَلَيْهَا أَلِفَهَا نُونًا كَمَا فِي قَوَارِيرًا.

وَالضَّمِيرُ فِي ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾[2]: لِلْآلِهَةِ، أَيْ: سَيَجْحَدُونَ عِبَادَتَهُمْ وَيُنْكِرُونَهَا وَيَقُولُونَ: وَاللَّهِ مَا عَبَدْتُمُونَا وَأَنْتُمْ كَاذِبُونَ.

قَالَ اللَّهُ –تَعَالَى–:﴿ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[3]، أَوْ لِلْمُشْرِكِينَ، أَيْ: يَنْكَرُونَ لِسُوءِ الْعَاقِبَةِ أَنْ يَكُونُوا قَدْ عَبَدُوهَا، قَالَ اللَّهُ –تَعَالَى–: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[4].

﴿عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾[5]: فِي مُقَابَلَةِ: ﴿لَهُمْ عِزًّا﴾[6].

وَالْمُرَادُ: ضِدَّ الْعِزِّ، وَهُوَ الذُّلُّ وَالْهَوَانُ، أَيْ: يَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا لِمَا قَصَدُوهُ وَأَرَادُوهُ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ذُلًّا، لَا لَهُمْ عِزًّا أَوْ يَكُونُونَ عَلَيْهِمْ عَوْنًا.

وَالضِّدُّ: الْعَوْنُ، يُقَالُ: مِنْ أَضْدَادِكُمْ، أَيْ: أَعْوَانُكُمْ وَكَأَنَّ الْعَوْنَ سُمِّيَ ضِدًّا؛ لِأَنَّهُ يُضَادُّ عَدُوَّكَ وَيُنَافِيهِ بِإِعَانَتِهِ لَكَ عَلَيْهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ وَحَّدَ؟

قُلْتُ: وُحِّدَ تَوْحِيدَ قَوْلِهِ –عَلَيْهِ السَّلَامُ–: "وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ"، لِاتِّفَاقِ كَلِمَتِهِمْ وَأَنَّهُمْ كَشَيْءٍ وَاحِدٍ؛ لِفَرْطِ تَضَامِّهِمْ وَتَوَافُقِهِمْ.

وَمَعْنَى كَوْنِ الْآلِهَةِ عَوْنٌ عَلَيْهِمْ: أَنَّهُمْ وَقُودُ النَّارِ وَحَصَبُ جَهَنَّمَ؛ وَلِأَنَّهُمْ عُذِّبُوا بِسَبَبِ عِبَادَتِهَا وَإِنْ رَجَعَتِ الْوَاوُ فِي سَيَكْفُرُونَ وَيَكُونُونَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ؛ فَإِنَّ الْمَعْنَى: وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ –أَيْ أَعْدَاءَهُمْ– ضِدًّا، أَيْ: كَفَرَةً بِهِمْ، بَعْدَ أَنْ كَانُوا يَعْبُدُونَهَا.

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[2] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[3] سورة النَّحْلَ، الآية 86.

[4] سورة الْأَنْعَامَ، الآية 23.

[5] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[6] سورة مَرْيَمَ، الآية.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾[1]

الْأَزُّ، وَالْهَزُّ، وَالِاسْتِفْزَازُ: أَخَوَاتٌ، وَمَعْنَاهَا: التَّهْيِيجُ وَشِدَّةُ الْإِزْعَاجِ، أَيْ: تُغْرِيهِمْ عَلَى الْمَعَاصِي وَتُهَيِّجُهُمْ لَهَا بِالْوَسَاوِسِ وَالتَّسْوِيلَاتِ.

وَالْمَعْنَى: خَلَّيْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ وَلَمْ نَمْنَعْهُمْ وَلَوْ شَاءَ لَمَنَعَهُمْ قَسْرًا.

وَالْمُرَادُ: تَعْجِيبُ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بَعْدَ الْآيَاتِ الَّتِي ذُكِرَ فِيهَا الْعُتَاةُ وَالْمَرَدَةُ مِنَ الْكُفَّارِ، وَأَقَاوِيلُهُمْ، وَمَلَاحَتُهُمْ، وَمُعَانَدَتُهُمْ لِلرُّسُلِ، وَاسْتِهْزَاؤُهُمْ بِالدِّينِ: مِنْ تَمَادِيهِمْ فِي الْغَيِّ وَإِفْرَاطِهِمْ فِي الْعِنَادِ، وَتَصْمِيمِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ، وَاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى دَفْعِ الْحَقِّ بَعْدَ وُضُوحِهِ وَانْتِفَاءِ الشَّكِّ عَنْهُ، وَانْهِمَاكِهِمْ لِذَلِكَ فِي اتِّبَاعِ الشَّيَاطِينِ وَمَا تُسَوِّلُ لَهُمْ.

﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾[2]

عَجِلْتُ عَلَيْهِ بِكَذَا: إِذَا اسْتَعْجَلْتُهُ مِنْهُ، أَيْ: لَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ بِأَنْ يَهْلَكُوا وَيَبِيدُوا، حَتَّى تَسْتَرِيحَ أَنْتَ وَالْمُسْلِمُونَ مِنْ شُرُورِهِمْ، وَتَطَهُرَ الأرض بِقَطْعِ دَابِرِهِمْ، فَلَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَا تَطْلُبُ مِنْ هَلَاكِهِمْ إِلَّا أَيَّامٌ مَحْصُورَةٌ وَأَنْفَاسٌ مَعْدُودَةٌ، كَأَنَّهَا فِي سُرْعَةِ تَقَضِّيهَا السَّاعَةُ الَّتِي تُعَدُّ فِيهَا لَوْ عُدَّتْ؛ وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾[3] ، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ﴾[4].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَرَأَهَا بَكَى، وَقَالَ: آخِرُ الْعَدَدِ خُرُوجُ نَفْسِكَ، آخِرُ الْعَدَدِ: فِرَاقُ أَهْلِكَ، آخِرُ الْعَدَدِ: دُخُولُ قَبْرِكَ.

وَعَنِ ابْنِ السَّمَّاكِ أَنَّهُ كَانَ عِنْدَ الْمَأْمُونِ فَقَرَأَهَا، فَقَالَ: إِذَا كَانَتِ الْأَنْفَاسُ بِالْعَدَدِ وَلَمْ يَكُنْ لَهَا مَدَدٌ، فَمَا أَسْرَعَ مَا تَنْفَدُ.

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[2] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[3] سورة الْأَحْقَافَ، الآية 35.

[4] سورة الْأَحْقَافَ، الآية 35.

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾[1]

نُصِبَ ﴿يَوْمَ﴾[2]: بِمُضْمَرٍ، أَيْ: يَوْمَ "نَحْشُرُ"، وَنَسُوقُ: نَفْعَلُ بِالْفَرِيقَيْنِ مَا لَا يُحِيطُ بِهِ الْوَصْفُ، أَوِ اذْكُرْ يَوْمَ نَحْشُرُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَنْتَصِبَ بِلَا يَمْلِكُونَ، ذُكِرَ الْمُتَّقُونَ بِلَفْظِ التَّبْجِيلِ، وَهُوَ أَنَّهُمْ يُجْمَعُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الَّذِي غَمَرَهُمْ بِرَحْمَتِهِ وَخَصَّهُمْ بِرِضْوَانِهِ وَكَرَامَتِهِ، كَمَا يَفِدُ الْوُفَّادُ عَلَى الْمُلُوكِ مُنْتَظِرِينَ لِلْكَرَامَةِ عِنْدَهُمْ.

وَعَنْ عَلِيٍّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: مَا يُحْشَرُونَ وَاللَّهِ عَلَى أَرْجُلِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ عَلَى نُوقٍ رِحَالُهَا ذَهَبٌ، وَعَلَى نَجَائِبَ سُرُوجُهَا يَاقُوتٌ.

﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾[3]

وَذُكِرَ الْكَافِرُونَ بِأَنَّهُمْ يُسَاقُونَ إِلَى النَّارِ بِإِهَانَةٍ وَاسْتِخْفَافٍ كَأَنَّهُمْ نُعَمٌ عِطَاشٌ تُسَاقُ إِلَى الْمَاءِ.

وَالْوُرُودُ: الْعِطَاشُ لِأَنَّ مَنْ يَرِدُ الْمَاءَ يَرِدُهُ إِلَّا لِعَطَشٍ. وَحَقِيقَةُ الْوِرْدِ: الْمَسِيرُ إِلَى الْمَاءِ.

قَالَ:

رِدِي رِدِي وِرْدَ قَطَاةٍ صَمَّا كُدْرِيَّةٍ أَعْجَبَهَا بَرْدُ الْمَا

فَسُمِّيَ بِهِ الْوَارِدُونَ.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ: "يُحْشَرُ الْمُتَّقُونَ"، وَ"يُسَاقُ الْمُجْرِمُونَ.

﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾[4]

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[2] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[3] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[4] سورة مَرْيَمَ، الآية.

الْوَاوُ فِي: ﴿لا يَمْلِكُونَ﴾[1] إِنْ جُعِلَ ضَمِيرًا فَهُوَ لِلْعِبَادِ، وَدَلَّ عَلَيْهِ ذِكْرُ الْمُتَّقِينَ وَالْمُجْرِمِينَ؛ لِأَنَّهُمْ عَلَى هَذِهِ الْقِسْمَةِ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ عَلَامَةً لِلْجَمْعِ، كَالَّتِي فِي: "أَكَلُونِي الْبَرَاغِيثُ"، وَالْفَاعِلُ: ﴿مَنِ اتَّخَذَ﴾[2]؛ لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى الْجَمْعِ، وَمَحَلُّ: ﴿مَنِ اتَّخَذَ﴾[3]: رَفْعٌ عَلَى الْبَدَلِ، أَوْ عَلَى الْفَاعِلِيَّةِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَنْتَصِبَ عَلَى تَقْدِيرِ حَذْفِ الْمُضَافِ، أَيْ: إِلَّا شَفَاعَةَ مَنِ اتَّخَذَ، وَالْمُرَادُ: لَا يَمْلِكُونَ أَنْ يُشْفَعَ لَهُمْ، وَاتِّخَاذُ الْعَهْدِ: الِاسْتِظْهَارُ بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ.

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ لِأَصْحَابِهِ ذَاتَ يَوْمٍ: "أَيَعْجَزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَتَّخِذَ كُلَّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا"، قَالُوا: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: "يَقُولُ كُلَّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأرض، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، إِنِّي أَعْهَدُ إِلَيْكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، وَأَنَّكَ إِنْ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي تُقَرِّبْنِي مِنَ الشَّرِّ وَتُبَاعِدْنِي مِنَ الْخَيْرِ، وَأَنِّي لَا أَثِقُ إِلَّا بِرَحْمَتِكَ، فَاجْعَلْ لِي عِنْدَكَ عَهْدًا تُوَفِّينِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ".

فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ طُبِعَ عَلَيْهِ بِطَابَعٍ، وَوُضِعَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ: أَيْنَ الَّذِينَ لَهُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدٌ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ.

وَقِيلَ: كَلِمَةُ الشَّهَادَةِ، أَوْ يَكُونُ مِنْ: "عَهِدَ الْأَمِيرُ إِلَى فُلَانٍ بِكَذَا": إِذَا أَمَرَهُ بِهِ، أَيْ: لَا يَشْفَعُ إِلَّا الْمَأْمُورُ بِالشَّفَاعَةِ الْمَأْذُونُ لَهُ فِيهَا؛ وَتُعَضِّدُهُ مَوَاضِعُ فِي التَّنْزِيلِ: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾[4]، ﴿وَلا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾[5]، وَ﴿يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾[6].

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[2] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[3] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[4] سورة النَّجْمَ، الآية 26.

[5] سورة سَبَأَ، الآية 23.

[6] سورة طَهَ، الآية 109.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأرض وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾[1]

قُرِئَ: "إِدًّا": بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ، قَالَ ابْنُ خَالَوَيْهِ: الْإِدُّ وَالْأَدُّ: الْعُجْبُ.

وَقِيلَ: الْعَظِيمُ الْمُنْكَرُ، وَالْإِدَّةُ: الشِّدَّةُ، وَأَدَّنِي الْأَمْرُ وَآدَنِي: أَثْقَلَنِي وَعَظُمَ عَلَيَّ إِدًّا.

"يَكَادُ": الْكِسَائِيِّ وَنَافِعٍ بِالْيَاءِ.

وَقُرِئَ: "يَنْفَطِرْنَ": الِانْفِطَارُ مِنْ فَطَرَهُ إِذَا شَقَّهُ، وَالتَّفَطُّرُ: مِنْ فَطَرَهُ إِذَا شَقَّقَهُ، وَكَرَّرَ الْفِعْلَ فِيهِ.

وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ: "يَنْصَدِعْنَ"، أَيْ: تُهَدُّ هَدًّا، أَوْ مَهْدُودَةٌ، أَوْ مَفْعُولٌ لَهُ، أَيْ: لِأَنَّهَا تُهَدُّ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى انْفِطَارِ السَّمَاوَاتِ وَانْشِقَاقِ الأرض وَخُرُورِ الْجِبَالِ؟ وَمِنْ أَيْنَ تُؤَثِّرُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي الْجَمَادَاتِ؟

قُلْتُ: فِيهِ وَجْهَانِ.

– أَحَدُهُمَا: أَنَّ اللَّهَ –سُبْحَانَهُ– يَقُولُ: كِدْتُ أَفْعَلُ هَذَا بِالسَّمَاوَاتِ وَالأرض وَالْجِبَالِ عِنْدَ وُجُودِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ غَضَبًا مِنِّي عَلَى مَنْ تَفَوَّهَ بِهَا، لَوْلَا حِلْمِي وَوَقَارِي، وَأَنِّي لَا أُعَجِّلُ بِالْعُقُوبَةِ، كَمَا قَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأرض أَنْ تَزُولا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[2].

– وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ اسْتِعْظَامًا لِلْكَلِمَةِ، وَتَهْوِيلًا مِنْ فَظَاعَتِهَا، وَتَصْوِيرًا لِأَثَرِهَا فِي الدِّينِ وَهَدْمِهَا لِأَرْكَانِهِ وَقَوَاعِدِهِ، وَأَنَّ مِثَالَ ذَلِكَ الْأَثَرِ فِي الْمَحْسُوسَاتِ: أَنْ يُصِيبَ هَذِهِ الْأَجْرَامَ الْعَظِيمَةَ الَّتِي هِيَ قِوَامُ الْعَالَمِ مَا تَنْفَطِرُ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ وَتَخِرُّ.

وَفِي قَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾[3]، وَمَا فِيهِ مِنَ الْمُخَاطَبَةِ بَعْدَ الْغَيْبَةِ، وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى الِالْتِفَاتَ فِي عِلْمِ الْبَلَاغَةِ زِيَادَةُ تَسْجِيلٍ عَلَيْهِمْ بِالْجُرْأَةِ عَلَى اللَّهِ، وَالتَّعَرُّضِ لِسَخَطِهِ، وَتَنْبِيهٌ عَلَى عِظَمِ مَا قَالُوا.

فِي ﴿أَنْ دَعَوْا﴾[4]: ثَلَاثَةُ أَوْجُهٍ: أَنْ يَكُونَ مَجْرُورًا بَدَلًا مِنَ الْهَاءِ فِي مِنْهُ، كَقَوْلِهِ:

عَلَى حَالَةٍ لَوْ أَنَّ فِي الْقَوْمِ حَاتِمًا عَلَى جُودِهِ لَضَنَّ بِالْمَاءِ حَاتِمُ

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[2] سورة فَاطِرَ، الآية 41.

[3] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[4] سورة مَرْيَمَ، الآية.

وَمَنْصُوبًا بِتَقْدِيرِ سُقُوطِ اللَّامِ وَإِفْضَاءِ الْفِعْلِ، أَيْ: هَذَا لِأَنْ دَعَوْا، عُلِّلَ الْخُرُورُ بِالْهَدِّ، وَالْهَدُّ بِدُعَاءِ الْوَلَدِ لِلرَّحْمَنِ، وَمَرْفُوعًا بِأَنَّهُ فَاعِلُ هَدًّا، أَيْ: هَدَّهَا دُعَاءُ الْوَلَدِ لِلرَّحْمَنِ، وَفِي اخْتِصَاصِ الرَّحْمَنِ وَتَكْرِيرِهِ مَرَّاتٍ مِنَ الْفَائِدَةِ أَنَّهُ هُوَ الرَّحْمَنُ وَحْدَهُ، لَا يَسْتَحِقُّ هَذَا الِاسْمَ غَيْرُهُ.

مِنْ قِبَلِ أَنَّ أُصُولَ النِّعَمِ وَفُرُوعَهَا مِنْهُ: خَلَقَ الْعَالَمِينَ، وَخَلَقَ لَهُمْ جَمِيعَ مَا مَعَهُمْ؛ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ: فَلْيَنْكَشِفْ عَنْ بَصَرِكَ غِطَاؤُهُ، فَأَنْتَ وَجَمِيعُ مَا عِنْدَكَ عَطَاؤُهُ. فَمَنْ أَضَافَ إِلَيْهِ وَلَدًا، فَقَدْ جَعَلَهُ كَبَعْضِ خَلْقِهِ وَأَخْرَجَهُ بِذَلِكَ عَنِ اسْتِحْقَاقِ اسْمِ الرَّحْمَنِ، هُوَ مَنْ دَعَا بِمَعْنَى سُمِّيَ الْمُتَعَدِّي إِلَى مَفْعُولَيْنِ، فَاقْتَصَرَ عَلَى أَحَدِهِمَا الَّذِي هُوَ الثَّانِي؛ طَلَبًا لِلْعُمُومِ وَالْإِحَاطَةِ بِكُلِّ مَا دَعَا لَهُ وَلَدًا، أَوْ مَنْ دَعَا بِمَعْنَى: نَسَبَ، الَّذِي مُطَاوِعُهُ مَا فِي قَوْلِهِ –عَلَيْهِ السَّلَامُ–: "مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ"؛ وَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

إِنَّا بَنِي نَهْشَلٍ لَا نَدَّعِي لِأَبٍ

أَيْ: لَا نَنْتَسِبُ إِلَيْهِ.

﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾[1]

انْبَغَى: مُطَاوِعُ، "بَغَى": إِذَا طَلَبَ، أَيْ: مَا يَتَأَتَّى لَهُ اتِّخَاذُ الْوَلَدِ وَمَا يَنْطَلِبُ لَوْ طُلِبَ مَثَلًا؛ لِأَنَّهُ مُحَالٌ غَيْرُ دَاخِلٍ تَحْتَ الصِّحَّةِ، أَمَّا الْوِلَادَةُ الْمَعْرُوفَةُ: فَلَا مَقَالَ فِي اسْتِحَالَتِهَا.

وَأَمَّا التَّبَنِّي: فَلَا يَكُونُ إِلَّا فِيمَا هُوَ مِنْ جِنْسِ الْمُتَبَنَّى، وَلَيْسَ لِلْقَدِيمِ –سُبْحَانَهُ– جِنْسٌ، تَعَالَى عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرض إِلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾[2]

﴿مَنْ﴾[3] مَوْصُوفَةٌ لِأَنَّهَا وَقَعَتْ بَعْدَ كُلِّ نَكِرَةٍ، وُقُوعَهَا بَعْدَ رُبَّ فِي قَوْلِهِ:

شَعَّ رُبَّ مَنْ أَنْضَجْتُ غَيْظًا صَدْرَهُ

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[2] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[3] سورة مَرْيَمَ، الآية.

وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَأَبُو حَيْوَةَ: "آتٍ الرَّحْمَنَ": عَلَى أَصْلِهِ قَبْلَ الْإِضَافَةِ، الْإِحْصَاءُ" الْحَصْرُ وَالضَّبْطُ، يَعْنِي: حَصَرَهُمْ بِعِلْمِهِ وَأَحَاطَ بِهِمْ.

﴿وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾[1]: الَّذِينَ اعْتَقَدُوا فِي الْمَلَائِكَةِ وَعِيسَى وَعُزَيْرٍ أَنَّهُمْ أَوْلَادُ اللَّهِ، كَانُوا بَيْنَ كُفْرَيْنِ:

– أَحَدُهُمَا: الْقَوْلُ بِأَنَّ الرَّحْمَنَ يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ وَالِدًا.

– وَالثَّانِي: إِشْرَاكُ الَّذِينَ زَعَمُوهُمْ لِلَّهِ أَوْلَادًا فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا يَخْدِمُ النَّاسُ أَبْنَاءَ الْمُلُوكِ خِدْمَتَهُمْ لِآبَائِهِمْ، فَهَدَمَ اللَّهُ الْكُفْرَ الْأَوَّلَ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْآيَاتِ، ثُمَّ عَقَبَهُ بِهَدْمِ الْكُفْرِ الْآخَرِ.

وَالْمَعْنَى: مَا مِنْ مَعْبُودٍ لَهُمْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرض مِنَ الْمَلَائِكَةِ مِنَ النَّاسِ إِلَّا وَهُوَ يَأْتِي الرَّحْمَنَ، أَيْ: يَأْوِي إِلَيْهِ وَيَلْتَجِئُ إِلَى رُبُوبِيَّتِهِ عَبْدًا مُنْقَادًا مُطِيعًا خَاشِعًا خَاشِيًا رَاجِيًا، كَمَا يَفْعَلُ الْعَبِيدُ وَكَمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، لَا يَدَّعِي لِنَفْسِهِ مَا يَدَّعِيهِ لَهُ هَؤُلَاءِ الضُّلَّالُ.

وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾[2]، وَكُلُّهُمْ مُتَقَلِّبُونَ فِي مَلَكُوتِهِ مَقْهُورُونَ بِقَهْرِهِ، وَهُوَ مُهَيْمِنٌ عَلَيْهِمْ مُحِيطٌ بِهِمْ وَيَحْمِلُ أُمُورَهُمْ وَتَفَاصِيلَهَا وَكَيْفِيَّتَهُمْ وَكَمِّيَّتَهُمْ، لَا يَفُوتُهُ شَيْءٌ مِنْ أَحْوَالِهِمْ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَأْتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُنْفَرِدًا لَيْسَ مَعَهُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ أَحَدٌ وَهُمْ بُرَآءُ مِنْهُمْ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾[3]

قَرَأَ جَنَاحُ بْنُ حُبَيْشٍ: "وِدًّا": بِالْكَسْرِ.

وَالْمَعْنَى: سَيُحْدِثُ لَهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوَدَّةً وَيَزْرَعُهَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ غَيْرِ تَوَدُّدٍ مِنْهُمْ وَلَا تَعَرُّضٍ لِلْأَسْبَابِ الَّتِي تُوجِبُ الْوِدَّ، وَيَكْتَسِبُ بِهَا النَّاسُ مَوَدَّاتِ الْقُلُوبِ، مِنْ قَرَابَةٍ أَوْ صَدَاقَةٍ أَوِ اصْطِنَاعٍ بِمَبَرَّةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ.

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[2] سورة الْإِسْرَاءَ، الآية 57.

[3] سورة مَرْيَمَ، الآية.

وَإِنَّمَا هُوَ اخْتِرَاعٌ مِنْهُ ابْتِدَاءً اخْتِصَاصًا مِنْهُ لِأَوْلِيَائِهِ بِكَرَامَةٍ خَاصَّةٍ، كَمَا قَذَفَ فِي قُلُوبِ أَعْدَائِهِمُ الرُّعْبَ وَالْهَيْبَةَ؛ إِعْظَامًا لَهُمْ وَإِجْلَالًا لِمَكَانِهِمْ، وَالسِّينُ: إِمَّا لِأَنَّ السُّورَةَ مَكِّيَّةٌ، وَكَانَ الْمُؤْمِنُونَ حِينَئِذٍ مَمْقُوتِينَ بَيْنَ الْكَفَرَةِ فَوَعَدَهُمُ اللَّهُ –تَعَالَى– ذَلِكَ إِذَا دَجَا الْإِسْلَامُ، وَإِمَّا: أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُحَبِّبُهُمْ إِلَى خَلْقِهِ بِمَا يُعْرَضُ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ وَيُنْشَرُ مِنْ دِيوَانِ أَعْمَالِهِمْ.

وَرُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ لَعَلِيٍّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: "يَا عَلِيُّ، قُلِ: اللَّهُمَّ، اجْعَلْ لِي عِنْدَكَ عَهْدًا، وَاجْعَلْ لِي فِي صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ مَوَدَّةً" ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–: يَعْنِي: يُحِبُّهُمُ اللَّهُ وَيُحَبِّبُهُمْ إِلَى خَلْقِهِ.

وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "يَقُولُ اللَّهُ –عَزَّ وَجَلَّ–: يَا جِبْرِيلُ، قَدْ أَحْبَبْتُ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يَضَعُ لَهُ الْمَحَبَّةَ فِي أَهْلِ الأرض".

وَعَنْ قَتَادَةَ: مَا أَقْبَلَ الْعَبْدُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا أَقْبَلَ اللَّهُ بِقُلُوبِ الْعِبَادِ إِلَيْهِ.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾[1]

هَذِهِ خَاتِمَةُ السُّورَةِ وَمَقْطَعُهَا، فَكَأَنَّهُ قَالَ: بَلِّغْ هَذَا الْمَنْزِلَ أَوْ بَشِّرْ بِهِ وَأَنْذِرْ.

فَإِنَّمَا أَنْزَلْنَاهُ ﴿بِلِسَانِكَ﴾[2]، أَيْ: بِلُغَتِكَ وَهُوَ اللِّسَانُ الْعَرَبِيُّ الْمُبِينُ، وَسَهَّلْنَاهُ وَفَصَّلْنَاهُ.

﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ﴾[3] وَتُنْذِرَ.

وَاللُّدُّ: الشِّدَادُ الْخُصُومَةِ بِالْبَاطِلِ، الْآخِذُونَ فِي كُلِّ لَدِيدٍ؛ أَيْ: فِي كُلِّ شِقٍّ مِنَ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ لِفَرْطِ لَجَاجِهِمْ، يُرِيدُ أَهْلَ مَكَّةَ.

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[2] سورة مَرْيَمَ، الآية.

[3] سورة مَرْيَمَ، الآية.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾[1]: تَخْوِيفٌ لَهُمْ وَإِنْذَارٌ.

وَقُرِئَ: "تَحُسُّ": مِنْ حَسَّهُ إِذَا شَعَرَ بِهِ، وَمِنْهُ: الْحَوَاسُّ وَالْمَحْسُوسَاتُ.

وَقَرَأَ حَنْظَلَةُ: "تُسْمِعُ": مُضَارِعُ: أَسْمَعْتُ.

وَالرِّكْزُ: الصَّوْتُ الْخَفِيُّ، وَمِنْهُ: رَكَزَ الرُّمْحَ إِذَا غَيَّبَ طَرَفَهُ فِي الأرض.

وَالرِّكَازُ: الْمَالُ الْمَدْفُونُ.

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ مَرْيَمَ، أُعْطِيَ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، بِعَدَدِ مَنْ كَذَّبَ زَكَرِيَّا وَصَدَّقَ بِهِ، وَيَحْيَى، وَمَرْيَمَ، وَعِيسَى، وَإِبْرَاهِيمَ، وَإِسْحَاقَ، وَيَعْقُوبَ، وَمُوسَى، وَهَارُونَ، وَإِسْمَاعِيلَ، وَإِدْرِيسَ، وَعَشْرَ حَسَنَاتٍ بِعَدَدِ مَنْ دَعَا اللَّهَ فِي الدُّنْيَا وَبِعَدَدِ مَنْ لَمْ يَدْعُ اللَّهَ".

---

[1] سورة مَرْيَمَ، الآية.

محتويات الكتاب

ـحَ وَات ا ـَاب

كتاب تفسير الكشّاف

الجزء العاشر

52 – 5

سُورَةُ الْإِسْرَاءِ		
﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾		
﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلا ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾		
﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولا ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾		
﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾		
﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾		
﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا وَأَنَّ الَّذِينَ لا		

﴿يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾		
﴿وَيَدْعُ الإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنْسَانُ عَجُولا﴾		
﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلَ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلا﴾		
﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾		
﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا﴾		
﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾		
﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنَ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾		
﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾		
﴿كُلا نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءِ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾		
﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾		
﴿لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا﴾		
﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ		

		وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلا كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّي ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾
		﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾
		﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾
		﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلا مَيْسُورًا﴾
		﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾
		﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾
		﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾
		﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾
		﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾
		﴿وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولًا﴾
		﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾
		﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا﴾
		﴿وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ

مَكْرُوهًا﴾		
﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾		
﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلا عَظِيمًا﴾		
﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُورًا﴾		
﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾		
﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾		
﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلا رَجُلا مَسْحُورًا انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾		
﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلِ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾		
﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلًا﴾		
﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ		

		بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾
		﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾
		﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلا تَحْوِيلا أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾
		﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾
		﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلّا تَخْوِيفًا﴾
		﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾
		﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلّا قَلِيلًا قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلا غُرُورًا إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾
		﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ

﴿ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُورًا﴾		
﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلا أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾		
﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾		
﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾		
﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾		
﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾		
﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلّا قَلِيلًا سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مَنْ رُسُلِنَا وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾		
﴿أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾		
﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾		
﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاّ خَسَارًا﴾		
﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ		

الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾		
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحِ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلاّ قَلِيلًا﴾		
﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا إِلّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾		
﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾		
﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلّا كُفُورًا﴾		
﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلًا أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلّا بَشَرًا رَسُولًا﴾		
﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا قُلْ لَوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾		
﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾		
﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾		

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنَّ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلاَّ كُفُورًا﴾		
﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنْفَاقِ وَكَانَ الإِنْسَانُ قَتُورًا﴾		
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾		
﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلاءِ إِلّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾		
﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾		
﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾		
﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولا وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾		
﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾		
﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾		
سُورَةُ الْكَهْفِ		

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾		
﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾		
﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلا وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾		
﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ: الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾		
﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾		
﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾		
﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾		
﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ		

الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾		
﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾		
﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾		
﴿سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلا قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾		
﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾		
﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾		
﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾		
﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ		

يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾		
﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾		
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلا أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾		
﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾		
﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾		
﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾		
﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾		
﴿وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالا وَوَلَدًا فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾		

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا﴾		
﴿هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾		
﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾		
﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾		
﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾		
﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابُ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾		
﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنَ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلا مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾		
﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾		
﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ		

وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾		
﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾		
﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا﴾		
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾		
﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا﴾		
﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾		
﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾		
﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾		
﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾		
﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾		

﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾		
﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾		
﴿قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾		
﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾		
﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾		
﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾		
﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾		
﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾		
﴿وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبُّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾		
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ		

		﴿سَبَبًا فَأَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مَنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾	
		﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾	
		﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾	
		﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾	
		﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾	
		﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾	
		﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّور فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾	
		﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾	
		﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾	

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾		
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلا خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾		
﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾		
﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾		
سُورَةُ مَرْيَمَ		
﴿كهيعص ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾		
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾		
﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾		
﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾		
﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾		
﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾		

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾		
﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾		
﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾		
﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾		
﴿وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾		
﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾		
﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا﴾		
﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾		
﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾		
﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾		
﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾		
﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾		

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾		
﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾		
﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾		
﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾		
﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾		
﴿فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾		
﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأرض وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾		
﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾		
﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾		

﴿قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾		
﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلا جَعَلْنَا نَبِيًّا وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾		
﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولا نَبِيًّا﴾		
﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾		
﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾		
﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولا نَبِيًّا وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾		
﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾		
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾		
﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾		
﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾		
﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ		

﴿وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾		
﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلا سَلامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾		
﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾		
﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾		
﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأرض وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾		
﴿وَيَقُولُ الإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا أَوَلا يَذْكُرُ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾		
﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا﴾		
﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾		
﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾		
﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا﴾		
﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾		
﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾		
﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالا وَوَلَدًا أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا كَلا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ		

﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾		
﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾		
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾		
﴿فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾		
﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾		
﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾		
﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأرض وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾		
﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾		
﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرض إِلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾		
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾		
﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾		

محتويات الكتاب 64 – 61

النّاشر: شركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع
العنوان: إقامة الزّيتونة – III/2 – المنار 2 – تونس – الجمهوريّة التّونسيّة
الهاتف: 71886914 216+
الفاكس: 71886872 216+
العنوان الالكتروني: JomaaAssaad@yahoo.fr
معرّف النّاشر: 02-9938
عدد الطّبعة: الأولى
ت د م ك: 978-9938-02-070-6

© جميع الحقوق محفوظة لشركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع